الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون -تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

مذكـرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر الموسومة بـ:

التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في الفترة المعاصرة (1875-1939م)

من إعداد الطالبتين:

-بلقاسم فاطمة

- مخيسي نور الهدى

تحت إشراف الأستـاذ:

- د.خنفار الحبيب

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الصفة
د. كلاخي الياقوت	رئيسا
د.خنفار الحبيب	مشرفا ومقررا
د.بوعنـاني العربـي	مناقشا

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ: 28 سبتمبر 2020م الموافق لـ 12 صفر 1442هـ

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه

شـــكر وتقـــدير

من باب قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الله لا يشكر أحد"

الشكر للمولى عز وجل الذي أنعم علينا لنتم هذا العمل العلمي المتواضع وأسمى كلمات التقدير والامتنان لأستاذنا الفاضل المشرف الدكتور "خنفار الحبيب" الذي رافقنا طيلة البحث بنصائحه وتوجيهاته القيمة.

وندعو الله عز وجل أن يوفقه في حياته العلمية.

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة معهد التاريخ بجامعة ابن خلدون – تيارت – ونخص بالذكر أعضاء لجنة مناقشة رئيسا ومناقشا.

كما لا ننسى أن نشكر كل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد

إهـــداء

إلى أرواح شهدائنا البررة

إلى أولئك الذين ضحوا من أجل عزة هذا الوطن.

إلى كل من أشهر قلمه دفاعا عن هذا الوطن المفدى.

إلى كل من علمنا حرفا منذ الصبى.

لأسرتينا اللتين كانتا شموعا أضاءتا لنا دروب حياتنا

وعلى الخصوص إلى الوالدين العزيزين

وكل الإخوة والأخوات والأهل والأصدقاء.

نهدي هذا العمل.

دليل المختصرات:

أولا: باللغة العربية:

الرمز	معناه
تر	ترجمة
د.ت	دون تاريخ الطبع
د.س	دون سنة الطبع
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
د.د.ن	دون دار النشر
ط	الطبعة
ط.خ	طبعة خاصة
م.و.د.ب.ح.ط.ث.ن	المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر

ثانيا: باللغة الفرنسية:

الرمز	معناه
A.N.E.P	Agence Nationale d’édition et de publicité
A.N.T	Archives Nationales de Tunisie
D.O.C	Document
D.O.S	Dossier

مـقـدمـــة

- **التعريف بالموضوع:**

يشكل المغرب العربي وحدة جغرافية وتاريخية وبشرية وثيقة، فكان من الطبيعي أن يحدث تواصل بين مختلف نشاطات أقطارها خاصة ما تعلق بالثقافة الفكرية وهذا نظرا للمصير المشترك الواقع تحت سلطة الاحتلال الفرنسي، وما عزز من أواصر التواصل هي البعثات العلمية التي كانت تشد من الجزائر نحو تونس لكونها حاضرة ثقافية نفيسة إلى جانب الصحافة الجزائرية بتونس التي قامت بدور لافت ونشطت نشاطا حثيثا، كان لكل منها الدور البالغ في البلدين.

وهكذا ظلت العلاقات والروابط الحضارية والثقافية قوية وثابتة بين الجزائر وتونس بخلاف العلاقات السياسية التي كانت سريعة التأثر والتبدل، وصار من الثابت تاريخيا متانة هذا التواصل والتفاعل الثقافي والحضاري بين القطرين.

ودراستنا هذه ستتناول التواصل الثقافي الحاصل بين الجزائر وتونس في الفترة الممتدة من أواخر القرن 19م إلى نهاية فترة ما بين الحربين أي سنة 1939م، إن قضية التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس قديمة قدم التلاقح والاحتكاك العلمي والفكري واستمرت عبر العصور، فلئن تعطلت الاتصالات السياسية والاقتصادية أحيانا فإن العلاقات الثقافية بين البلدين لم تنقطع وظلت الثقافة العربية الإسلامية القناة الرئيسية والخيط الواصل بينهما.

إذ أن النخب المثقفة من الجزائر وتونس استطاعت أن تجلب الأنظار إليها وأن تساهم مساهمة فعالة في الحياة الثقافية والعلمية وحتى السياسية التي عمت البلدين، إنما كانت لهم مساهمات نشيطة في مختلف مجالات الفكر والثقافة.

إن العلاقة الثقافية والفكرية التي كانت تربط الجزائريين والتونسيين خلقت إدراكا مشتركا بين النخب الفكرية والعلمية بالقضايا والمسائل المشتركة خلال الفترة الاستعمارية، إذا أصبحت الشعوب العربية الإسلامية عامة والمغاربية خاصة أحوج إلى هذا التواصل فيما بينها اليوم.

- **دوافع البحث وأهدافه:**

إن هذا الموضوع ظل يراود اهتمامنا منذ السنة الماضية عندما تناولنا موضوع بحث حول التأثير والتأثر بين المثقفين الجزائريين والتونسيين وعليه تم اختيارنا لهذا الموضوع الذي كان بدافع التعرف قدر الإمكان على الحركة الثقافية والفكرية في البلدين وتأثرهما المتبادل.

- والكشف عن عمق التواصل بين قطرين وشعبين جمعت بينهما العروبة والإسلام والمحن والأحداث في أهدافها، فكان تواصلهما على المستوى الثقافي والفكري مبعثا على الإعجاب والإكبار.

- لإبراز مستوى العلاقات الثقافية والفكرية التي ربطت تونس بالجزائر وظهور التلاحم العلمي الثقافي الذي تولد عن الوحدة الدينية والجغرافية والتاريخية.

- وإعطاء مساحة أكبر للأدوار التي قامت بها الشخصيات الثقافية في الحياة الثقافية والفكرية في المحيط التعليمي والصحفي والأدبي والمسرحي في كل من الجزائر وتونس.

- ومحاولة الكشف عن عمق الاتجاه العربي والإسلامي لدى الجزائرين من الرعيل الأول والتي يحاول الكثير طمسه واستكمال الصورة العاكسة لما جمع بينهم وبين التونسيين من تواصل فكري وثقافي طول هذه الفترة، قبلها وبعدها.

- ومحاولة إثارة بعض التصورات التي انطبعت في أذهاننا بأن الجزائر تمثل حقلا لتجارب الغير، وأنه لم يعد بوسعها أن تنهض، وأن تزيل الغشاء الضبابي عن نفسها وعن تراثها دون الاستعانة بتأثير شرقي منبه، أو آخر غربي موقظ، وهذا الأمر جعل الكثير يقللون من الدور الهام الذي لعبه الجزائريون في نهضة الآخرين حتى لا يسير وراء الرأي القائل بأن لولا التأثير الخارجي لما عم الجزائر إشعاع اليقظة والتنوير.

- **إشكالية البحث:**

إن موضوعنا الموسوم بـ التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في الفترة الممتدة من 1875 إلى 1939م، موضوع متشعب لأنه يخوض في جوانب ثقافية متعددة ومتنوعة كالتعليم، النوادي والجمعيات، الصحافة، الأدب والمسرح ...

وعلى هذا الأساس طرحنا الإشكالية التالية:

ما مدى عمق التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس وما هي انعكاساته على البلدين في الفترة الممتدة ما بين 1875- 1939م.

لقد تفرعت عن هذه الإشكالية الرئيسية جملة من التساؤلات في هذا الموضوع منها:

- ما واقع الحياة الثقافية والفكرية في كل من الجزائر وتونس؟
- ما هي طبيعة هذا التواصل الثقافي وخصوصياته وما هي أهم دوافعه ووسائله؟
- فيما تجلت إسهامات الطرفين في الواقع الثقافي لكلا البلدين؟ وما هي مجالات التأثير والتأثر بينهما؟
- وما مدى تأثير سياسة الاستعمار الفرنسي على التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس من خلال التضييق على الصحافة والتعليم في تلك الفترة؟

- **خطة البحث:**

مكنتنا المادة التاريخية التي اطلعنا عليها واستخدمناها بهيكلة خطة دراستنا على النحو الآتي: مقدمة فصل تمهيدي تطرقنا فيه إلى الأوضاع العامة في الجزائر وتونس في الفترة المعاصرة الممتدة ما بين 1875م إلى 1939م وتأثير السياسة الاستعمارية على الجانب الثقافي فيهما.

- أما الفصل الأول والذي فصلنا فيه الحياة الثقافية والفكرية في كل من الجزائر وتونس (1875-1939م) وانعكاساتها على البلدين.

- وصولا إلى الفصل الثاني الذي خصصناه لمظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس تناولنا فيه العوامل الأساسية لهذا التواصل ثم وسائله والإسهامات الثقافية الفكرية، الصحيفة والأدبية التي أثارها المثقفون في البلدين، خاتمين هذه الهيكلة بخاتمة تضمنت استنتاجات وخلاصات لمتن البحث ومجموعة من الملاحق التي تخدم وتكمل فحواه.

- **منهج البحث:**

وللإلمام بالموضوع اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي الوصفي بما فيه من وصف للأوضاع العامة في الجزائر وتونس ووصف لأهم التغيرات الواردة في الموضوع، واستعملنا المنهج التحليلي بآلياته لتفسير الظواهر الثقافية وتحليل أعمال علماء ومفكري تلك الفترة للوصول إلى مختلف أشكال التواصل وأصولها ووسائل توطيدها.

كما استعملنا آلية المقارنة بين اسهامات المثقفين الجزائريين والتونسيين المتعاكسة في الفصل الأخير.

- **قراءة في المصادر:**

للإجابة على الإشكاليات سالفة استسقينا المادة التاريخية من مجموعة مصادر منها:

- كتاب الحركة الأدبية والفكرية في تونس في ق 19م/ 20م لمحمد الفاضل بن عاشور والذي أفادنا في معرفة مظاهر النشاط الأدبي والفكري الذي استقطب الجزائريين.

- كتاب بن خوجة محمد بعنوان صفحات من تاريخ تونس، وأيضا كتب لمحمد صالح الجابري الذي أفادتنا في جميع مراحل البحث خاصة التواصل الثقافي بين الجزائري وتونس، والنشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ما بين 1900-1962م.

كما استعنا بمؤلفات أحمد توفيق المدني كمذكرات حياة كفاح، ومحمد البشير الإبراهيمي وآثاره، وتونس الشهيدة لعبد العزيز الثعالبي.

- إضافة إلى جملة من المراجع التي تخصصت في الموضوع أهمها كتب خير الدين شترة الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة بأجزائه الثلاث.

- كتاب أحمد القصاب المعنون بتاريخ تونس المعاصر 1881م/1956م، وكتب أبو القاسم سعد الله كالتاريخ الثقافي للجزائر بأجزائه ومرجع أضواء على الصحافة التونسية (1860- 1970م) لعمر بن قفصية.

– إلى جانب هذه الكتب المصدرية والمرجعية اعتمدنا دراسات سابقة من أبرزها، أطروحة الدكتوراه لأحمد مريوش بعنوان الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية 1954م.

– وأيضا أطروحة الدكتوراه لبشير مديني بعنوان مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية (1830– 1962م).

– أما فيما يخص الدوريات فكان أهمها المجلة الزيتونية، مجلة الهداية والبصائر... إضافة إلى القواميس وبعض الآليات الأخرى المساعدة للبحث.

– وهناك كتب من الطراز الاول في موضوع البحث الموجودة في الهوامش والبيبلوغرافيا لا يتسع المكان لذكرها في المقدمة.

- **الصعوبات التي واجهت البحث:**

وقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء القيام بهذه الدراسة وهي صعوبات لا يخلو منها أي بحث ولا ينكرها طالب العلم، والبحث ليس بالعمل الهين كما يعتقد البعض ذلك أن أول صعوبة تواجهك هي التساؤل حول إمكانية إنجاز عمل جديد ومتميز.

– قلة الدراسات المتخصصة والمتعمقة في هذا الموضوع وشح المادة العلمية في بعض المحاور البحثية وتشعبها أحيانا في محاور أخرى وتضاربها، وهو ما حاولنا تداركه والتوفيق في صياغته بما يخدم الموضوع.

– عدم التمكن من تغطية دور كل المثقفين الذين ساهموا في المجال الثقافي والفكري من كلا البلدين في الفترة المدروسة.

– أما الظرف الطارئ والذي لم يكن في الحسبان إطلاقا ألا وهو الوضع الصحي الذي عرفته الجزائر كغيرها من دول العالم المتمثل في جائحة كورونا (COVID 19)، وما ترتب عنها من حجر صحي وغلق المكتبات الجامعية والعمومية وهذا ما جعلنا نستعين أكثر بالمكتبات الإلكترونية دون غيرها.

– والحقيقة أننا لا ندعي بأننا قد استوفينا الموضوع حقه من الدراسة وفي الأخير نرجو أن تنال هذه الدراسة المتواضعة قبول القارئ الكريم والاستفادة منها.

الفصل التمـــهيدي

الأوضاع العامة في الجزائر وتونس في الفترة ما بين 1900-1939م

I. أوضاع الجزائر العامة

II. أوضاع تونس العامة

III. تأثير السياسة الاستعمارية على الجانب الثقافي في كل من الجزائر وتونس

تعرضت البلدان المغاربية للهيمنة الاستعمارية الأوروبية بدءا من القرن التاسع عشر، حيث كانت الجزائر الضحية الأولى سنة 1830م لتليها لاحقا تونس سنة 1881م، وعلى الرغم من اختلاف السياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة في البلدين ما بين استعمار مباشر وحماية إلا أنه اتفق في أهدافه حيث عمد الاستعمار الفرنسي إلى تطبيق أساليب قمعية جسدت معاني الاستبداد بمظاهره المختلفة والتي لم تقتصر على الاستلاب السياسي والاستغلال الاقتصادي، بل استهدفت الإنسان الجزائري والتونسي في هويته ومقوماته الشخصية، إلا أن الشعبين الجزائري والتونسي صمدا في وجه هذا المخطط الاستعماري، وتمكنا من التصدي له بمختلف الأساليب لإيمانهما بعدالة قضيتهما، حيث شهدت الجزائر، تونس بدءا من مطلع القرن العشرين يقظة فكرية وثقافية أسهمت في تبلور الوعي السياسي لدى الشعبين رغم الأوضاع الصعبة التي ميزت واقعهما في مختلف المجالات وهذا ما ستتم الإشارة إليه في هذا الفصل التمهيدي.

I– أوضاع الجزائر العامة:

1– الأوضاع السياسية:

شهد مطلع القرن العشرين تحولا هاما في تاريخ وكفاح الجزائر ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي حيث شهدت ظهور روافد جديدة للكفاح بعد أن اقتنعت بأن الاعتماد على المقاومة المسلحة غير المنظمة والوسائل العسكرية البسيطة لم يكن كافيا وحده لتحرير البلاد، وإجبار سلطات الاحتلال على الرضوخ لمطالب الشعب الجزائري، إذ تمثل هذه المرحلة منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر، سواء فيما يخص السياسة الفرنسية المنتهجة آنذاك كالقرار الصادر سنة 1907م، القاضي بفصل الدين عن الدولة والذي استثنى الدين الإسلامي بدعوى أنه لا يمكن فصل الجانبين الروحي والدنيوي في الإسلام[1]، وكذا وضعية الجزائريين في مختلف الميادين خاصة بعد إصدار مرسوم 03 فبراير 1912م القاضي بتجنيد الشبان الجزائريين للدفاع عن فرنسا بدون أن تمنحهم هذه الأخيرة الحقوق السياسية التي تصحب أداء الواجب العسكري[2].

حيث عرفت الجزائر سنة 1908م إعلان النخبة عن ميلاد نواة هامة جمعت عناصر تدعى "نخبة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين"[3]، وكان من أبرز عناصرها "الشريف بن حبيلس[4]، ابن

---

[1]– عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920– 1936م)، ج1، ط 2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008م، ص 24.

[2]– عمار بوحوش، التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1926، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ص 210.

[3]– المرجع نفسه، ص 206.

[4]– **الشريف بن حبيليس**: (1891–1959م) من مواليد منطقة شبرول بقسنطينة في عائلة محافظة تهتم بالشؤون العامة، تمكن من متابعة دراسته بالمدارس الفرنسية بقسنطينة، اختار دراسة تخصص الحقوق بجامعة الجزائر، اعتبر أنشط القضاة تكوينا وممارسة، ساهم في تأسيس حركة الشبان الجزائريين وكتابة بيانها سنة 1912م، وكان عضوا بارزا في لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين التي تأسست عام 1908م بالجزائر العاصمة، اهتم مبكرا بمجال الكتابة والسياسة، من كتبه "الجزائر الفرنسية كما يراها الأهالي" "L.Algérie Française vue par un indigène 1914" ثم كتابه الثاني: "Ou va la France en Algérie"، أنظر: نفيسة دويدة، الشريف بن حبيليس آراؤه واهتماماته الفكرية، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 72–73، أفريل–سبتمبر 2016م، ص ص 69– 70.

التهامي[1]"، وكانت هذه الجماعة السباقة للأخذ بمبادرة الدفاع عن الجزائريين وذلك لغياب التمثيل الشرعي الوطني باستثناء المحاولات اليتيمة التي بادرها ابن رحال[2].

كما نجد أنه في سنة 1912م قد تأججت الأوضاع وكثرت العرائض الداخلية، وبدأت حركة الاحتجاجات وحينها سعت النخبة للبحث عن مخرج لهذه الوضعية الحرجة والمتأزمة، ولذلك نشطت الحركة الشبانية[3]، التي أطلقت على نفسها حركة الجزائر الفتاة وأحيانا بحركة الشباب الجزائري وترجع أول عرائض النخبة إلى 27 ماي 1912م، بحيث بعثت عريضة إلى الحكومة الفرنسية والمجلس الوطني احتوت على جملة من المطالب على رأسها قانون التجنيد الإجباري الذي جاء معاديا للديمقراطية وكذا مدة الخدمة العسكرية وتعويض الأهالي وإلغاء قانون الاهالي وإلغاء قانون الأهالي[4].

وفي عام 1913م تمكن قادة حركة الشبان الجزائريين من التحالف مع شخصية جزائرية مرموقة على الساحة السياسية الفرنسية والمتمثلة في شخصية الأمير خالد بن الهاشمي الذي كان بدوره يطالب بإصلاحات سياسة، حق التعليم للمسلمين وتمثيلهم في المجالس المحلية وفي البرلمان، وطالب بحماية العمال الجزائريين في فرنسا، لتتضح المطالب السياسية للأمير خالد أكثر في الفترة ما بين

---

[1]– **ابن التهامي**: ولد أبو القاسم بن التهامي في 20 سبتمبر 1873، بمدينة مستغانم تحصل على شهادة البكالوريا وانتقل إلى فرنسا لدراسة الطب، نشر عدة مقالات علمية ظهر نشاطه السياسي مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى، إذ تزعم حركة الشبان الجزائريين، كان من المطالبين بالإدماج، أصدر جريدة التقدم للدفاع عن فكرة الإدماج وفي سنة 1931م، انسحب من النشاط السياسي، توفي في جوان 1937م، أنظر: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830– 1989م، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 432.

[2]– **ابن رحال**: (1857– 1928م) علم من الأعلام الجزائرية البارزة في مجال الفكر التنويري خلال الفترة من أواخر القرن 19 إلى أوائل القرن 20، دافع عن مصالح الجزائريين، كما دعا إلى ضرورة تعميم التعليم في وقت مبكر منذ سنة 1887م، طالب بتدريس اللغة العربية سنة 1921م، للمزيد أنظر: محمد أرزقي فراد، الجهود السياسية للمثقف سي محمد بن رحال، جريدة الشروق اليومي، ع 2192، 8 جانفي 2008، ص 24.

[3]– يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال النصوص 1912– 1948م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 23.

[4]– عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 36.

1919م و1922م من خلال مناداته ببرنامج إصلاحي قائم على فكرة المساواة من خلال جريدة الإقدام[1].

إن اهتمام فرنسا بالإصلاح في الجزائر قد ازداد سنة بعد أخرى، فكلما تضاعف ضغط المواطنين الجزائريين تحركت فرنسا نحو الإصلاح[2]، فعند انتهاء الحرب عام 1918م بادرت في وضع إصلاحات لترضية الجزائريين الذين كانوا ينادون بالإصلاحات من جهة[3]، ولتعبر لهم من جهة أخرى عن اعترافها بإسهامات ما يزيد عن ربع مليون من الجزائريين في الحرب العظمى[4]، فأصدر البرلمان الفرنسي قانون 4 فبراير 1919م تحت وقع وإلحاح من كليمنصو رئيس وزراء فرنسا في ذلك الوقت[5].

رفض الجزائريون إصلاحات 1919م، فقد كانوا يعتبرون الإجراءات الجديدة عقبات في طريق التحرر، لأنها لم تكن في مستوى التضحيات التي بذلوها، ولا في المستوى الذي وضعوه في فرنسا[6] حيث فكر الشعب الجزائري في تغيير كفاحه وعزم على إيقاف أشكال العنف وتجريب أساليب سلمية[7].

---

[1]– الإقدام (1919– 1923) إحدى أبرز الجرائد الوطنية التي ظهرت مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى، وهي لسان حال جماعة الأمير خالد أصدرها في فيفري 1919 بمعية زملائه كالصادق دندان والحاج عمار وكانت ناطقة بالفرنسية، وبعد انقسام النخبة أصبحت تصدر بالعربة والفرنسية، وتولى الأمير خالد الإشراف على القسم العربي، للمزيد انظر: محمد ناصر، الصحف العربية 1843– 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 49.

[2]– يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830–1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 85.

[3]– عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 74.

[4]– أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001م، ص 162.

[5]– جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994م، ص 180.

[6]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900– 1930م)، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 142.

[7]– يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 80.

ويعتبر نشاط الأمير خالد[1] السياسي، في الفترة ما بين 1919- 1925م ذو أهمية قصوى في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، إذ كان مشكل الهوية الوطنية، الشغل الشاغل والمحور الأساسي لاهتمامات الطبقة السياسية آنذاك، فتمكن الأمير خالد من تأكيد إسلامية الشخصية الجزائرية معارضا دعاة الإدماج من ذوي المصالح الضيقة وحلفاء الاستعمار[2].

لكن فشل حركة الأمير خالد التي دعت إلى الإصلاح والمساواة نتيجة اضطهاد فرنسا وتعنتها وعزلة الاندماجيين، وتصدع حركة المؤتمر الإسلامي، كل ذلك جعل الجزائر تسير في أربعينيات القرن العشرين وما بعدها في ركاب كل من حزب الشعب الذي مثل امتدادا ثوريا لحركة الامير خالد، ودعا إلى الاستقلال، وجمعية العلماء التي ركزت على إحياء المضمون الثقافي والاجتماعي للشخصية الجزائرية، وتبنت بدورها الانفصال عن فرنسا، وقد حلت الحرب العالمية الثانية والجزائر تعاني من ويلات الاستعمار أشد المعاناة[3].

حينما دخلت فرنسا الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939م لجأت إلى فرض ضغوط كبيرة على الجزائريين لإجهاض أية تحركات معادية قد يعمدون إليها، خاصة وأن قادة الحركة الوطنية المعتبرين قد رفضوا تأييد فرنسا في حربها ضد ألمانيا، فقامت بحل حزب الشعب في التاسع والعشرين من ذلك الشهر، ثم اعتقلت قادته وإطاراته كمصالي الحاج، مفدي زكريا، الشاذلي المكي، محمد خيضر بتهمة تحريض المجندين الجزائريين على العصيان في 04 أكتوبر 1939م وزجت بهم في

[1]- **الأمير خالد**: حفيد الامير عبد القادر من الأمير هشام، ولد بدمشق في 20 فيفري 1875م بدمشق التي تربى وترعرع فيها إلى غاية 1892م، تاريخ تنقل عائلته إلى الجزائر، وكان آنذاك طالبا ثانويا بالعاصمة باريس (1885- 1893) وكان عمره ثمانية عشر سنة حينما تخرج من الثانوية ليدخل المدرسة العسكرية في نفس العام 1893م التي تخرج منها نقيب، وبعد نهاية الحرب قرر الدخول إلى الجزائر، والشروع في العمل السياسي؛ فأسس جماعة "النواب" وأصدر جريدة الإقدام، ورفع مطالبه إلى مؤتمر السلام بفرساي، وفي ربيع سنة 1922م تقدم الأمير خالد بمطالب إصلاحية لألكسندر ميليران رئيس الجمهورية الفرنسية عندئذ، بعد سنة من نفيه نقل ساحة نضاله إلى فرنسا فقام بعدة اتصالات مع المهاجرين من أبناء الشمال الإفريقي، وفي سنة 1924م تقدم بمطالب للرئيس الفرنسي "إدوارد هيريو"، وفي أوت 1925 حوكم الامير خالد في الإسكندرية من طرف المحكمة القنصلية الفرنسية بتهمة حمله جواز سفر مزور، ومحاولة الهروب من منفاه إلى أوروبا، ليتم توصيله إلى دمشق حيث أمضى بقية حياته حتى توفي سنة 1936م، عن عمر ناهز 61 عاما أنظر: بشير بلاح، مرجع سابق، ص 392

[2]- المرجع نفسه، ص 397.

[3]- نفسه، ص 387.

السجون وأتبعتهم في آخر يناير 1940م بعشرات آخرين لاحقا[1]، كما وضعت رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي تحت الإقامة الجبرية في أفلو من أفريل 1940م حتى 28 ديسمبر 1942م[2]، ثم اعتقلت الشيخ العربي التبسي بتهمة التجسس لصالح الألمان في مارس 1943م وقامت باعتقال وسجن مئات غيرهم من الوطنيين باعتبارهم معادين لفرنسا ويمثلون خطرا على الأمن العام في نظرها، كما قامت حكومة فيشي باضطهاد الشيوعيين[3].

ويذكر فرحات عباس: "أن الدكتور الأمين دباغين وحسين عسلة اتصلا به بتاريخ 08 نوفمبر 1942م، يقول إن وطننا كان على أهبة خوض غمار الحرب من جديد، ولكن في أي ظروف؟ ولماذا؟ وباسم أي دولة سيعبأ شعبنا من جديد؟ إن تحرير الشعوب الأوروبية من الاستعمار الهيتلري كان يبرر أكثر من تحرير الشعوب الإفريقية والآسيوية من الاستعمار الأوروبي، فكان من المستحيل أن تبقى الجزائر مكتوفة الأيدي"[4].

وتذكر مصادر أخرى أن الذي شجع الحركة الوطنية على التحرك هو بعض الوعود التي أطلقها الحلفاء وتشجع فرحات عباس الذي كان متحمسا لفكرة مؤتمر سان فرانسيسكو معتمدا على الوعد الصادر من الحلفاء من أن الشعوب المستعمرة سيكون لها الحق في مؤتمر السلام أن تعبر عن نفسها[5].

وفي مواجهة هذا الوضع قام الزعماء الجزائريون بمبادرة سياسية فاجتمعوا حينذاك في مكتب الأستاذ الدكتور تامزالي رئيس القسم القبائلي في النيابات المالية وغريسي أحمد نائب مالي وقاضي عبد القادر مستشار عام ورئيس جمعية الفلاحين، والحسين عسلة والدكتور الأمين دباغين عن حزب الشعب والشيخ التبسي، الشيخ خير الدين والشيخ توفيق المدني من جمعية العلماء والدكتور بن جلول

[1]– بشير بلاح، المرجع السابق، ص447.

[2]– محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية (1939– 1951)، ج 2، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011م، ص 814.

[3] –Benjamin Stora, Algérie histoire contemporaine 1830-1989, El Casba, Algérie, 2004, p 91.

[4]– فرحات عباس، ليل الاستعمار، حرب الجزائر وثورتها، تر: أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011، ص 165.

[5]– أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930–1945م)، ج 3، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 201.

وفرحات عباس ومحمد الهادي حمام رئيس جمعية الطلبة، اتفق هؤلاء النواب على خطط مبدئية وقرروا نشر ميثاق يتضمن مطالب الشعب الجزائري، يقول فرحات عباس: "فكلفت بتحريره، فعدت إلى مدينة سطيف وهناك حررت بيان الشعب الجزائري"[1].

وبعد تجاهل الإدارة الاستعمارية لمطالب الحركة الوطنية التي تضمنها بيان فبراير 1943م من خلال أمرية 7 مارس 1944م التي تعتبر نسخة عن مشروع بلوم فيوليت، فقام فرحات عباس بالتقرب من مصالي الحاج والشيخ البشير الإبراهيمي والحزب الشيوعي مما تولد عن هذا التحالف ظهور حركة أحباب البيان والحرية في 14 مارس 1944م المستوحاة من بيان فبراير 1943م[2].

لم يرتح المستوطنون الأوروبيون بالجزائر للنشاط السياسي الذي قام به الزعماء الجزائريون خلال الحرب، خاصة جماعة أحباب البيان والحرية، الذين كانوا خارج السجون والمعتقلات، وكان وجود قوات الحلفاء بالجزائر مانعا لهم للقيام بقهر هذا النشاط السياسي الجزائري، وعندما رحلت هذه القوات إلى أوروبا، واتضح انهيار النازية، خرجوا من مخابئهم وأخذوا يسعون للبحث عن الأسباب والمبررات للانتقام من الجزائريين وتحطيم جهودهم السلمية، ووجدوا مساندة من الدوائر الاستعمارية المسؤولة[3].

وفي اليوم الثامن ماي، وبمناسبة استسلام ألمانيا النازية للحلفاء، نظم الجزائريون برخصة من إدارة الشرطة مظاهرات سلمية في سطيف، وقالمة وغيرهما من مدن الشرق الجزائري احتفاء بيوم النصر على النازية والفاشية الذي شاركوا فيه بدمائهم وأموالهم وأبنائهم، وقدموا تضحيات كبيرة جدا[4].

فردت فرنسا باستنفار جيوشها الثلاثة البرية والبحرية، والجوية، وميليشيات المستوطنين والشرطة والدرك واللفيف الأجنبي لاقتراف مجزرة رهيبة راح ضحيتها ما بين 45 ألف و100 ألف جزائري وتخللتها وتلتها أعمال نهب وقصف وتدمير على أوسع نطاق[5].

---

[1]– أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930–1945م)، ج 3، المرجع السابق، ص 113.

[2]– أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 178.

[3]– يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص 125.

[4]– المرجع نفسه، ص 126.

[5]– بشير بلاح، المرجع السابق، ص 465.

وكتب الشيخ البشير الإبراهيمي عن حوادث 08 ماي 1945م: "لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور، ثم كتب في آخر هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله"[1].

ولقد كانت مجازر 08 ماي 1945م الفاصل بين سياسة أنصاف الحلول السياسية الإصلاحية والتوجه الثوري في الحركة الوطنية حيث اتفق جميع الزعماء الوطنيين على هدف واحد وهو الاستقلال وتعد بذلك نقطة تحول حاسمة[2]، ولعل من أبرز نتائجها الإيجابية إيمان الزعماء الجزائريين بعدها بأن استقلال الجزائر الذي ضاع بالقوة، سوف لن يستعاد إلا بالقوة ولهذا شرعوا في الإعداد الجدي للثورة المسلحة الحاسمة[3].

2– الأوضاع الفكرية والثقافية:

يقصد بالنهضة الثقافية الجزائرية، تلك الحركة التي عرفتها الجزائر المستعمرة مع بداية القرن العشرين من جراء فعالية نشاط الصحافة الجزائرية بشقيها العربي والفرنسي، ومن خلال عكوف بعض الأعلام الجزائريين على إحياء التراث الثقافي الجزائري بفعل تنشيط عملية التأليف والترجمة وإعادة طبع التراث المكتوب وتأسيس الجمعيات والنوادي والسعي نحو محاولة توطيد التواصل الثقافي والفكري بين المغرب العربي ومشرقه من جهة، والأخذ بأسباب التقدم الحضاري من جراء الاحتكاك المتواصل بالثقافة والنظم الحضارية الأوروبية من جهة أخرى[4].

والواقع أنه في الوقت الذي كان فيه علماء الجزائر مضطهدين ومهملين من طرف دولة الاحتلال، بزغ فجر الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى، وأخذ المثقفون من العالم الإسلامي يتطلعون

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 3، ص 255.

[2]– عبد الكريم بوصفصاف، التحولات الأساسية في الحركة الوطنية الجزائرية (1945– 1954)، مجلة سرتا، ع 5، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984، ص 30.

[3]– يحي بوعزيز، سياسة التسلط، المرجع السابق، ص 129.

[4]– المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830– 1954)، (د، د، ن)، الجزائر، 2007، ص ص 85– 86.

إلى مبادئها وأهدافها، وبالتالي فقد أخذ بعض علماء الجزائر يميلون إلى هذا الاتجاه الجديد، وحاولوا تطبيقه من أجل إصلاح المجتمع الذي كان يشكو من الانحطاط الخلقي والجفاف الثقافي[1].

ولقد واجه الشعب الجزائري الاستعمار الفرنسي بمقاومة شاملة عسكرية، سياسية، ثقافية هذه المقاومة الواسعة التي عبر الجزائريون من خلالها عن وعي متقدم بأهداف السياسة الاستعمارية في الميدان الثقافي والتي ألحقت الدمار بالمؤسسات الثقافية والدينية، ولهذا اعتبروا بأن السلطة التي أقدمت على ذلك لن تتوان في هدم آثار الدين واللغة في قلوب وألسنة الأطفال[2].

حيث استطاعت الطبقة المثقفة الجزائرية أن تجد من الأسباب القوية ما يدفعها إلى تطوير أساليب النضال بما يكفل لها الإفادة من تجارب الماضي، وما أحاط بها من تطورات معاصرة كالتأثر بتجارب المدارس القرآنية في المشرق العربي وفي تونس والإصلاحات التي عرفتها وخاصة من طرف الطلبة الجزائريين الذين درسوا في هذه البلدان[3].

حيث ظهرت جمعيات ونوادي ثقافية قامت بنشاط ثقافي واسع في مطلع القرن العشرين مما ساعد على رفع المستوى الفكري والثقافي وولد نشاطا سياسيا ملحوظا ويتمثل ذلك النشاط في تنظيم المحاضرات التربوية والدروس، نتج عنها نفض الغبار عن العقول وإيقاظها ودفعها للعمل والنشاط وتحسين المستوى الثقافي وطرق أبواب السياسة ومن بين هذه الجمعيات والنوادي، الجمعية التوفيقية ونادي التقدم وجمعية العمال ونادي صالح باي والجمعية الراشدية[4].

ومن بين العلماء الذين ساهموا في هذه المقاومة الثقافية "الشيخ عبد الحميد بن باديس" فقد كان له أعمال شاهدة على صدق نضاله وعمق تفكيره، تلك الانجازات التي بادر بها خاصة في فترة الثلاثينات من القرن العشرين والتي غذت الحركة الوطنية بالروح التي كانت تنبض بها، كإنشاء

---

[1]– عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، (1931– 1945م)، ط 1، دار البحث، الجزائر، 1981م، ص 51.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830– 1951م)، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 323.

[3]– المرجع نفسه، ص 242.

[4]– يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص 13.

الصحافة الحرة وتأسيس المطبعة الجزائرية "مطبعة الشهاب بقسنطينة"، تأسيس النوادي والجمعيات الفنية والرياضية، وفرق الكشافة الإسلامية، ليكون ذلك اسهاما في تنظيم الحياة الاجتماعية والمهنية وسبيلا من سبل التوعية[1].

3– الأوضاع الاقتصادية:

بعدما استولى المستوطنون على أجود الأراضي الزراعية، طوروا قطاعا زراعيا حديثا ساهم بنحو ثلثي الناتج العام للبلاد، وأهمل المحاصيل المعاشية وفي مقدمتها الحبوب، واتجه إلى التوسع في زراعة وإنتاج المحاصيل التجارية التي تخدم الاقتصاد الفرنسي والمصالح المادية للمستوطنين، وأهمها الأعناب لإنتاج الخمور، والحوامض، والتبغ وكذلك استغلال الحلفاء والفلين[2].

واتساع رقعة الزراعات التصديرية حول الجزائر إلى احدى كبار الدول المنتجة والمصدرة للخمور في العالم، وارتباط الزراعة الجزائرية بالاقتصاد الفرنسي إنتاجا وتصديرا[3].

وبذلك تبين لنا لماذا سعى الفرنسيون منذ احتلالهم الجزائر إلى تحقيق هدفهم المتمثل في نزع ملكيات الأهالي كشرط أساسي للاستيطان ومن ثمة إحكام السيطرة على الجزائريين[4].

أما ماليا ففي العقد الأخير من القرن التاسع عشر تمكن المعمرون من إقناع الحكومة المركزية بإعطاء الجزائر نوعا من الحرية في تسيير شؤونها بنفسها وفعلا فقد كان لسكان الجزائر ميزانية خاصة مستقلة ابتداء من سنة 1900م يسيرها المجلس المالي الذي أنشئ سنة 1889م، وأصبح الحاكم العام هو الذي يتخذ القرار النهائي لتنفيذ مقترحات المجلس المالي، مما زاد من قوة المعمرين في التحكم في مصير الشعب الجزائري والهيمنة على الميزانية[5].

---

[1]– رابح تركي، ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية (1900– 1940م)، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970م، ص ص 128– 129.

[2]– بشير بلاح، المرجع السابق، ص 253.

[3]– المرجع نفسه، ص 256.

[4]– فرحات عباس، المصدر السابق، ص 74.

[5]– المصدر نفسه، ص 95.

أما واقع الصناعة في الجزائر كان ضعيفا جدا، وبالخصوص الصناعة الأهلية التي ترتكز على الصناعات التقليدية، كصناعة الزرابي، حيث عملت السلطة الفرنسية على محاربة التصنيع بالجزائر لتتمكن من السيطرة على السوق الجزائرية وإبقائها سوقا مفتوحة لهم بلا حدود وبلا قيود[1].

4– الأوضاع الاجتماعية:

استعملت الإدارة الاستعمارية عدة وسائل، من أجل ضمان سيطرة المعمرين على الوضع بالجزائر، وكانت ترى بأن الوسيلة الوحيدة لضمان هذه السيطرة، هي سد كل الأبواب التي من شأنها أن تحسن من حالة الفرد الجزائري[2]، وهذا يؤكد لنا أن المعمرين الأجانب الذين جاؤوا إلى الجزائر من أماكن عديدة من أوروبا، كانوا يفكرون في تدعيم مصالحهم فقط، فالموضوع الرئيسي الذي كان يشغل بالهم هو الانفراد بالسلطة بالجزائر، وعدم السماح لحكومة باريس التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر، التي أصبحت منطقة امتيازات فقط[3]، والحديث عن المساواة والعدالة في الجزائر في تلك الفترة، كان من ضروب الخيال[4].

بحيث تحول الجزائريون من ملاك أرض إلى خماسين أو عمال يوميين أو موسميين مستعبدين، فاق عددهم مليون خماس عام 1914م، كانت أوضاعهم في غاية البؤس، ودخلهم لا يذكر، يقع بين 110 و315 فرنكا سنويا[5].

وقد أدى هذا الوضع إلى استفحال البطالة حيث فاق عدد العاطلين المليونين من أصل 3.2 مليون جزائري في سن العمل عام 1950م، وانهار مستوى دخل العائلات الجزائرية، فلم يتجاوز أجر

---

[1]– رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931– 1956م)، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 87.

[2]– عبد الرحمان بن براهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 158.

[3]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 225.

[4]– محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 30.

[5]– شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871– 1919م)، ج2، تر: الحاج مسعود بالعربي، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 219.

العامل اليومي 4 فرنكات عام 1920م، 8 فرنكات عام 1935م، 12 فرنكا عام 1942م، و350 فرنكا عام 1954م[1].

وقد ترتب عن هذه الممارسات ظهور نظام اجتماعي جديد قبضت فيه أقلية من الأوروبيين على زمام الأمور بيد من حديد، واستأثرت بجميع الحقوق والوظائف والموارد والثروات، وفي قاعه جمهور عريض من المسلمين المقهورين[2].

[1]– فرحات عباس، المصدر السابق، ص 113.

[2]– بشير بلاح، المرجع السابق، ص 253.

II– أوضاع تونس العامة:

1– الأوضاع السياسية:

بعد احتلال الجزائر خضعت تونس للحماية الاستعمارية الفرنسية في 12 ماي 1881م، ولكن اعتبارها محمية فرنسية خفف عن فرنسا وطأة وآثار الاستعمار العسكري المباشر متعظة بتجربة الجزائر، إلا أنها لاقت مقاومة مسلحة كانت أغلبها شعبية، عرفت الذروة في فترات وخفوتا في أخرى نتيجة أوضاع محلية وإقليمية، ولم تظهر الحركة الوطنية في صورة منظمة إلا في أوائل القرن العشرين[1].

بدأت النخبة المثقفة في تونس نضالها السياسي رافضة الهيمنة الاستعمارية الفرنسية، ولكن بوسائل سلمية، وهي البلد المغاربي الأكثر تأثرا بالمشرق العربي[2]، فالدين الإسلامي كان أحد العوامل الأساسية في رفض الاستعمار الفرنسي، سواء أثناء المقاومة الشعبية المسلحة، او خلال مرحلة المقاومة السياسية التي مثلها العلماء والتونسيون المتخرجون من المدارس الفرنسية، ولكن لم يكن الدين وحده المحرك الأساسي للمقاومة بشقيها، فنظام الحماية أفرز تناقضات سياسية واقتصادية واجتماعية[3].

ساهم التعليم العصري الفرنسي هو الآخر في نشر الأفكار الثورية الرافضة للاستبداد والذل فوقفت الطبقة التونسية المثقفة ضد سياسة الاستعمار والإقصاء، وأضاف الشبان التونسيون معارفهم الثقافية التي استمدوها من التعليم الفرنسي إلى جانب إخوانهم المثقفين باللغة العربية مما زاد الطبقة السياسية قوة وأدى إلى بلورة الحركة الوطنية التونسية، ففي 23 ديسمبر 1905م تأسست جمعية قدماء تلامذة المعهد الصادقي أو "الصادقية" برئاسة "خير الله بن مصطفى"، تهدف إلى التجديد وتغيير ذهنية الشعب التونسي والإسراع نحو التقدم والأخذ بأفكار عصره[4].

---

[1]– الحبيب ثامر، هذه تونس، مكتب المغرب العربي، مطبعة الرسالة، تونس، (د.س.ن)، ص ص 89– 90.

[2] –Charles André julien, L'Afrique du nord en marche nationalisme et souveraineté française, ed, Julliard, France, 1972, p 63.

[3]– علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنة التونسية (1904– 1934)، تر: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1999، ص ص 110– 112.

[4]– المرجع نفسه، ص 132.

وفي بداية سنة 1907م، أسس "البشير صفر"[1]، و"علي باشا حامبة" الحزب المعروف باسم "حركة تونس الفتاة"، للدفاع عن تونس وأصدروا جريدة أسبوعية "التونسي" "le tunisien"، هي أول حركة سياسية منظمة لعبت دورا بارزا قويا في مقاومة الاستعمار بتونس سنتي 1907- 1912م، لما كانت تتمتع به من تأييد شعبي قوي جعلها تساهم في دفع النضال إلى الأمام من خلال تنظيم الجماهير في أطر حزبية[2]، ولقد ساعدت الصحف الناطقة بخط الحزب الدستوري على تصلب المقاومة ضد نظام الحماية وفي هذا الصدد نشرت جريدة صوت التونسي في أكتوبر 1930 مقالا كتبه الشاذلي خير الله مما جاء فيه: "قد حافظ الشعب على خاصياته البدائية وطبيعته الخاصة اللتين تؤهلانه، عند الاقتضاء لأن يزيل الحجاب ويرفع عاليا راية الاستقلال ..."[3].

وساعدت تصرفات السلطة الفرنسية نفسها على انتشار الروح الوطنية، وحدثت في تونس حادثتان كبيرتان كان لهما أثر فعال في عودة انتشار الوعي القومي، فالحادثة الأولى تتمثل في انعقاد المؤتمر الافخارستي بعاصمة تونس في ماي 1930م، أما الحادثة الثانية، فهي الإعداد للاحتفال بذكرى خمسينية الحماية وإزاء هذه التصرفات اجتمعت الطبقة المثقفة التونسية في مؤتمر عام في 30 أكتوبر 1930م، قررت فيه مضاعفة نشاطها في مقاومة الاستعمار الفرنسي[4].

2– الأوضاع الفكرية والثقافية:

تميزت تونس قبل الحماية الفرنسية سنة 1881م أنها كانت مركزا ثقافيا وحضاريا هاما، ومعاهدها كانت تستقبل الطلبة التونسيين والعرب والمسلمين من عدة جهات، كما كان لجامع

---

[1]– **البشير صفر**: (1863– 1917) هو محمد بشير صفر، رئيس جماعة الحاضرة، تعلم بجامع الزيتونة وانتسب إلى الفوج الأول للمدرسة الصادقية، توجه إلى فرنسا لمواصلة دراسة الهندسة والرياضيات، غير أنه انقطع سنة دخول الاستعمار في صائفة 1881، عند استقراره ساهم في تأسيس الحاضرة، كما كان المؤسس الحقيقي للجمعية الخلدونية أما على الصعيد الإداري فقد أشرف على قسم المحاسبات بالوزارة الكبرى بين 1882– 1891م سمي رئيسا لجمعية الأوقاف في جويلية 1900م، بقي بها حتى سنة 1908م موعد تعيينه على رأس عمالة سوسة، توفي سنة 1917م، أنظر: محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900– 1962م، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، ص 84.

[2]– الطاهر بن عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830– 1900م)، ط 2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1975م، ص ص 39– 41.

[3]– علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص 502– 503.

[4]– الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص ص 89– 90.

الزيتونة دورا ممتازا في نشر الثقافة، حيث فتحت أبوابها لكل طلاب العلم والمعرفة سواء لمواصلة التعليم أو لحضور المحاضرات[1].

لكن في ظل الحماية الفرنسية تحطمت النهضة العظيمة التي عمت تونس في الماضي، وعلى ذلك أصيب التعليم الوطني منذ سنة 1881م باضطهاد وضرب المؤسسات القائمة بدل المساعدة على تطويرها وحين لم تستطع إلغاءها نظرا لمقاومة التونسيين، قامت بتجاهل مدارس التعليم العربي ومنعت عنها الدعم المالي، فآل إلى الاعتماد على موارده الخاصة[2].

كما منعت التعليم بالعربية في المدارس التونسية وسيطرت عليه فأخضعته لنظم فرنسية حتى أصبح الطالب يتقن الفرنسية ويفقه أسرارها ويتذوق أدبها، أما أدبه ولغته فهي أمور بعيدة عنه[3].

ولم تقف السياسة الاستعمارية عند التعليم، بل أخذت تحد من حريات التونسيين فصادرت الصحف التونسية وحق التجمع لا وجود له، وفي سنة 1908م حرمت سلطة الحماية طلبة الزيتونة حتى من حقهم تكوين جمعية[4].

3– الأوضاع الاقتصادية:

بفرض هيمنتها على تونس سنة 1881م، لجأت سلطة الحماية إلى تشجيع الهجرة الفرنسية، والأوروبية نحو تونس، وسنت قانونا للتجنس بالجنسية الفرنسية حتى يسهل التوظيف في الإدارة والسلك الحكومي، فتنوعت الوظائف في سائر المرافق خاصة منها في القطاعين الزراعي والصناعي[5].

لذلك تم الاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة تحت حجج ومبررات واهية مثل التهاون في استثمارها لتمكين الفرنسيين منها فاحتكر المالكون حوالي 90 % من الأراضي الزراعية التي تم الاستيلاء عليها ومصادرتها بعد انتصاب الحماية[6].

---

[1]– عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تر: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، لبنان، 1975، ص ص 57– 58.

[2]– المصدر نفسه، ص 33.

[3]– الطاهر بن عبد الله، المرجع السابق، ص ص 44 – 45.

[4]– يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919– 1934م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989م، ص 40.

[5]– عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 47.

[6]– علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص 134– 135.

وقد عرفت تونس تراجعا في إنتاج المحاصيل الزراعية خلال سنوات 1919- 1920م، خاصة في القمح والشعير إلى 166150 طن و88550 طن، بعدما كان معدل مردود المحصولين سنتي 1915- 1918م تباعا 224750 طن و198000 طن، مضاف لذلك غلاء المعيشة نتيجة انخفاض قيمة العملة التونسية[1].

أما من الناحية الصناعية فقد عملت فرنسا على تطور البلاد الطبيعي، فلم تنشئ فيها صناعة مهمة، وحتى الصناعات التي كانت موجودة قبل الحماية لم تبذل لها السلطة الفرنسية أي تشجيع، بل كانت حريصة على إبقائها حالها لتواجه مصيرها المحتوم، فقد اكتسحت فرنسا الأسواق الداخلية ببضاعتها الميكانيكية الرخيصة الثمن، حتى أصبح الصناع التونسيون الذين يمثلون الطبقة الوسطى يشكون الفقر والفاقة[2].

أما ثروة البلاد المعدنية فقد سلمتها السلطة الفرنسية إلى شركات احتكارية فرنسية مقابل إيجار سنوي زهيد، وكل المناجم وما تبعتها من صناعات آلية بيد الأجنبي ولا تعود بكبير الفائدة على تونس[3].

ولقد أثقلت السياسة الفرنسية كاهل التونسيين بعد الحرب العالمية الأولى بزيادات ضرائبية ورفع الأعباء الجبائية ومنها ما أصدره الباي من نظام جبائي جديد في 20 سبتمبر 1919م وبمقتضاه وقعت الزيادة في أداء الاستيطان[4]، والإقصاء من المناصب السياسية والإدارية الهامة أمام عجز الباي وأعوانه عن وضع حد لهذه المظالم، وهذا ما يعطي صورة مقربة على الحالة المزرية التي عاشها التونسيون جراء عبث الأجانب بهم[5].

[1]- علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 26.
[2]- الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص ص 49-50.
[3]- المصدر نفسه، ص 50.
[4]- علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص 192- 202.
[5]- الطاهر بن عبد الله، المرجع السابق، ص 51.

لكن من جهة أخرى رغم قسوة هذه الأحداث إلا أنها زادت من تلاحم التونسيين وتكتل العمال والفلاحين، ومبعثا على الانتفاض متى سمحت الفرصة، فسعى الاستعمار إلى فض كل تجمع سياسي ومحاربة كل حركة سياسية وعمالية مستقلة في مهدها[1].

4– الأوضاع الاجتماعية:

لقد انعكست السياسة الاقتصادية على الأحوال الاجتماعية للتونسيين فانتشرت الأمراض خاصة المعدية منها، وعم الفقر والجوع وكثر عدد المتسولين والمحرومين من أي ضمان اجتماعي يحميهم من حوادث الشغل وغيرها[2].

وعلى العموم فقد اتسمت الأوضاع الديمغرافية العامة في تونس من بداية الاحتلال إلى الحرب العالمية الأولى بالاستقرار والسكون، وتختلف المصادر حول تقدير العدد الإجمالي للسكان، إلا أن المتفق عليه أن الرصيد السكاني لا يفي بحاجة اقتصاد استعماري متغير، وهذا ما أدى إلى استخدام اليد العاملة الأجنبية من الأقطار المجاورة كطرابلس، والجزائر وإيطاليا[3].

[1]– الطاهر بن عبد الله، المرجع السابق، ص 52.

[2]– يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 38.

[3]– عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 51.

III– تأثير السياسة الاستعمارية على الجانب الثقافي في كل من الجزائر وتونس:

أ– في الجزائر:

اعتمدت فرنسا منذ السنوات الأولى لاحتلال الجزائر إستراتيجية صريحة وواضحة في الميدان الثقافي، كان من أبرز معالمها فرنسة الجزائر أرضا وشعبا حتى يتسنى لها تنشئة الأجيال الصاعدة في وسط ومحيط ثقافي واجتماعي مفرنس، وسلخ هذا المجتمع من جذوره العربية الإسلامية ملبسا ولسانا وتفكيرا وسلوكا[1].

- **العربية لغة أجنبية في الجزائر:**

أصدرت الإدارة الاستعمارية في 24 ديسمبر 1904م، قانونا يمنع أي معلم مسلم تولي التدريس باللغة العربية دون الحصول على ترخيص من السلطات، ولم تكتف بذلك بل عملت على تشويه التاريخ الجزائري وربطه بما وراء البحار، وتصوير التاريخ الإسلامي بالهمجية[2]، وأطلقت أسماء وأعلاما فرنسية على المدن والقرى والشوارع، وتوجت هذه السياسة بقانون 08 مارس 1938م الذي أصدره رئيس الوزراء الفرنسي "كاميي شوطون" الذي يعتبر العربية لغة أجنبية في بلادها ولا تدرس إلا برخصة خاصة من إدارة الاحتلال[3].

ولعل المستشرق "أوغست برنارد" أوضح عن الهدف الحقيقي للاستعمار الفرنسي بقوله: "إننا لم نحضر إلى الجزائر لإقرار الأمن، بل لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية... إننا نريد أن نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات... وسيتم هذا بعد نشر لغة فيكتور هوغو"[4].

---

[1]– جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830– 1944م)، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 135.

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900– 1956م)، ج 2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 1485– 1488.

[3]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص 63.

[4]– أوغيست برنارد: (1865– 1947م)، مؤرخ وجغرافي فرنسي، كان عضوا في أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية، أنظر: بن إبراهيم الطيب، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ط 1، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 51.

وأدى اختفاء المؤسسات التعليمية إلى اضطهاد اللغة الوطنية وهي العربية فقد اعتبرها الفرنسيون لغة أجنبية ميتة، وعلى هذا الأساس أهملوا تعليمها للجزائريين ولم يكن تعليمها في الدراسات العليا لغرض تثقيفي ولكن لتحضير بعض الإداريين والمترجمين وسمت الأساتذة المعنيين بتدريسها بأساتذة اللغة العربية الدارجة[1].

ونتيجة ذلك أصبحت العربية لغة أجنبية في بلدها وهذا أخطر مظاهر الاستلاب الثقافي فأية تبعية أدل على العبودية من حرمان المرء من لغته وهو في وطنه وبين أهله، فمن يتعلم لغة المحتل فهو بذلك يقوي المحتل ويستعين به لفرض هويته ووجوده داخل الوطن[2].

- **التعليم أداة للهيمنة:**

إن السياسة الثقافية بوصفها عنصرا فعالا في السياسة العامة، لا يمكنها أن تتطور إلى وفقها وانطلاقا من الأسس الإيديولوجية ذاتها، ولهذا كان على فرنسا تنشيط كل الأدوات الميسرة لتحقيق ذلك التوافق بين استراتيجية الدولة على المستوى الثقافي وبين التوجه السياسي الاستعماري[3].

ولعل أبرز هذه الأدوات "التعليم" حيث سعى الاستعمار من خلاله تحقيق مشروع فرنسة الجزائر واستئصال مجتمعها من مقوماته الأساسية، بفرض رؤية أخرى وتفكير مغاير لفكر المجتمع الجزائري[4].

وقد اقترنت انطلاقة التعليم الفرنسي لأبناء الجزائريين بإصدار وزير التعليم جول فيري مرسوم 13 فبراير 1883م بمجانية التعليم الابتدائي، لكن ليس بإجباريته، وكان ذلك السياسي يرى في

[1]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص ص 61– 62.

[2]– رابح تركي، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، منشورات A.N.E.P، الجزائر، 2001م، ص 81.

[3]– كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها ووجودها (1830– 1962م)، تر: نذير طيار، ط 1، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، (1437هـ– 2016م)، ص 44.

[4]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1980م، ص 160.

المدرسة سلاحا فعالا للقضاء على الهوية الوطنية[1]، لذلك وضعت السياسة التعليمية الفرنسية برامج تعليمية قائمة على تشويش أفكار الجزائريين وتشكيكهم في مسألة عروبتهم وإسلامهم[2].

وبالتالي وظفت المدرسة الفرنسية كأداة للهيمنة وخدمة المخطط الاستعماري لدرجة أنها اعتبرت من أهم الأدوات وهذا ما يؤكده تصريح الدوق دومال: "بناء مدرسة أحسن وأفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن، حيث كان الفرنسيون مقتنعين بأن التعليم وحده قادر لمزج العناصر البشرية المختلفة بفضل اختلاط الأطفال في مراحل التعليم الابتدائي خاصة"[3].

وبالرغم من أن المدرسة الفرنسية سعت إلى تكوين الجزائريين بناء على تعليم بسيط وضعيف لا يهدد المصالح الفرنسية، مع إبقائهم في وضعية التابع لسيده[4]، إلا أن معارضة المستوطنين لتعليم الجزائريين كانت مطلقة لتخوفهم من أن يصبحوا متعلمين ويشكلون خطرا على الاستعمار وذلك لأنهم كانوا يريدون إبقاء الأهالي في وضعية الجهل حتى لا يشكلوا خطرا على أسيادهم[5].

- **التنصير من خلال العمل الخيري:**

بعد استيلاء سلطات الاحتلال على الأملاك الدينية والأوقاف التي مثلت أهم موارد التعليم وهذا ما أكده "دي توكفيل" من خلال تصريحه: "لقد وضعنا أيدينا في كل مكان على هذه الأملاك ثم وجهناها لغير غرضها التي كانت تستعمل له"[6]، فكان ذلك ضربة قاضية للتعليم وتوقفت حلقاته مما أدى إلى هجرة العلماء[7]، الذين تم اضطهادهم وعزلهم عن العامة، فمن لا يخضع لهم يلقونه في

[1]– بشير بلاح، المرجع السابق، ص ص 271– 272.

[2]– عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 47– 48.

[3]– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1981م، ص 400.

[4]– عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 257.

[5]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 2010، ص 376.

[6]– عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 43.

[7]– يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الوسطى، ج 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 48.

السجون أو يقيدونه بقوانينهم الثقيلة، وعليه أفقرت الجزائر من العلماء وأغلقت المدارس والزوايا ولم يتركوا من الزوايا إلا التي تسير في ركابهم[1].

وبالمقابل سعت لاجتثاث الجزائريين من جذورهم الدينية والثقافية واستمالتهم إلى النصرانية بتوظيف العمل الخيري كبناء المستشفيات والمستوصفات للتطبيب حيث أوصى أحد قادتهم أنه: "يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء، ثم طبيب بعد ذلك"، مع إنشاء الملاجئ ودور الحضانة لاحتضان المشردين والأيتام[2].

وقد ركزت في حملاتها التنصيرية على منطقة القبائل خاصة، ومنعت تعليم اللغة العربية لهم ساعية لبث النعرات العرقية والجهوية لتمزيق وحدة الأمة، وهذا ما يكشفه الكاتب الفرنسي JEAN Morizot في كتابه "الجزائر القبائلية"، بحيث أن الاستثمار الثقافي المركز على منطقة القبائل هدفه ضمان علاقات تبعية ثقافية تستطيع استغلالها لخدمة مصالحها المستقبلية[3].

كما ساعد المبشرون في أوربة "Européniser"، الأهالي بأن غرسوا في أذهانهم ممارسات ثقافية واجتماعية كانت تحدث خللا بالمعالم العربية الإسلامية التقليدية[4]، لكن الدين الإسلامي شكل الجدار الواقي ضد الفرنسة ما جعل السلطات الفرنسية تعتمد سياسة ثقافية موجهة ضد الإسلام وتقاليده خدمة للمصالح العليا للدولة الفرنسية[5].

- **طمس التاريخ لشرعنة الاحتلال:**

لشرعنة الوجود الفرنسي تاريخيا، لجأت سلطة الاحتلال إلى توظيف الماضي الروماني لتحقيق ذلك، بحكم أسبقيته على الفتح العربي الإسلامي من خلال دعم علم الآثار الكلاسيكي[6]، بحثا عن بقايا الكنائس ورفات القديسين لعلها تستعين بها لإقناع الجزائريين بماضيهم المسيحي المزعوم[7].

---

[1]– محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965م، ص 22.
[2]– بشير بلاح، المرجع السابق، ص 276.
[3]– المرجع نفسه، ص ص 277– 279.
[4]– كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 122.
[5]– المرجع نفسه، ص ص 86– 87.
[6]– نفسه، ص 60.
[7]– بشير بلاح، المرجع السابق، ص ص 278– 279.

حيث يذكر الجنرال فوربيقي "Faure-biguet": "نلتقي برجال من العرب، يروننا نقرأ الحروف الرومانية كما نقرأ حروف لغتنا... هم يرون أننا بمجيئنا إلى إفريقيا نقوم باستعادة بلد طردنا منه أسلافهم"[1]

ولم تتوقف الأساليب الاستعمارية عند هذا الحد بل تجرأت حتى على نهب التراث العربي الإسلامي مثل المخطوطات والوثائق والكتب، فقد كان ضباط الجيش الفرنسي ورجال الدين المسيحيين الذين رافقوه في عمليات الغزو ما بين 1830– 1900م والتي استمرت مدة سبعين عاما، ينهبون المكتبات الجزائرية التي يعثرون عليها في مختلف جهات القطر سواء كانت عامة أو خاصة ويرسلونها بمحتوياتها إلى ذويهم في فرنسا، أو يبيعونها لتجار الكتب الذين يأخذونها إلى أوروبا هذا فضلا عن المكتبات والكتب التي أحرقوها أو بعثروها كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر سنة 1847م[2].

وما يمكننا استخلاصه أن السياسة الفرنسية ارتكزت على أربعة أسس تتقاطع عند نقطة واحدة محورية هي القضاء على معالم الهوية الوطنية من خلال التفقير، التجهيل، الفرنسة والتنصير.

وكما يذكر شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله: "بينما كان الجيش الفرنسي يقوم في حرب الجزائريين وتشريدهم، وبينما كان المستوطنون (الكولون) يغتصبون أرضهم وديارهم، كان المفكرون الفرنسيون يحاربون الجزائريين أيضا بسلاح الأفكار المدمر بالضرب والطعن في كل المقومات الذاتية للجزائر... وأمام ضعف الدفاع الفكري الجزائري طيلة قرن تقريبا، كانت ضربات المفكرين الفرنسيين صائبة إلى حد كبير، وكادت أن تنفذ إلى العظم والمخ"[3].

[1]– كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 61.

[2]– رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931– 1956)، دراسة تربوية للشخصية، الجزائر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 96– 97.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، المرجع السابق، ص 269.

لكن صمود الشعب الجزائري وتمسكه بقيمه وتصديه للسياسة التعليمية الفرنسية من قبل مجموعة العلماء من بينهم (ابن العنابي، الكبابطي، عبد القادر المجاوي، محمد بن أبي شنب)، الذين طالبوا بإصلاح الأوضاع حيث تزامن ذلك مع بروز اليقظة الفكرية مع مطلع القرن العشرين.

ولعل من أبرز من نادوا بضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية نهاية القرن التاسع عشر، الشيخ المجاوي الذي ألف كتابا بعنوان "إرشاد المتعلمين" والذي يعبر عن سياسة الاستلاب والمسخ الناتجة عن التعليم الفرنسي فقد دعا إلى الأخذ بأسباب الحضارة بطريقة محايدة[1].

وفي الوقت الذي كانت فيه اللغة الفرنسية تتقدم بوتيرة متسارعة كانت ثقافة أهلية قد بدأت في النشوء[2].

وطبعا هذا ما ستتم معالجته والتطرق إلى حيثياته في الفصل الموالي.

ب– في تونس:

شهدت تونس بدءا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي بوادر نهضة ثقافية إصلاحية، كان حجر الأساس فيها إنشاء مدرسة باردو العسكرية سنة 1860م، ثم المعهد الصادقي سنة 1876م لنقل العلوم العصرية بهدف تحقيق نهضة تمكن تونس من اللحاق بركب الدول المتقدمة[3].

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هو: كيف كان تأثير السياسة الاستعمارية على الواقع الثقافي في تونس؟

- **التعليم بين الانتقائية والازدواجية:**

بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م، تم إحداث إدارة للعلوم والمعارف أوكلت مهمة الإشراف عليها للمستعرب "لويس ماشويل" والذي شرع في إصلاحات ركزت على

[1]– أحمد مريوش، موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي خلال فترة الاحتلال، مجلة حولية المؤرخ، مجلة دورية، إصدار اتحاد المؤرخين الجزائريين السداسي الثاني، 2010، ص 260.

[2]– كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 45.

[3]– محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 291.

ضمان تدريس اللغة الفرنسية في كافة المدارس القائمة في الإيالة والاهتمام بالدرجة الأولى بالمدارس الفرنسية التي بلغ عددها آنذاك 24 مدرسة تسيرها جمعيات دينية مسيحية[1]، وبالتوازي مع هذا النمط التعليمي أحدثت سلطة الحماية نوعا من المدارس سمته المدارس الفرنسية– العربية وهي مدارس تعليمها مزدوج والتي كان الغرض منها التغلغل لغويا وثقافيا في الناشئة لإرساء قيم الولاء للدولة الحامية، هذه المدارس ذات التعليم المزدوج لم يكن للغة العربية أي حظ فيها، حيث مكثت إلى غاية سنة 1946م مادة اختيارية في امتحان الشهادة الابتدائية، رغم استمرار المطالبة بجعل التعليم الابتدائي في تونس باللغة العربية[2].

بينما ظل التعليم الزيتوني والصادقي ومدارس الكتاتيب مهمشة، ولم تكن السلطة الفرنسية تنظر إلى هذا التعليم بعين الرضا، بل تعمل على مقاومته ومنع إدخال الإصلاح عليه[3]، وحين لم تستطع إلغاء هذه المؤسسات القائمة نظرا لمقاومة التونسيين، قامت بتجاهلها ومنعت عنها الدعم المالي مما جعلها تعتمد على مواردها الخاصة[4].

- **الصادقية والخلدونية وحتمية إصلاح التعليم:**

ولقد وصف الشيخ محمد السنوسي (1851– 1900م) الوضعية التي آلت إليها البلاد التونسية جراء السياسة التعسفية قائلا: "امة فؤادها عليل، قد منيت أطوارها بالتبديل وتلاشت منها القوى... فأصبحت رهينة الآلام ... وأحاط بها أعداؤها"[5].

وجراء هذا الوضع قام خريجو المدرسة الصادقية بحملة صحفية للمطالبة بإصلاح التعليم بمدرستهم التي حادت عن الهدف الذي رسمه لها مؤسسها خير الدين باشا وتحولها إلى مدرسة خاصة بتخريج مترجمين فرنسيين، وذلك بحذف اللغة الإيطالية والتركية وتدريس العلوم الأخرى بالفرنسية فقط وتراجع اللغة العربية لتصبح اللغة الثانية، إضافة إلى سياسة التمييز التي سلكتها إدارة المؤسسة سواء

[1]– محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص ص 312– 317.

[2]– الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 57.

[3]– المصدر نفسه، ص 59.

[4]– عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 33.

[5]– محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر، تونس، (1427هـ– 2006)، ص 89.

من حيث برمجة اللغة العربية أمام اللغة الفرنسية، أو معاملتها للطلبة، كما انخفض عدد الأساتذة التونسيين وتم تعويضهم بفرنسيين[1]، نتج عن هذا انخفاض عدد الطلبة فبعدما كان عددهم عند انطلاق المدرسة سنة 1875م 150 تلميذا، انخفض ليصبح سنة 1899م 91 تلميذا تم 75 تلميذا سنة 1907م[2].

تداركت دولة الحماية الضجة التي أحدثها خريجو المدرسة الصادقية وذلك بإشراك أحد خريجيها في رئاسة المدرسة وهو الأستاذ محمد عطية (1903– 1987م)[3].

كما لاحظ تلاميذ الجامع الأعظم وخريجو المدرسة الصادقية وغيرها من المدارس القائمة حاجتهم إلى العلوم الفكرية الخارجية عن العلوم الأصلية، فسعوا إلى إحداث جمعية علمية تهتم بتكميل ما يحتاج إليه مزاولو العلوم الإسلامية من العلوم التي تندرج في برامج تعليمهم[4].

لذلك تم تأسيس الجمعية الخلدونية بمقتضى القرار الصادر في 22 ديسمبر 1896م[5]، حيث كانت النخبة الزيتونية بأمس الحاجة إليها لتوسيع نطاق المعارف لديها من خلال تقديم دروس ومحاضرات باللغة العربية في علوم الحساب والجغرافيا والتاريخ والصحة وغيرها، إذ لخص محمد الأصرم (1866– 1925م)، أهداف الجمعية بقوله: "يستجيب إنشاء الخلدونية إلى حاجة واضحة لفك الحصار المضروب على دراسة العلوم العصرية بالجامع الأعظم التي وقع تغييبها فيه بسعي من سلطات الاحتلال... وما من شك أن مثل هذه الدروس قد حققت أفضل النتائج، حيث فتحت أمام الطلبة آفاقا عريضة من المعرفة وطرق البحث العصرية"[6].

---

[1]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج 2، المرجع السابق، ص 651.

[2]– عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 70.

[3]– محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص 312.

[4]– محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين (13–14هـ/ 19–20م)، راجعه محمد المختار العبيدي، ط1، بيت الحكمة، تونس، 2009م، ص 69.

[5]– محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ص 90.

[6]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج 2، المرجع السابق، ص 659.

ثم تم الإعلان في 23 ديسمبر 1905م عن تأسيس جمعية قدماء تلاميذة المعهد الصادقي أو الصادقية برئاسة "خير الله بن مصطفى" (1876م- 1965م) الهادفة إلى التجديد أو تغير ذهنية الشعب التونسي والإسراع نحو التقدم والأخذ بأفكار عصره.

حيث صرح "علي باش حامبة" أحد الساعين إلى عصرنة تونس وأحد الناشطين والمؤسسين لجمعية قدماء الصادقية قائلا: "لبلوغ ذلك علينا أولا أن نجتهد للحفاظ على هذا التفكير التجديدي الذي كان المعهد الصادقي مهدا له، وتنميته لدى رفاقنا تم نشره بين عامة الشعب"[1].

لكن ما ينبغي الإشارة إليه أن السلطة الفرنسية اتجهت في سياستها التعليمية في تونس إلى محاربة اللغة العربية من جهة والوقوف بصفة عامة في سبيل انتشار التعليم من جهة أخرى، فهي لا تعمل على توسيع نطاقه إلا مرغمة وتحت ضغط الرأي العام التونسي[2]، فالسلطة التعليمية بالإيالة كانت خاضعة لضغط المعمرين، حيث كثيرا ما عبر فيكتور كارنير الناطق باسم المعمرين عن مخاوفه من إصلاح التعليم ونشره بين الشباب التونسي قائلا: "إن أخطر أعدائنا هم أولئك الشبان المنحدرين من الأسر البرجوازية والذين ربتهم مديرية التعليم على الطريقة الفرنسية... ولو قامت انتفاضة في تونس لكانوا على رأسها"[3].

وبالفعل حدث ما توقعته سلطة الحماية فقد كانت هاتين المدرستين منطلق الوعي السياسي في تونس فغالبا ما كانت نشاطاتها الثقافية تخفي أبعادا سياسية وبالتالي فإن التعليم العصري الذي أدخله الاستعمار الفرنسي إلى تونس، ساهم في نشر مبادئ الثورة الفرنسية في الأوساط التونسية المثقفة هذه المبادئ الداعية إلى الحرية والمساواة والإخاء والرافضة للظلم والاستبداد، فكانت هذه المبادئ تتناقض تماما مع ما يفعله الاستعمار في تونس حيث انكشفت حقيقته أمام الرأي العام التونسي، فقد كتبت جريدة "Le Temps" في أفريل 1906م: "إن الشباب الذي يتعلم الفرنسية ولا

[1]- علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 132.

[2]- الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص ص 57- 61.

[3]- شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تر: البشير ابن سلامة، محمد مزالي، ط 2، الشركة التوزيعية للتوزيع، تونس، 1985م، ص ص 76- 77.

يسمع في أوساطنا وأدبنا إلا حديثا عن العدالة والحرية والمساواة، لا يقبل أن يعامل معاملة المغلوب الذي ليس له حق حتى ولو كان في التطلع إلى وضع أحسن[1].

فالتعليم الفرنسي العصري كان له دور في نشر الأفكار الثورية الرافضة للاستبداد والذل، ولو أن سلطة الحماية كان هدفها من تشجيعه السيطرة على التوجه المعنوي والفكري للشعب التونسي عن طريق محاربة التعليم باللغة العربية ومحاربة الدين الإسلامي وتكريس فكر يؤمن بالحضارة الغربية[2].

لكن بالنسبة للتونسيين كانت الغاية من إصلاح التعليم مواصلة العمل الذي باشره خير الدين باشا قبل الحماية الفرنسية لتكوين إطارات كفأة لتسيير شؤون البلاد، كان شيوخ الزيتونة وقدماء تلاميذ الصادقية منفذين لهذا المشروع[3].

وما يمكننا استخلاصه أن حاملي الشهادات شكلوا خطرا على المصالح الاستعمارية إذ حاربوا الاستعمار بأفكاره وفلسفاته الداعية لاحترام حقوق الإنسان والقانون وتمكنوا من استغلال التناقضات الموجودة بين الممارسات على أرض الواقع والمبادئ التي كثيرا ما كان يتباهى بها المستعمر الفرنسي الذي ورغم سعيه جاهدا من خلال الوسائل المختلفة التي وظفها لمحاربة تعليم اللغة العربية، ومحاربة الدين الإسلامي، فقد أخفق في ذلك إذ نجد أن الوعي الوطني لدى المجتمعين الجزائري والتونسي كان وليد السياسة الاستعمارية وتناقضاتها كما مكن التمسك بالدين الإسلامي المجتمعين من الحفاظ على كيانهم وشخصيتهم المتميزة، وتمكنا بفضل تعاونهما وتلاحمهما وتواصلهما من إفشال المخطط الاستعماري والذي كانت إجراءاته أقل همجية في تونس مقارنة بمعاناة المجتمع الجزائري الذي كان الأكثر عرضة لأساليب القمع المادي والمعنوي.

[1]– علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 122.

[2]– الطاهر بن عبد الله، المرجع السابق، ص ص 45– 50.

[3]– علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 132.

خلاصة الفصل:

وعليه نخلص إلى أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس اعتمد ممارسات وسياسات تعسفية في حق الشعبين الجزائري والتونسي قائمة على إلغاء الحقوق السياسية، وطمس معالم الهوية الوطنية ونتيجة هذا التهديد الخطير والظروف القاسية التي مرت بها الجزائر وتونس خاصة خلال الفترة ما بين 1875- 1939م، إضافة إلى التطورات الخارجية ظهرت نخب وشخصيات وطنية في كلا البلدين أسهمت في خلق حركية فكرية وثقافية وهذا ما سيتم التطرق إليه في الفصل الأول.

الفصـل الأول

الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر وتونس

I. الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر.

II. الحياة الثقافية والفكرية في تونس.

III. انعكاساتها في الجزائر وتونس.

بما أن الأمن الهوياتي للشعبين الجزائري والتونسي أصبح مهددا من قبل الاستدمار الفرنسي الذي بالغ في انتهاج سياسة قمعية مادية ومعنوية خاصة في الجزائر، الأمر الذي فرض على المجتمعين الجزائري والتونسي مناهضة هذه الأساليب الاستعمارية، ليكون التعليم أهم القضايا الكبرى التي ركز عليها الرعيل الأول من المثقفين الجزائريين والتونسيين، كما اتخذوا من النشاط الصحفي وإنشاء الجمعيات والنوادي وكذا النشاط المسرحي آليات ووسائل للنهوض بالأمة، واستقطاب أ بناء الشعبين الجزائري والتونسي وإعدادهم نفسيا وفكريا لمواجهة مشروع الاستلاب الثقافي والمساهمة في الحركية الثقافية التي تجلت ملامحها في البلدين خاصة مع مطلع القرن العشرين، وهذا ما سيتم التطرق إلى حيثياته في الفصل الأول.

I- الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر:

لم تأت الحركة الثقافية الجزائرية بمحض الصدفة بل جاءت كنتيجة حتمية لعدة عوامل أثرت بشكل كبير في نمو الفكر الجزائري وتوعيته وتطويره، وبدأت بوادر النهضة واليقظة الثقافية الجزائرية بالظهور، حيث حاول مجموعة من الزعماء والمثقفين استرجاع الهوية العربية الإسلامية، وتعتبر هذه الفترة انطلاقة قوية في التاريخ الثقافي الجزائري وظهور أنشطة ثقافية مختلفة من نوادي وجمعيات وصحافة وانتشار مدارس التعليم العربي الحر، وتطور الحركة الأدبية والنشاطات الثقافية والفنية كالنشاط المسرحي.

أولا-النشاط التعليمي والمدارس:

وقبل الحديث عن نهوض التعليم ولاسيما العربي منه في الجزائر، نختصر الأسباب الداخلية والخارجية لظهور النهضة الثقافية والفكرية في الجزائر فبالنسبة للأسباب الداخلية نجد منها ما هو متعلق بقسوة الاستعمار وفظاعته وجبروت المستعمرين وعداوتهم والآخر متعلق بدعاية العلماء المصلحين الذين يمثلون باكورة النهضة إلى الأخذ مما ينفعنا من الحضارة الغربية والتمسك بالدين الإسلامي، وتنبيههم لأهمية الصحافة في إيقاظ الشعوب وفضح المستعمرين، إضافة إلى دور البعثات العلمية إلى تونس وتعليم خريجيها أساليب التربية والتعليم الحديثة والهجوم على الاستعمار وأذنابه[1].

أما الأسباب الخارجية فتتمثل في الحرب العالمية الأولى التي أيقظت دولا كثيرة من سباتها ومن بينها الجزائر، كما كان للنهضة في مصر والمشرق العربي أبلغ الأثر في نفوس الجزائريين خاصة أثر زعمائها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، إضافة إلى أثر العلماء الجزائريين المهاجرين إلى المشرق العربي للتعريف بالقضية الجزائرية[2].

[1]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص 12- 13.

[2]- المرجع نفسه، ص 27.

أ-التعليم العربي الحر:

عرف انتشارا كبيرا في الجزائر من خلال الكتاتيب والزوايا والمساجد رغم التضييق الممارس عليها من طرف الاستعمار الفرنسي حيث هدم الكثير منها وحول الباقي إلى كنائس وثكنات وإسطبلات ومراكز إدارية وغيرها وأغلق البعض منها، لأنها كانت تمثل عائقا ضد السياسة الفرنسية والتنصير والتجهيل، إلا أن هذا التضييق لم يمنع هذه المراكز التعليمية من مواصلة دورها التعليمي والإرشادي[1].

ساهمت الكتاتيب في المحافظة على اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية، وقامت بدور فعال في محاربة الأمية، كما ظلت الزوايا المركز الأساسي للتعليم حيث قدر عددها حسب إحصاء سنة 1871م بـ 2000 زاوية موزعة على القطر الجزائري، تعلم حوالي 28000 تلميذا[2].

أما المساجد تمثل مكانا للعبادة ومركزا للتربية والتعليم كان لها دورا بارزا للوقوف في وجه سياسة التجهيل والتنصير، وذلك بتعليم أبناء المجتمع الجزائري اللغة العربية وأصول الدين، كما حافظت على تقاليد البلاد وحرمة الإسلام، وفي وقت غش الجزائر ضباب الجهل كان المسجد بالمرصاد، فكانت منارة وسيلة أشغلها العلماء والأئمة لإلقاء دروسهم وخطبهم المليئة بالوعظ والإرشاد وإنكار البدع والأمر بالمعروف[3].

كما كان للمساجد دورها في التعليم من خلال جهاد علمائها التعليمي والوقوف في وجه الاحتلال منهم الشيخ حمودة المقايسي، الإمام خليل مفتي المالكية كان من أبرز المدرسين في المسجد الأعظم، وتخرج على يده العديد من العلماء منهم حسن بن بريهمات عبد الحليم بن سماية، أحمد بوقندورة، وقد كان في العاصمة وحدها حوالي 120 مسجدا كالجامع الكبير وجامع سيدي رمضان،

[1]- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، (ط. خ)، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 169- 170.

[2]- آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال، دراسة نفسية وتربوية مخبر الممارسات النفسية والتربوية، ع 7، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ديسمبر 2011م، ص ص 73-74.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص 26.

كان يقوم فيها علماء أجلاء بتدريس علوم العربية والشريعة والمنطق والحساب والطب والفلك منهم مصطفى القديري الذي تولى الإفتاء بالجامع الأعظم وأحمد بوقندورة بالجامع الجديد[1].

وبذلك استطاع التعليم العربي الحر أن يحافظ على الروابط المشتركة المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي وبالتالي الشخصية العربية الإسلامية للجزائر كما ساهم في تخريج نخبة من العلماء والمصلحين الذين لعبوا دورا في النهضة الجزائرية مع مطلع القرن العشرين منهم: عبد الحليم بن سماية المولود بن الموهوب، حمدان لونيسي ... وغيرهم[2].

لقد كانت إدارة الاحتلال تفرض رقابة شديدة على التعليم في المساجد بحيث عينت مفتشين يراقبون حركة التعليم بها، وقد كان هؤلاء المفتشين يعدون تقارير عن دروس التلاميذ والمدرسين، وفي هذا الصدد يقول سعد الله أنه بالاعتماد على تقارير المفتشين أمكن تقدير إعدادهم في السنوات التالية: في سنة 1905م بلغ عددهم حسب تقرير المفتش (Motylinski) 17 تلميذا من بينهم محمد كحول، أما في سنة 1908م فقد بلغ عددهم 32 تلميذا من بينهم ابن باديس (عمره 25 سنة)، ومن بين هؤلاء التلاميذ 11 من قسنطينة والباقي من خارجها وكان يتم تدريس النحو بالأجرومية وألفية بن مالك وذلك يوم الخميس والأحد والثلاثاء، كتاب الحساب للأخضري يوم الخميس، الأدب العربي بمروج الذهب، الفقه بمختصر الشيخ خليل يوم السبت...[3]، عددهم قليل جدا مع ارتفاع نسبة الأمية والسبب السياسة الاستعمارية.

وفي سنة 1913م (عهد المدرس عبد المجيد بوجمعة)، بلغ عدد التلاميذ 63 وهذا حسب تقارير المفتشين وكان حوالي 20 من التلاميذ من مدينة قسنطينة أما الباقون فمن خارجها من باتنة المسيلة، سطيف، بجاية... إلخ[4].

---

[1]- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تج: خير الدين شترة، ج 1، ط2، دار كردادة، الجزائر، 2013، ص 73.

[2]- عبد النور خثير، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، م.و.د.ب،ح،و،ث،ن، (د.م)، 2007، ص 89.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج 1، المرجع السابق، ص 141.

[4]- المرجع نفسه، ص 142.

ويمكن أن نستنتج من خلال مجيء الطلبة للدراسة من مختلف أنحاء القطر أن له أهمية ومساهمة كبيرة في نشر التعليم العربي والحفاظ على الشخصية العربية في مختلف أرجاء الوطن.

فعادة ما يربط بعض الباحثين ظهور التعليم الحر في الجزائر بظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويعرفونه على أساس أنه التعليم الذي أنشأته الجمعية، لكن الحقيقة أن أولى المدارس الحرة ظهرت قبل ذلك في مطلع القرن العشرين، وأولى التجارب الناجحة في هذا المجال في المدرسة "الصديقية"، التي أسسها عباس بن جمانة بمدينة تبسة سنة 1913م، والتي تعتبر أولى مدرسة نظامية حرة في الجزائر[1].

بعد الحرب العالمية الأولى تعددت التجارب والمحاولات لإنشاء مدارس حرة، ففي الجزائر العاصمة نجد مدرسة الشيخ مصطفى حافظ، وفي تلمسان تم فتح مدرسة حرة سنة 1920م لكن سيتم غلقها بعد زيارة الأمير خالد لها[2].

على هذا الأساس يعرف سعد الله التعليم الحر أو المدارس الحرة، كما يسميها كما يلي: "نعني بالمدارس الحرة تلك المؤسسات التعليمية التي نشأت منذ أوائل هذا القرن، ثم انطلقت انطلاقة كبيرة منذ حوالي 1920م على يد أفراد وجماعات لنشر التعليم العربي الإسلامي في الجزائر، ويدخل في هذا التعريف المدارس التي قامت في المدن والأرياف والتي كانت تحفظ القرآن الكريم في الأساس أو التي أضافت إليها مواد أخرى أصبحت تطلق على نفسها المدرسة العصرية أو الحديثة"[3].

ولضمان التعليم للأطفال الجزائريين الذين لم يجدوا لهم أماكن في المدارس الفرنسية قد أشار إلى ذلك "الشيخ البشير الإبراهيمي" في قوله: "إن مدارسنا عامرة بهذا الصنف من الأطفال وهو

[1]- محمد صالح ناصر، القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب، معهد الحياة نموذجا، ع 1، (د.م)، جانفي 1998، ص 72.

[2] -Colonna Funny , Instituteurs Algériens 1883- 1939, s,t,o,p,u, alger, 1975, p 32.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج3، المرجع السابق، ص ص 238- 239.

الصنف المتشرد الضائع الذي لم يجد إلى التعليم الحكومي سبيلا، وإن عدده لكبير، إنه يقارب التسعين في المائة من أبناء الأمة..."[1].

ومن نماذج مدارس التعليم العربي الحر والتي لا يعرف بالضبط عددها نظرا لوجود أرقام مختلفة وبتقديرات متباعدة، نذكر منها:

- **مدرسة دار الحديث بتلمسان[2]:**

وتم تدشينها في صباح الاثنين 22 رجب 1354 هـ الموافق لـ 27 سبتمبر 1937 وذلك بحضور المكتب الإداري للجمعية وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، حيث ألقى هذا الأخير كلمة الافتتاح مجد فيها هذا العمل وافتخر بدوره، وتوقع اتحاد جميع المسلمين على حب الإسلام حيث قال: "إن هذه المدرسة هي الشاهد الذي لا يكذب على صدق النهضة الإسلامية العلمية ونضوجها ووصولها إلى درجة الكمال التي يفرح بها العاملون ويأس منها الظالمون"[3].

- **مدرسة الشبيبة بتلمسان:**

تم افتتاحها سنة 1920 وتعيين "الشيخ محمد مرزوق" كأول مدير لها كانت تدرس من الساعة السادسة مساءا للصغار ومن الساعة السادسة إلى العاشرة ليلا للكبار، تمثل نظام التعليم بها كما يلي:

- تعليم القراءة والكتابة واللغة العربية.
- تعليم فنون التدبير المنزلي، خياطة، نسيج، طرز، طهي.

لكن المدرسة لم تعمر طويلا إذ نظرا لتوجهها الوطني ستقدم الإدارة الاستعمارية على إغلاقها وذلك بعد زيارة الأمير خالد لها أثناء تواجده بتلمسان سنة 1932م مبررة موقفها هذا بكون

[1]- محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإمام البشير الإبراهيمي (1929-1940)، جمع وتحقيق: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، ط 1، الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 247.

[2]- أنظر الملحق رقم (01).

[3]- محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 308.

الأناشيد التي كان يرددها التلاميذ كانت تشوش وتزعج مركز الشرطة الذي كان موقعه مقابلا للمدرسة[1].

- **المدرسة الكتانية:**

في إطار صراعهم مع الحركة الإسلامية عمل شيوخ الطرق والزوايا على تطوير هياكل المدرسة الخاصة بطرقهم وزواياهم وإدخال تغييرات جوهرية على البرامج التعليمية وبناء مدارس جديدة لمختلف مستويات التعليم، وتوظيف أساتذة من خريجي جامعة الزيتونة وإرسال الطلبة إلى مختلف الجامعات الإسلامية كالزيتونة والقيروان والأزهر هذا الصراع جاء على أثر فشل شيوخ الطرق والزوايا في إعطاء التوجه الذي يخدم مصالحهم للنشاط جمعية العلماء المسلمين فقادوا مقاومة هيكلية وثقافية للحركة الإصلاحية بزعامة الشيخ "مولود الحافظي" وأسسوا جمعية علماء السنة الجزائريين في 15 سبتمبر 1932م، وأنشئوا جريدة الإخلاص في نفس السنة[2].

- **معهد الحياة الثانوي بغرداية:**

ظهر معهد الحياة في إطار النهضة التعليمية التي عرفتها منطقة وادي ميزاب ابتداء من نهاية الحرب العالمية الأولى حيث بدأت الجمعيات الخيرية التي تكونت على أيدي علماء المنطقة في أواخر العشرينيات من القرن الماضي في نشر التعليم العربي الحر والإصلاح الديني والاجتماعي، فتم بذلك تأسيس هذا المعهد سنة 1925م بالقرارة وتعزز دوره بتأسيس "جمعية الحياة الخيرية"، سنة 1937م، التي تولى رئاستها منذ البداية الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض الذي كان عضو في مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعدة سنوات[3].

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، رواد النهضة والتجديد في الجزائر 1989- 1965م، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص 320.

[2]- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1900 إلى 1925م، تر: محمد يحياتن، (د ط)، دار الحكمة، (د م)، 2007م، ص 168.

[3]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص 76.

- **مدرسة السلام:**

تأسست حوالي سنة 1929 م تكونت في حي باب الجديد بالقصبة في الجزائر العاصمة، وقد وجدت إقبالا كبيرا من المواطنين على التعليم بها وتقديم المساعدة السخية لها كي تؤدي رسالتها التربوية والقومية على الوجه المطلوب[1].

- **مدرسة العربية القرآنية:**

تأسست في حدود سنة 1929م بالعاصمة من طرف السيد محمد حافظ أحد خريجي مدرسة الثعالبية الرسمية بالعاصمة والأستاذ السابق لمدرسة الشبيبة الإسلامية وشرع لها منهاجا جديدا للتعليم العربي المعاصر[2].

وتعتبر الكشافة أيضا من مظاهر النهضة فالكشافة منظمة عالمية لتربية الشباب على الأخلاق الفاضلة والوطنية الصادقة والأخوة الإنسانية ... وتقوم مبادئها على أساس وطني واضح فهي تدعوا إلى الترابط والتآخي الإنساني ... وهي حركة رياضية اجتماعية ترفيهية للتربية والتنظيم وهي تقوم على تنظيم الناشئين- خارج أوقات الدراسة- في فرق وأفواج بإشراف قادة ومدربين[3].

وبالنسبة للجزائر فقد ظهرت أول حركة كشافية بها خلال الحرب العالمية الأولى عام 1914م وعلى أيدي الفرنسيين إذ رأوا فيها أداة صالحة لتربية أبنائهم وكانت صورة طبق الأصل للحركة الكشافية بفرنسا حيث كانت لها جامعات واتحادات تمثلها مجالس عليا في الجزائر كما في فرنسا وعلى حد تعبير الأستاذ محمد الصالح رمضان كانت الكشافة في الجزائر قبيل الثلاثينات فرنسية قلبا وقالبا والجدير بالذكر أن بعض الشبان الجزائريين الذين بهرهم الزي الخاص بالكشافة والنظام والانضباط انخرطوا في صفوف الكشافة الفرنسية بنسبة أقل مقارنة مع إقدام الأطفال الفرنسيين إلى أن جاءت الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر عام 1930م، حيث شاركت الكشافة الفرنسية في

[1]- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1956م)، المرجع السابق، ص 135.

[2]- المرجع نفسه، ص 137.

[3]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د س)، ص 25.

عرض التحدي والاستفزاز للشعور الوطني فانسحب الكشافون الجزائريون من المنظمات الكشفية الفرنسية التي تدربوا وتكونوا في أوساطها فكونوا أفواجا كشفية وجمعيات ونوادي محلية في مختلف المناطق وهي البذور الأولى لنشأة الحركة الكشفية الجزائرية بعد الكشافة الفرنسية للجزائر[1].

ب- التعليم المفرنس:

عملت السلطات الفرنسية على إنشاء المدارس الاستعمارية دون أن تخرج عن نطاقها التجهيلي، حيث وضح رامبو وهو أحد الجمهوريين البارزين إستراتيجية المدرسة الفرنسية في الجزائر من خلال قوله: "علم واحتل، احتل بالعلم، علم لتحتل"، وبذلك سعت الإدارة الفرنسية منذ السنوات الأولى للاحتلال بتأسيس بعض المدارس، فكانت أول مدرسة لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية المدرسة العربية – الفرنسية سنة 1936م، إضافة إلى مدارس أخرى في بعض المدن إلا أن الإقبال على هذه المدارس كان ضئيلا لرفض الجزائريين توجيه أبنائهم إليها خوفا من التنصير والفرنسية[2].

وفضلا عن هذا فإن التلاميذ المتمدرسين في المدرسة الفرنسية بالقوة كانوا يجمعون بين التعليم الوطني والتعليم الفرنسي وذلك "بطريقة تثير الدهشة والإعجاب"، إذ كانوا يرتادون على الكتاتيب القرآنية والمدارس العربية في الأوقات التي لا يكونون فيها في المدارس الفرنسية، وذلك في الصباح الباكر وبعد الانتهاء من الدروس في الفترة المسائية[3].

وبعد الحرب العالمية الأولى وقع تحول شامل في موقف المجتمع الجزائري من المدرسة الفرنسية هذا التحول سيبدأ في بداية الأمر بقبول هذه المدرسة ثم المطالبة بها في مرحلة ثانية وخاصة ابتداء من 1922م، إذ ستكتظ المدارس بالتلاميذ بحيث أصبح المعلمون يرفضون البعض بسبب ضيق الأقسام بين 1918م و1923م ارتفع عدد التلاميذ الجزائريين من 39000 تلميذ إلى 59000 تلميذ، أي بزيادة 20000 تلميذ، كما أصبح التلاميذ يواظبون على الحضور الذي بلغت نسبته في بعض

[1]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، المرجع السابق، ص ص 29- 30.

[2]- آسيا بلحسين رحوي، المرجع السابق، ص 62.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1980-1954م)، ج 3، المرجع السابق، ص 323.

المدارس 90%[1]، حيث يمكن تفسير هذا التحول في موقف المجتمع الجزائري من المدرسة الفرنسية بمجموعة من العوامل والاعتبارات يمكن حصرها فيما يلي:

- وعي المجتمع الجزائري بأهمية التحصيل العلمي كسلاح لتحقيق الرقي الاجتماعي والتقدم الحضاري للمجتمعات ووسيلة للحصول على الحقوق الوطنية المهضومة.

- تأثير الحرب العالمية الأولى والهجرة التي جعلت كثيرا من الجزائريين ينتقلون إلى أوروبا ويطلعون على أهمية المدرسة في بناء الدول والأمم والاقتناع بضرورة نشر التعليم من أجل الحياة[2].

وبالتالي فالمدارس الفرنسية العربية قد خرجت جيلا من ذوي الثقافة المزدوجة شارك الكثير منهم في رفع الوعي الثقافي والاجتماعي وحتى السياسي للجزائريين من بينهم بن أبي شنب، محمد بن رحال، السعيد بن زكري وغيرهم، كما خرجت المعاهد والكليات بالجزائر وفرنسا جيلا من المثقفين منهم الأطباء والصيادلة والمحامين وغيرهم منهم عمر راسم، الصادق دندن ... وغيرهم[3].

إن المسعى الإصلاحي في المجال المدرسي كان يرمي إلى تصحيح الوضع الثقافي الذي كان المسلمون الجزائريون يصفونه بالجائر جدا، وبأنه مناقض للرسالة التحضيرية التمدنية لفرنسا، حيث اجتهد الإصلاحيون في القيام بعمل مدرسي من شأنه تحسين الوضع الفكري للأمة والمساهمة في ترقيتها الأخلاقية والاجتماعية.

ثانيا– النوادي والجمعيات:

أ– النوادي:

ظهرت النوادي في كامل التراب الوطني وهي من مظاهر الوعي السياسي والثقافي، واختلفت هذه النوادي في خدمتها للحركة الوطنية الجزائرية وقد أصبحت منبرا من منابر الحراك السياسي والثقافي وتدافع عليها الخطباء من سياسيين ورجال دين وأدباء وشعراء وغيرهم، كما بدأت هذه النوادي تشد إليها مختلف أطياف المجتمع مثقفين وغير مثقفين بعضهم من أجل الاستكشاف

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 360.

[2] -Colonna Fanny, Op, cit, p 26.

[3]– عبد النور خثير، المرجع السابق، ص 90.

والبعض الآخر من أجل المعرفة، كما اختلف تأثير هذه النوادي من الساحة السياسية الثقافية واستقطاب الجماهير وتعود درجة التأثير إلى مدى قوة المحاضر وثقافته وأفكاره وإلى الأطياف السياسية التي ينتمي إليها[1]. ومن أهم النوادي نذكر:

- **نادي صالح باي:**

تأسس في قسنطينة من طرف مجموعة من المثقفين الجزائريين وأيدهم الفرنسيون المتعاطفون مع الجزائر، وفي سنة 1908م كان هذا النادي يضم 1700 عضو، وكان له فروع كثيرة في مدن الجزائر هدفه نشر التعليم وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية، كذلك خلف جمعيات خيرية للدعوة إلى العمل والأخوة والتعاون ومساعدة الجزائريين على إظهار مواهبهم الأدبية[2].

- **نادي الاتحاد الأدبي الإسلامي:**

تأسس بمستغانم قبل سنة 1915م نشط به أنصار نجم شمال إفريقيا، وكان مقر النشاط دعاة الإصلاح من الأنشطة الثقافية السياسية[3].

- **نادي الترقي:**

تأسس نادي الترقي بالجزائر العاصمة في 13 جويلية 1927م بدعوة من طرف رجال العلم وذوي الجاه والإيمان وكان على رأس هذه النخبة المتحمسة للإصلاح (الحاج زواوي والحاج محفوظ بن التركي) وغيرهم[4]، وقد قاوم النادي نزعات الاندماج كما قاوم طلب الجنسية الفرنسية قصد الإصرار على الحقوق السياسية وفي هذا النادي تم تأسيس هيئة إسلامية عربية تنهض بالبلاد نهضة جبارة وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[5]. وقد كان نتيجة الأعمال في النادي زيادة على المحاضرات

[1]- الوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية (1927-1954)، ط خ، مؤسسة كنوز الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 77.

[2]- محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 12

[3]- الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 112.

[4]- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 128.

[5]- أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، المصدر السابق، ص 165.

الأسبوعية تأسيس جمعية الفلاح، جمع شمول وحدة النواب الجزائريين اجتماع طلاب شمال إفريقيا، مساعدة الكفاح الفلسطيني ومحاولة لتكوين البنك الإسلامي الجزائري[1].

- **نادي سيدي عقبة:**

تأسس سنة 1920م بسيدي عقبة ببسكرة من طرف الشباح المكي، (من مواليد 1894م بسيدي عقبة مناضل نجم شمال إفريقيا بباريس في فرنسا عرف نشاطه الوطني بمسقط رأسه سيدي عقبة)، نشطته جمعية شباب العقب وهي جمعية تمثيلية وكذلك جمعية رياضية ترأسها الشباح المكي، كما عرض في النادي مسرحيات مختلفة ونشط فيه رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة من بسكرة[2].

- **نادي الأخوة:**

تأسس هذا النادي في 13 مارس 1933م من طرف جمعية علماء السنة التي اتخذت من الجزائر العاصمة مقرا لها وقد نشط بهذا النادي الشيخ مولود الحافظي الذي كان يترأس هذه الجمعية، وقد كان للنادي عدة أسماء منها الرشاد، نادي الإخوة الإسلامية ونادي الإخلاص[3].

- **النادي الإسلامي:**

تأسس النادي الإسلامي سنة 1933م بميلة أسسه الشيخ مبارك الميلي بعد عودته من الأغواط حيث يعتبر امتداد للحركة الإصلاحية التي كان ينشرها الشيخ مبارك الميلي والتي كانت في إطار نشاط جمعية العلماء المسلمين، وأراد من خلال هذا النادي ترسيخ أنشطته للارتقاء بالذين لا يدخلون المساجد ولا المدارس، والذين لا يقرؤون الصحف، فحتما سيأتون إلى النوادي.

وفي هذا النادي تلقى دروس والمحاضرات، ويهدف إلى تربية الشبان تربية إسلامية وإبعادهم عن انحلال وتعاطي الخمور وغيرها من الآفات الاجتماعية التي تعصف بالشباب، وهناك تضارب في

[1]- أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، المصدر السابق، ص 175.

[2]- الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 113.

[3]- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 25.

تاريخ تأسيس هذا النادي، فهناك من يذكر على أنه تم تأسيسه سنة 1935م وهناك من يقول في 1933م السبب في ذلك أن المياسي أسس نادي وجمعية الحياة في فترتين مختلفتين[1].

- **النادي الإصلاحي:**

تأسس سنة 1934م ببيلكور في مدينة الجزائر وأعلن عنه في الجريدة الرسمية بتاريخ 1935/01/29م، كان مقره إدمون روستن ببلكور، وهدف هذا النادي من خلال قانونه إلى مساعدة فرنسا في أعمالها الحضارية وفي مساعدة الفقراء والمحتاجين، وتأسيس عيادة مجانية لمداواة الأهالي وتشجيع الرياضة ويمنع هذا النادي من الخوض في الأمور السياسية، تكون هذا النادي من أربعة أصناف من الأعضاء المنخرطون والعاملون والمؤسسون والمحسنون، وبعد سنة 1937م أصبح عدد أعضائه خمسة عشر عضوا، وكان للنادي ختم على شكل هلال ونجمة مكتوب بالعربية والفرنسية اسم النادي وعنوانه[2].

بالإضافة إلى هذه النوادي توجد نوادي أخرى ولكن نظرا لقلة المعلومات عنها نذكرها باختصار:

- نادي الإقبال سنة 1919م بجيجل، ورغم ميوله إلى خدمة المشاريع الفرنسية غير أنه ساهم في القضية الوطنية خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، حيث سيغير من نظرته، ليصبح كأهم وسيلة لمقاومة الاستعمار الفرنسي[3].

- نادي السعادة سنة 1925م تأسس بقسنطينة ومن أهم من خطب فيه ابن باديس، وكان مصدر إقبال واسع، كما كان ملتقى جموع المثقفين.

- نادي الإخاء في بوسعادة تأسس سنة 1935م، نشط فيه العديد من دعاة الإصلاح وتمركز عليه العمل الإصلاحي، وساهم بذلك في نشر الحركة الإسلامية.

---

[1]- الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 99.

[2]- مبارك الميلي، المؤتمر الإسلامي، (د ط)، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 232.

[3]- عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص 130.

- نادي السعادة تأسس سنة 1936م بمبادرة من الشيخ حمزة بكوشة[1]، وقد كان هذا النادي مقر النشاط الدعاة الإصلاحيين[2].

- نادي الاتحاد تأسس سنة 1936م في مليانة ولاية عين الدفلى حاليا وهو نادي ثقافي إسلامي.

- نادي الاتحاد تأسس سنة 1936م بالتنس ولاية شلف حاليا، نشط فيه دعاة الإصلاح من أعضاء جمعية العلماء المسلمين[3].

ب- الجمعيات:

ظهرت الجمعيات بداية القرن العشرين فهي تعد من أبرز مظاهر النهضة الجزائرية إذ شهدت الجزائر ميلاد ونشاط العدد من الجمعيات التي تقوم بالدور الثقافي والإسلامي من خلال إقامة المحاضرات، العروض المسرحية، التظاهرات الثقافية والدينية[4]، وهذا من خلال الاستفادة من القانون الذي صدر في 1901م الذي يسمح بتأسيس الجمعيات والنوادي ذات الطابع الثقافي والديني والرياضي والاجتماعي، كذلك أنشأ الجزائريون خلال الفترة الممتدة من 1900 إلى 1939م عدد كبير من الجمعيات والنوادي[5].

أما قبل ذلك فلم يكن وجود سوى نوعين من الجمعيات المدعومة من الحكومة العامة وهي الجمعيات الخيرية التي تتولى الإشراف على توزيع المساعدات الخيرية والصدقات على الفقراء في المدن والثانية جمعيات الاحتياط التي تتألف عادة من المزارعين لحماية الفلاحين في سنوات الجفاف وأعطت

---

[1]- **حمزة بوكوشة (1909-1994م)**: اسمه الأصلي حمزة شنوف ولد بوادي سوف ينحدر من أسرة ميسورة الحال، بدأ حفظ القرآن هناك قبل أن ينتقل إلى بسكرة، حيث تعلم اللغة العربة والعلوم الدينية، انضم إلى جامع الزيتونة في 1924م حيث تحصل على شهادة علمية عام 1930م، شارك في المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء، كما أصبح عضوا في مجلسها الإداري انظر: بوعلام بلقاسمي، عبد القادر خليفي وآخرون، موسوعة إعلام الجزائر أثناء الثورة، ط خ، منشورات المركز الوطن للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق، ص ص 110-112.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931- 1945م)، المرجع السابق، ص 171.

[3]- الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 105.

[4]- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر، د ط، المطبعة العربية، الجزائر، 2004، ص 108.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 200.

السلطة الفرنسية إذا الضوء الأخضر لتكوين الجمعيات التعليمية والاجتماعية من أول هذا القرن فظهرت في العاصمة عدة تنظيمات أبرزها[1]:

- **الجمعية الراشدية:**

تعد الجمعية الراشدية أول جمعية برزت في الجزائر والتي تأسست في العاصمة سنة 1894م على يد شبان جزائريين متخرجين من المدارس الفرنسية الجزائرية، وكان لها فروع في أنحاء البلاد خاصة في إقليم وهران، ضم فرع العاصمة منها 251 عضوا سنة 1910م، وقد ركزت على التعليم وتقديم دروس للبالغين، وإلقاء المحاضرات والتبشير بالأخوة. وكان من بين أعضائها الدكتور ابن تهامي، والدكتور ابن بريهمات وابن سماية[2].

وبناءً على دورها التثقيفي استطاعت أن تكسب الكثير من الأنصار وتستقطب بنشاطها أعداد هائلة من المنخرطين الذين وجدوا ولمسوا فيها الخير، حيث كانت في كل سنة تعين الفقراء من التلاميذ بالكسوة والكتب المدرسية وتدعو المثقفين والأساتذة إلى تهذيب الشعب وإرشاده بمحاضراتها الأدبية والدينية والعلمية[3].

وقد يكون سبب نجاح الجمعية الراشدية في مدينة الجزائر عدم وجود جمعيات مثلها إذ توسع نشاطها من خلال تأسيس فروع لها وأصبح فرع العاصمة يضم أكثر من 250 عضو سنة 1910م، وقد كانت مكونة كليا من الجزائريين المسلمين باستثناء بعض أعضائها المشرفين من الفرنسيين كما أنها كانت متفتحة على روح العصر ويظهر ذلك من خلال مواضيع المحاضرات التي كانت تلقى بها[4].

- **الجمعية التوفيقية:**

أنشئت عام 1908م ثم أعادت النخبة تنظيمها سنة 1911م، استطاعت هذه الجمعية أن تستقطب عددا كبيرا من الأعضاء وصل إلى مائتي عضو خلال سنة واحدة يرأسها الدكتور بن

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص 314.
[2]- المرجع نفسه، ص 146
[3]- أحمد صاري، المرجع السابق، ص 110.
[4]- المرجع نفسه، ص 111.

التهامي هدف هذه الجمعية الثقافية هو جمع الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير الفكر العلمي والاجتماعي[1].

- **الجمعية الصادقية:**

ظهرت الجمعية في مدينة تبسة سنة 1913م وكان هدفها العناية بالتربية الإسلامية والإصلاح الاجتماعي، ومن مبادئها: التعاون والاتحاد بين أعضاء الجمعية وتقديم يد المساعدة للأعضاء المحتاجين وأيضا تقوم بأعمال خيرية من أجل مساعدة المرضى[2].

- **الجمعية الوداية للتلاميذ المسلمين لشمال إفريقيا:**

إن ميلاد هذه الجمعية أملته الظروف الصعبة التي كان يعانيها الطالب الجزائري بعدما عانى من سياسة التهميش والتعسف من قبل الجامعة الفرنسية وفي عشية الحرب العالمية الأولى في حدود سنة 1918م أسس الطلبة الجزائريون في جامعة الجزائر تنظيما طلابيا باسم الجمعية الوداية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية، وكانت الوداية تضم طلابا يدرسون في الجامعة الخاضعة لنظام الجامعات الفرنسية ويعود الفضل الكبير في تأسيس هذه الوداية إلى نخبة من طلبة الجزائر وعلى رأسهم السيد بلقاسم حبيلس، الذي تولى رئاستها منذ ميلادها بالإضافة إلى مساعدة الهادي بن سماية وهما من فئة النخبة التي أخذت تبحث عن مكانتها في الوسط العاصمي مع مطلع القرن العشرين والظاهر أن الوداية لم تكن لها الاستقلالية التامة في بداية الأمر بقدر ما كانت شبه تابعة للاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية بفرنسا[3].

ولقد تعددت نشاطات الوداية ونوعت من مساعيها من اللقاءات وإلقاء المحاضرات التي عبرت من خلالها عن طموحات الشباب الجزائري المثقف، كما كانت لها دورية خاصة أنشئت سنة 1927م عالجت من خلالها اهتمامات الوداية ونشاطاتها المختلفة، وقد تحولت الدورية فيما بعد إلى

---

[1]- ناجي عبد النور، البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية، مجلة التراث العربي، العدد 107، (د س)، الجزائر، ص 25.

[2]- الجمعي خمري، حركة الشبان الجزائري (1930- 1900)، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1994، ص 36.

[3]- أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006، ص ص 94-96.

مجلة التلميذ سنة 1931م، وكان الغرض من ذلك توسيع مهام الوداية من جهة وتوصيل أفكارها ومبادئها إلى كافة الجزائريين وخصوصا المهتمين بالثقافة من جهة ثانية، لما حملته هذه المجلة من هموم طلابية وطنية هذا فضلا على اهتماماتها بخدمة القضايا الثقافية وبالخصوص التركيز على تفعيل وتدعيم الثقافة العربية الإسلامية[1].

إن الجمعيات التي تأسست في تلك الفترة قد تعددت وتنوعت من حيث نشاطاتها الفنية والثقافية والرياضية والترفيهية وسوف نقوم بحصر البعض منها إلى جانب ما ذكرناه:

- **جمعية الإصلاح**: تأسست سنة 1928م كانت تعمل على فتح مدارس ذات فصلين ببعض القرى الصغيرة.
- **جمعية الوفاق**: تأسست سنة 1929م بمدينة الجزائر وكانت تعمل على نشر الثقافة والتهذيب في أوساط الشباب، بواسطة المحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد[2].
- **الجمعية الإسلامية**: تأسست سنة 1934م بمدينة عين مليلة وهي جمعية تهتم بالتربية والتعليم بالدرجة الأولى، خاصة التعليم العربي.
- **جمعية الشباب الفتي**: تأسست في 1937م في قسنطينة، وهي جمعية موسيقية متعاطفة مع جمعية العلماء ورواد الإصلاح[3].
- **جمعية الشباب**: تأسست سنة 1925م في غرداية، وقد قامت هذه الجمعية في نشر الوعي الثقافي والديني، كما عملت على حث الشباب والنهوض به، والعمل على توجيهه وتربيته على الأخلاق الإسلامية[4].

[1]- أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، المرجع السابق، ص 98.

[2]- عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي بالجزائر (1925- 1954)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الحديث المعاصر، جامعة الجزائر، ص 125.

[3]- عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص 140.

[4]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص ص 120- 121.

- **جمعية الفلاح**: تأسست سنة 1937م بمدينة وهران برئاسة الحاج شيخ أحمد، وكان هدف الجمعية هو المساعدة على نشر اللغة العربية، وإعطاء دروس للأطفال المحرومين وتنظيم محاضرات أدبية باللغة العربية، كما عملت على نشر المبادئ الإسلامية[1]

- **جمعية العلماء المسلمين:**

تأسست في 05 ماي سنة 1931م بنادي الترقي بالجزائر العاصمة، وهي لم تتشكل نتيجة الصدفة، بل كانت عبارة عن نتاج فترة إصلاحية تمتد إلى بداية القرن العشرين، وحسب الإبراهيمي فإن فكرة ميلاد الجمعية تعود إلى سنة 1912م بالمدينة المنورة أثناء لقائه بابن باديس، ويعود فضل تكوين الجمعية إلى المثقفين الجزائريين ذوي التكوين الإسلامي المشرقي الزيتوني، ويعتبر ابن باديس صاحب المبادرة سنة 1924م، وذلك عندما اتصل بأصدقائه وزملائه بقسنطينة، وضواحيها من أجل إنشاء جمعية تسمى (جمعية الإخوة الفكرية)، غايتها توحيد المثقفين المعربين[2].

تعتبر من أهم الجمعيات التي ظهرت في تلك الفترة، وقد كان القصد من تأسيس هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر، والميسر، والبطالة والجهل، وقد كانت من مبادئها الأولى، حيث ورد ذلك في المادة 66 من قانون الجمعية "الأمة الجزائرية أمة إسلامية فالإسلام هو دينها الذي تفاخر به، وميراثها الخالد، والعربية لغة كتابها ومستودع آدابها وحكمتها، فالجمعية تريد أن ترجع بهذه الأمة – من طريق الإرشاد إلى الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح، لتكون ماشية في رقيها الروحي على شعاع تلك الهداية"[3]، وقد أشرف على رئاسة هذه الجمعية كل من الشيخ عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي، وقد عملت هذه الجمعية على دفن الخلافات المذهبية والتفرقة الفكرية وتلقين العقيدة الصحيحة[4].

---

[1]- عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص 126.

[2]- الوناس الحواس، المرجع السابق، ص ص 164- 165.

[3]- وزارة الثقافة، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تق: عبد الرحمان شيبان، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 51.

[4]- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 158.

- **جمعية الآخاء:**

لدى عودة محمد خير الدين إلى بسكرة شرع في تأسيس جمعية الآخاء سنة 1931م من أعيان بسكرة ووجهائها وأنصار الحركة الإصلاحية فيها وترأسها السيد الجفناوي دبابش.

وحسب خير الدين فإنه اقترح أن تكون الجمعية مكونة من أعضاء لهم نفوذ لدى السلطة المحلية حيث يتيسر للمدرسة سبل القيام بدورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية، فتم بعد تكوين الجمعية إيجاد محل لتعليم الصغار ويتم في المدرسة عقد الاجتماعات خارج أوقات التعليم لسماع دروس الوعظ والإرشاد وإيقاظ الوعي وتهذيب الشباب، وساهم محمد خير الدين في تعليم الكبار حيث تقام فيها عدة نشاطات من بينها الحفل الذي تم في مسجد بن قانة في شهر نوفمبر 1931م والهدف منه الإعلان عن نتائج الامتحانات للتلاميذ ومن نتائجه تبرع الناس بالأموال[1].

ثالثا. الحركة الأدبية والأدباء:

يمثل الأدب الجزائري حلقة واسعة في تاريخ النضال الجزائري، إذ أنه واكب الحراك النهضوي الذي قام في المشرق العربي الذي وصل صداه إلى الجزائر فطور عقل الشعب ونبهه إلى حقه، فانطلق الأدباء والعلماء إلى العمل بدل أن يبقوا ساكتين فمن واجب الأديب والفنان الالتزام بقضايا قومه وعصره.

ومن هنا فإن الأدب الجزائري قد انطلق إلى آفاق أرحب ظهرت فيه القصص الواقعية التي تعالج قضايا الساعة وتعنى بمشاكل الإنسان، وتعبر عن همومه وأشواقه، وهذا بسبب ما تعرضت له الأمة الجزائرية من ظروف قاسية، وما عنته من صراع ضد الاستعمار والاستغلال، ونرجع القول بأن معظم الكتاب التقطوا موضوعاتهم من واقع الحياة البشرية، فاستطاعوا تحويل إحساساتهم الإنسانية إلى أحداث فنية جميلة ومتنوعة، استطاعت أن تشغل الجماهير وتعلمهم العناية بالأمور العامة[2].

بالإضافة إلى هذا الأدب المكتوب باللغة العربية لا يمكننا أن ننكر دور الأدب الذي كتب باللغة الفرنسية، ولقد اتخذ هذا النوع من الأدب من لغة المستعمر أداء للتعبير عن المطالب الوطنية

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة، ج1، المرجع السابق، ص 78.

[2]- محمد المطار، تاريخ الأدب الجزائري، (ط خ)، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2009م، ص 389.

حتى وإن كانت هذه الضرورة تحمل تناقضا في طياتها، ذلك أن الأدب بهذا الشكل الجديد لم يعد يتجه خاصة إلى مجتمعه الذي يصفه ويضلل واقعه وإنما أصبح يستجيب لمتطلبات سياسة خارجية تفرض عليه أن يمر في طريقه بخط فرنسا ويستعمل في أدائه لغة أجنبية عنه هي الفرنسية[1].

وقد تناول الأدباء عدة قضايا اجتماعية وثقافية دينية، وما سببه الاستعمار من ويلات تركت أثارها على حياة الشعب الجزائري، فبرزت طائفة من الأدباء الذين حاولوا إنارة الأدب في الجزائر ومن هؤلاء:

- **محمد بن أبي شنب 1869– 1929م:**

من مواليد المدية تعلم فيها أوليات العلوم، وكان من الفئة التي مسها الاستعمار بظلمه كان من أساتذة المدرسة العربية الفرنسية بقسنطينة والجزائر، ترك مؤلفات كثيرة منها "تحفة الأدب في ميزان عصر العرب" 1906م، وقام بتحقيق وترجمة الكثير من كتب التراث العربية إلى اللغة الفرنسية نذكر منها "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم 1908م و"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، للورتلاني 1908م وغيرها كثيرا، كما نشر مقالات في مجالات عربية، واهتم بترجمة الكثير من القصائد الشعرية الشهيرة في المغرب العربي[2].

- **عبد القادر المجاوي 1848– 1913م:**

من مواليد تلمسان درس بها وتعلم القراءة والكتابة، كان تعليمه العالي في جامعة القرويين عرف بشدة كراهيته للاستعمار الفرنسي للجزائر، كما كان غيورا على الدين الإسلامي واللغة العربية جاء إلى قسنطينة إثر عودته إلى الوطن، وابتدأ التدريس بها، تخرج على يده عبد الحميد بن باديس حمدان بن الونيسي وغيرهم كثير، ترك عدة مؤلفات قصد بها إفادة المجتمع والمتعلمين منها: "إرشاد المتعلمين" و"الدرر النحوية" و"نزهة الطرف في المعاني والصرف" و"شرح الجمل النحوية" وغيرها توفي سنة 1918م بقسنطينة[3].

---

[1]– شرف عبد العزيز، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط 1، دار الجبل، بيروت، 1991م، ص 46.

[2]– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4، المرجع السابق، ص ص 156- 160.

[3]– أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص 78.

- **الشيخ المولود بن الموهوب 1863– 1930م:**

من مواليد قسنطينة أخذ العلم من والده الشيخ محمد السعيد الأديب والشاعر، كان تلميذ الشيخ "عبد القادر المجاوي"، أسندت إليه دروسا في الفقه والعلوم العربية، عرف بفصاحته حيث كان ينشر المقالات الأدبية في الجرائد العربية، له مؤلفات عدة منها "مختصر الكافي في العروض والقوافي" عرف بشعره الذي استعمله أداة لإصلاح النفوس، هو الذي هيأ للشيخ عبد الحميد بن باديس الظروف العلمية والمحيط الاجتماعي الصالح، توفي في 1930م[1].

- **عبد الحليم بن سماية 1866 – 1933م:**

من مواليد الجزائر درس على يد والده، كان من أبرز تلاميذه محمد بن أبي شنب، كان أول من درس بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة، عرف بفصاحته وبلاغته ومحاربته للبدع والفساد وكرهه للمستعمر، ومن أهم ما ألف كتاب "فلسفة الإسلام"، وله مقالات أدبية نشرها في الصحف العربية إلى جانب ذلك كان يعرف بشعره المتين ومن أهم قصائده القصيدة التي أراها إلى الشيخ محمد عبده إثر زيارته للجزائر سنة 1903م[2].

وبعد ظهور الحركة الإصلاحية التي كانت تقودها جمعية العلماء المسلمين بعد أن أصبح للجزائر بعض الشعراء كما صار لها كتاب متألقون، وبهذا تتابعت الكتب والمؤلفات في مختلف الميادين العلمية والأدبية والدينية والتاريخية بهدف إحياء التراث القومي الإسلامي والجزائري، نذكر منه هؤلاء المثقفين المستنيرين مجموعة على سبيل المثال منهم:

[1]- محمد علي دبوز، ج1، المرجع السابق، ص ص135- 140.

[2]- محمد علي دبوز، ج1، المرجع السابق، ص ص 110- 124.

- **عبد الحميد بن باديس 1880– 1940م**[1]:

ولد في مدينة قسنطينة، وقد زاول دراسته في تونس بجامعة الزيتونة، حيث تأثر كثيرا بالنهضة هناك، ثم عاد إلى الجزائر في 1913م، محملا بأفكار جديدة كما تأثر كذلك بأفكار محمد عبده[2] وجمال الدين الأفغاني[3]، حيث بدء العمل فور عودته في مجال التعليم الحر بقسنطينة ثم في نادي الترقي في العاصمة، من خلال المحاضرات والخطب، وقد ازدهرت معه الحركة الفكرية والثقافية ويعتبر من رواد الإصلاح في الجزائر، تبلورت عن نشاطاته تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931م والتي جاءت كردة فعل على الاحتفال المئوي الذي أقامته إدارة الاحتلال في الجزائر بمرور قرن من الزمن على احتلالها، حيث اعتقدوا أنهم قضوا على الشخصية الجزائرية نهائيا، وقد اعتمد أسلوب الإصلاح الديني والاجتماعي، الذي هيأ الأنفس للانصهار في الحركة السياسية عن طريق التربية والتعليم والتكوين، كما ساهم في بناء العديد من المساجد والمدارس العربية الحرة، فانتعشت بذلك الحركة الفكرية، وازدهرت اللغة العربية كما ساهم في إحياء التراث العربي الإسلامي، وفي تطور مختلف الأنشطة الثقافية[4].

- **محمد البشير الإبراهيمي 1889– 1965م**:

من مواليد مدينة سطيف، وقد سافر إلى المشرق العربي حيث عين عضو في المجتمع العلمي العربي بالقاهرة، ثم دمشق ثم بغداد، كما كان كاتبا ذو أسلوب متألق ومتميز، ثم عاد إلى الجزائر وساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين حيث ترأسها بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، كما

---

[1]– أنظر الملحق رقم (02).

[2]– **محمد عبده (1845– 1905)**: درس في الأزهر العلوم الطبيعية والتاريخية إلى جانب الدراسات الإسلامية، اشتغل بالتدريس وشارك في ثورة العرابي فأبعد من مصر، التقى بجمال الدين الأفغاني الذي تأثر بأفكاره للمزيد أنظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 280.

[3]– **جمال الدين الأفغاني (1839– 1897)**: أفغاني الأصل، شريف النسب ينتمي إلى الحسن بن علي، تعلم الفارسية والعربية والفرنسية، أسس جريدة العروة الوثقى مع محمد عبده، وكان وراء هذه الجريدة جمعية سرية منبثة في جميع الأقطار الإسلامية، للمزيد أنظر: أحمد أمين زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي ببيروت، (د ت)، ص 60.

[4]– عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، المرجع السابق، ص 47.

ساهم في العمل في عدة اتجاهات، ففي الاتجاه التعليمي نجده يساهم في تأسيس المدارس، كمدرسة الحديث في تلمسان ومعهد ابن باديس في قسنطينة، وبناء المساجد، كما عمل على التوجيه والإعلام فأصدر جريدة البصائر في سلسلتها الثانية 1947م، حيث ساهم فيها بقلمه فنشر العديد من المقالات والمواعظ الإرشادية[1].

توفي في سنة 1965م، تاركا ورائه العديد من المؤلفات مثل عيون البصائر أثار الإبراهيمي في قلب المعركة، بالإضافة إلى المئات من المقالات الموزعة على الصحف والجرائد التي كانت تنشط في فترة نشاطه.

- **مبارك بن محمد الميلي 1899– 1945م:**

ولد بميلانة درس على يد الشيخ بن باديس، انتقل إلى الزيتونة وحصل على شهادة التطويع رجع إلى الجزائر وأنشأ مع أستاذه "جريدة المنتقد" والمطبعة الجزائرية، صدر له في 1928م الجزء الأول من كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" والجزء الثاني 1932م، بالإضافة إلى رسالته عن الشرك ومظاهره[2].

أما شعراء الجزائر الذين عرفوا بشعرهم المتين فيقول عنهم مبارك الميلي: "شعر شعراؤنا بحياة جديدة، فنفظوا أيديهم من ذلك الادب البالي المتوه بلغة التكليف ونفذوا إلى الأدب الفض وعلى أمثال هؤلاء نعلق آمالنا في تجديد الأدب الجزائري ورفع مستواه"، ومن بين الشعراء:

- **الشاعر محمد الهادي السنوسي الزاهري 1902– 1969م:**

شاعر وأديب بمدينة لبانة قرب بسكرة، درس بها وانتقل إلى تونس للحصول على شهادة التطويع، من أبرز الشعراء في العشرينيات عمل بالإذاعة، له قصائد في المنتقد والشهاب، ومن آثاره ديوان "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" وهو في جزأين، إضافة إلى أناشيد مدرسية وروايات تمثيلية توفي في حادث اختناق بالغاز.

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج 2، 1940– 1952م، المصدر السابق، ص 22.

[2]– محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس 1900– 1962، ج 1، تونس، بيت الحكمة، 1991، ص 23.

- **محمد العيد آل خليفة 1904– 1979م:**

ولد بعين البيضاء، درس بواد سوف جنوب الجزائر ثم جامع الزيتونة، أصدر جريدة "صدى الصحراء" مع العمودي "الإصلاح" مع التعصبي، كما أسهم في تأسيس جمعية العلماء سنة 1954م، صدر له ديوان شعر وملحمة شعرية عن الشركة الوطنية للتوزيع بالجزائر سنة 1967م، ومسرحية شعرية تعد الأولى في تاريخ الأدب الجزائري[1].

- **مفدي زكرياء 1913– 1978م:**

ولد ببلدة يزقن بغرداية جنوب الجزائر، درس بها وانتقل إلى تونس، من ألمع شعراء الجزائر والمغرب العربي ومن المناضلين في صفوف الثورة ومن دواوينه المطبوعة "اللهب المقدس" 1961م وتحت "ظلال الزيتون" 1966م[2].

إن انتشار الأدب والشعر والعناية به جاء نتيجة المحاضرات والندوات التي تلقى في النوادي والجمعيات الثقافية والفكرية والمؤسسات الخيرية والدينية، وهذا أدى إلى ظهور الطباعة التي ساعدت على انتشار الثقافة، ومن بين المطابع مطبعة "دار مراد رودوسي" و"النجاح الإسلامية" بقسنطينة و"البلاغ الجزائري" و"العربية الحديثة" بالعاصمة.

رابعا– النشاط الصحفي:

كان من مظاهر النهضة الجزائرية ظهور الصحافة الوطنية والإصلاحية الدينية في مطلع ق 20م، إذ عرفت الفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى انتشارا واسعا للنشاط الصحفي، سواء ما كانت تنشره الجمعيات والزعماء المصلحين أو الأحزاب السياسية، فلم يكن الجزائريون غافلين عن أهمية الصحافة، ولكنهم كانوا عاجزين عن إنشائها بسبب السياسة الاستعمارية القمعية الممارسة ضدهم، ومع ذلك ظهرت الصحف الوطنية في مطلع القرن العشرين، وهي صحف متميزة عن الصحافة الفرنسية، كانت تكتب باللغة العربية وهو تحدي مباشر للصحافة الفرنسية[3].

[1]– محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس 1900– 1962، ج 1، المصدر السابق، ص ص 19–20.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 21– 23.

[3]– الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 71.

ومن أبرز الصحف التي أصدروها منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نجد جريدة "البصر" 1883م، "الحق"، الهلال 1907م كوكب إفريقيا 1907م، الفاروق 1913م وكل هذه الصحف والجرائد عالجت مواضيع مختلفة ساهمت في توعية الشعب الجزائري أدت إلى ظهور العلامات الأولى لبوادر النهضة الجزائرية، وتعتبر الصحافة الوطنية بداية حقيقية لعهد المقاومة الفكرية والأدبية للاستعمار الفرنسي في الجزائر[1].

ويمكن حصر البعض منها وهي كالتالي:

- **صحيفة الجزائري – الجزائر 1900:**

حيث عندما أخذت الحركة الوطنية تتكون في مصر بقيادة مصطفى كامل وأخذت بعض الجرائد المشرقية تتسرب إلى الجزائريين تعطشا منهم إلى هذا النفس الجديد، أرادت الولاية العامة أن تمتص هذا الشغف لدى الجزائريين فأنشأ مدير الشؤون الأهلية "لوسياني" جريدة باللغة العربية تحت عنوان الجزائري تموينا وتضليلا ففشلت هذه المحاولة، ولم يظهر من الجريدة غير إعداد قليلة[2].

- **جريدة المغرب – الجزائر 1903– 1904م:**

كانت تصدر بالعاصمة يومي الثلاثاء والجمعة كل أسبوع من أوائل الصحف العربية التي فتحت أمام النخبة المثقفة باب المشاركة في تنوير الرأي الإسلامي الجزائري العام، وقد صدر العدد الأول منها في 10 أفريل سنة 1903م، والواقع أنها كانت حسب مقالات كتابها مهتمة بالجانب الديني والاجتماعي بغية التأثير في المسلمين الجزائريين ليسيروا في طريق العلم والمعرفة وهذه نزعة عرف بها الكتاب والإصلاحيون الجزائريون مثل عبد الحليم بن سماية، عبد القادر المجاوي ولم يدم لها رواج فقد توقفت سنة واحدة بعد صدورها، أبرزت خلالها ستة وعشرون عددا[3].

---

[1]– عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس أنموذجا، ج1، د ط، دار الهدى، الجزائر، د ت، ص ص 159– 160.

[2]– محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص ص 58– 59.

[3]– المرجع نفسه، ص 60.

- **صحيفة المصباح:**

تأسست المصباح في وهران خلال سنة 1904م، مديرها مدرس تلمساني هو العربي فقار يعاونه أخوه بن على فقار أول دكتور جزائري في الحقوق وأستاذ في مدرسة التجارة العليا في ليون كان هدف هذه الأسبوعية التي كانت تصدر يوم الجمعة هو التطرق لكل مظاهر الحياة الجزائرية، فهي صحيفة سياسية أدبية زراعية اقتصادية واجتماعية مكونة صفحتين بالفرنسية وصفحة إعلانات ودعاية، ولم تصدر سوى سنة واحدة شعارها هو بحد ذاته برنامج كامل: "من أجل فرنسا بواسطة العرب ومن أجل العرب بواسطة فرنسا"[1].

- **مجلة الجزائر:**

أصدرها عمر راسم وتعد أول مجلة عربية يصدرها جزائري ولم يظهر منها إلى الوجود سوى عددين ثم توقفت أمام العقبات المادية وفقدان المطابع[2].

- **جريدة كوكب إفريقيا:**

صدرت في سنة 1907م على يد الشيخ محمود كحول أمام مسجد العاصمة وتوقفت بعد فترة وجيزة من صدورها.

- **جريدة ذو الفقار[3]:**

أنشئت سنة 1913م من طرف عمر راسم تحت الاسم المستعار له ابن المنصور الصنهاجي وقد اتخذ هذه الجريدة ليصلح بها الأوضاع الاجتماعية المتدهورة ويدعو فيها إلى الإصلاح على الطريقة العبودية، ولكن لم يصدر من ذو الفقار سوى أربعة أعداد وتوقفت بعدها إلى الأبد[4].

---

[1]- عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، ذاكرة الناس، 2013، ص ص 62-63.

[2]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 15.

[3]- أنظر الملحق رقم (03).

[4]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 15.

- **جريدة الفاروق:**

أصدرها الصحافي الجزائري "عمر بن قدور" في 28 فيفري 1913م والتي تعتبر أول جريدة باللغة العربية وأول جريدة إصلاحية في الجزائر المحتلة عسكريا، والتي تعيش في حالة استثنائية وفي حالة طوارئ منذ احتلالها[1].

- **جريدة مستقبل الجزائر:**

أصدر هذه الجريدة الدكتور بن التهامي في 20 أفريل 1922م، يدافع فيها عن أفكار النخبة الجزائرية المطالبة بالمساواة في الحقوق والواجبات بين السكان الأصليين والوافدين من أوروبا في ظل الاحتلال الفرنسي للوطن الجزائري.

- **جريدة الشهاب:**

صدرت في 1925م وهي جريدة إصلاحية دينية التي أسسها عبد الحميد بن باديس وعالج فيها قضايا مختلفة كانت تعاني منها الأمة الجزائرية، مثل ما دعا إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس في احدى صفحاتها، فقد دعا إلى البر بالوالدين، وإلى الحق والعدل والأخوة وهي لا تخلوا من النصح والإرشاد والتوجيه[2].

- جريدة صدى الصحراء: صدرت سنة 1925م.
- جريدة الشريعة المحمدية: صدرت سنة 1933م عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- جريدة الصراط السوى ومن اهتدى: صدرت في تاريخ 1934م.
- جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، صدرت سنة 1935م من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس.

[1]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 15- 16.

[2]- عبد الحميد بن باديس، بر الوالدين، الشهاب العدد 207، الصادر في 1930/05م.

- أصدر الشيخ أبو اليقظان العديد من الجرائد هي جريدة المغرب 1930م، جريدة البستان 1933م، جريدة النبراس 1933م، جريدة الأمة 1933ظن جريدة الفرقان وهي آخر جريدة أصدرها أبو اليقظان سنة 1933م[1].
- جريدة الجحيم للسعيد الزاهري سنة 1933م.
- جريدة النجاح 1919م للشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي.
- جريدة وادي ميزاب 1926م وهي جريدة وطنية إسلامية كانت تعمل باسم شباب بني ميزاب[2].

كما لعبت الصحافة الاستعمارية دورا بارزا في النهضة الجزائرية وفي إيقاظ الشعور والوعي الوطني.

صدرت أول صحيفة في الجزائر في سنة 1932م وهي "ورقة صنبور الجزائر"، ثم توالى ميلاد عدة صحف أخرى كجريدة "المبشر" التي صدرت باللغة العامية "الدارجة"، وكما يلاحظ عن النشاط الصحفي الاستعماري كان مكثف بدليل صدور 150 جريدة في الفترة الممتدة ما بين (1847-1939)، حيث رأى الاستعمار الفرنسي أن الصحافة من بين الوسائل الأساسية التي سوف تمكنه من السيطرة على الشعب الجزائري، ذلك أن المطبعة كانت ضمن العتاد العربي الذي حمله الجيش الفرنسي لغزو الجزائر سنة 1830م[3].

إضافة إلى مجموعة من الصحف والجرائد[4] والمجالات الأخرى التي انتشرت في تلك الفترة وكانت تعمل من أجل القضية الجزائرية، وتنشر الوعي الوطني، وتعد الصحافة من أبلغ الوسائل الثقافية في الجزائري وذلك لسرعة تأثيرها في الأوساط الجزائرية، فهي على حد تعبير مفدي زكريا لها "أنها ترجيح الأصداء المختلفة التي تتجاوب في شتى ميادينها ومرآة تنعكس الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التي تضطرم بها آفاق البلاد في نموها وانبعاثها".

---

[1]- عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص 141.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)، ج 5، المرجع السابق، ص 269.

[3]- الوناس الحواس، المرجع السابق، ص ص 70- 71.

[4]- أنظر الملحق رقم (04).

خامسا– النشاط المسرحي:

على غرار باقي البلدان العربية لم تعرف الجزائر المسرح بالمفهوم الحديث أي باعتباره نوعا أدبيا وفنا له أصوله وقواعده المتعارف عليها حديثا إلا في مطلع القرن العشرين وقد أشار إلى ذلك أحمد توفيق المدني في قوله: "لعل قطر الجزائر– بعد جزيرة العرب– هو القطر الإسلامي الوحيد الذي لم يدرك بعد أهمية التمثيل وينشأ به المسرح العربي ولم يشعر شعبه حتى الساعة بوجود ذلك النقص العظيم فيه".

تكاد تجمع أغلبية الدراسات والأبحاث حول المسرح الجزائري، على أن تاريخ نشأته وتأسيسه هو مرحلة العشرينات من القرن الماضي، لكن الظاهر أن المحاولات الأولى للتمثيل قد تمت قبل ذلك، إنما لم يتم التأريخ لها، وذلك على أساس أن المسرح كان يدخل ضمن أنشطة الجمعيات والنوادي الثقافية التي ظهرت في الجزائر في مطلع القرن العشرين، لأنه حسب سعد الله، إذا لم تقدم لنا هذه الجمعيات بعض المسرحيات فماذا كانت تفعل إذن؟[1].

من المحاولات المسرحية التي سجلها لنا التاريخ في القرن العشرين، تلك المرتبطة بنشاط الأمير خالد، حيث ستسمح له فرصة حضور حفل تكريم خريجي كونسر فاتوار باريس سنة 1910م بدعوة من جورج أبيض[2]، من أجل أن يطالب من هذا الأخير أن يبعث له ببعض المسرحيات باللغة العربية وفعلا بعد رجوعه إلى مصر بعث له بمسرحية "ماكبث" لشكسبير و"المروءة والوفاء" لخليل اليازجي والتي ألفها سنة 1876م "شهيد بيروت" لشاعر النيل حافظ إبراهيم، سلم الأمير خالد المسرحيات إلى ثلاث جمعيات سبق له أن أسسها بكل من الجزائر العاصمة والبليدة والمدية[3].

توسعت حركة التمثيل المسرحي لتشمل مدينة تلمسان، حيث قدمت جمعية البركانية[4]، مسرحية "براد السم"، سنة 1913م، ثم مدينة المدية التي ستقدم جمعيتها مسرحيتين "مقتل الحسين"

[1]– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830– 1989م، ج5، المرجع السابق، ص 418.

[2]– كان من ضمن المتخرجين وحائز على المرتبة الأولى.

[3]– أحمد بن داود، دور المسرح في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي 1926 – 1954، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، جامعة جامعة وهران، 2008– 2009، ص 15.

[4]– تأسست سنة 1913م.

سنة 1913م، والتي حضرها الشيخ محمد بن شنب والمفتي حميد فخار والأمير خالد، ثم مسرحية "يعقوب اليهودي" سنة 1914م، لتمتد بعد ذلك إلى مدن أخرى من الجزائر.

لكن رغم هذه البداية المتعثرة للمسرح الجزائري وضعف تأثيرها على السكان فإنها لم تعمر طويلا، إذ ستتوقف باندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، ولن يستعيد نشاطه إلا بعد نهايتها حيث ستنتعش الحركة الثقافية والفكرية في الجزائر من جديد في بداية العشرينات من القرن الماضي[1].

لقد نشأ المسرح الحقيقي سنة 1919م، حيث مثلت في الجزائر روايات هزلية فكاهية في قالب اجتماعي، وكانت التمثيليات من تأليف "ديمون سعد الله" وعلا لوسلال، ومن أشهر المسرحيات "الكورصال"[2]، التي مثلت في العاصمة سنة 1923م، وفي هذه السنة نشأت فرقة تمثل بالعربية الفصحى وأشهر مسرحياتها (في سبيل الوطن، فتح الأندلس) وهما من تأليف محي الدين بش تارزي[3]، وواصلت عملها إلى سنة 1926م[4].

لقد سمحت الظروف للمسرح الجزائري باستئناف نشاطه من جديد على يد الطاهر على الشريف، مؤسس جمعية الآداب والتمثيل العربي، والذي سيقدم ثلاث مسرحيات باللغة العربية[5] جعلت بوجادي علاوة يعتبر المؤسس الحقيقي للمسرح كفعل ثقافي وفني منظم.

لكن رغم ما يبدو من نضج على هذه التجارب المسرحية، فإنها قد فشلت ولم تتمكن عروضها من استقطاب سوى جمهور قليل، وبذلك سيتوقف مسار الإبداع المسرحي لمدة سنتين كاملتين (1924- 1926م) وهذا التوقف والفشل، يمكن تفسيره بمجموعة من العوامل والأسباب من أهمها نذكر:

---

[1]- أحمد بن داود، المرجع السابق، ص 16.

[2]- قاعة العروض المسرحية في باب الواد بالعاصمة، ستتحول بعد الاستقلال إلى قاعة سينما.

[3]- **محي الدين بشطارزي**: ولد في 1897/12/05 بالجزائر العاصمة بدأ حياته قارئا للقرآن الكريم شارك مع طلبة للمدارس في تمثيل العديد من المسرحيات وقد لفت انتباه الشيخ المفتي بقندورة الذي كان يشرف على أحد الفرق المسرحية، أنشأ في سنة 1947م فرقة المسرح العربي بدار الأوبرا وبعد الاستقلال عين مديرا للمعهد البلدي للموسيقى، توفي في 06 فيفري 1986م.

[4]- رمضان علي، أضواء على المسرح الجزائري، الثقافة، ع 79، جانفي/فيفري 1984، ص 23.

[5]- سبق ذكر المسرحيات الثلاث في بداية عصر النشاط المسرحي.

- ضعف تكوين الجمهور الجزائري في مجال المسرح، بحيث كان يجد صعوبة في فهم مبادئه وأهدافه.
- صعوبة فهم الجمهور للغة العربية باستثناء الفئة المثقفة.
- عدم وجود ممثلات يتقن اللغة العربية لأداء الأدوار النسائية، بحيث كانت الفرق المسرحية تلجأ في عروضها إلى حذف الأدوار النسائية أو إسنادها إلى رجال.
- المشاكل المادية والتقنية التي كانت تعاني منها الفرق المسرحية، كنقص التمويل والافتقار إلى المقرات لأداء التدريبات اللازمة، إضافة إلى ذلك قلة قاعات العروض المسرحية، حيث أن الفرق كانت أحيانا تقدم عروضها في قاعات غير لائقة، ولا يمكنها استعمال قاعة الأوبرا مثلا في الجزائر العاصمة إلا عند نهاية موسم المسرح الأوروبي، أو في يوم عطلة[1].

أعطى الجمود الذي عرفه المسرح الجزائري في الفترة ما بين 1924- 1926م، الفرصة والوقت الكافيين للمسرحيين الجزائريين وخاصة سلالي علي المعروف بعلالو وإبراهيم دحمون، لكي يفكروا مليا في وضع الشأن المسرحي بالجزائر، ثم يعاودوا الاتصال بالجمهور من جديد بتقديم مسرحية "جحا" وذلك باللغة العامية في 1926/04/12م، فوق ركح المسرح الجديد بالجزائر العاصمة[2].

لقد حققت المسرحية نجاحا كبيرا وإقبالا واسعا من قبل الجمهور على مشاهدتها، بحيث استقطب في عرضها الأول 1200 متفرجا، إن النجاح الذي حققته هذه المسرحية جعل من الباحثين والدارسين للشأن المسرحي في الجزائر، يعتبرونها البداية الحقيقية للمسرح الجزائري.

ولم يبق المسرح الجزائري منحصرا في الجزائر العاصمة، بل انتشر في باقي المدن الجزائرية عن طرق الجولات عبر مختلف أنحاء التراب الوطني، كما تفاعل مع الحركة الوطنية باعتباره تأسيس في مرحلة عليان سياسي واجتماعي، وتبنى مطالبها وانتقد الممارسات الاستعمارية واستخدم المواضيع التراثية والتاريخية والمقاوماتية بإيحاءات سياسية بغرض تمرير رسالته النبيلة[3].

[1]- أحمد بن داود، المرجع السابق، ص ص 16- 17.

[2]- كانت المسرحية عبارة عن كوميديا تتألف من فصلين وثلاثة مشاهد.

[3]- أحمد بن داود، المرجع السابق، ص 20.

مع بداية سنة 1934م سيصبح الإنتاج المسرحي أكثر هجومية وجرأة في مواضيعه وأكثر اهتماما بمعالجة القضايا المرتبطة بالشأن السياسي، وفي هذا المجال كان بشطارزي المتهم الأول بإخراجه لمسرحيات اعتبرت هدامة من قبل الإدارة الاستعمارية وذلك مثل "فاقو" و"بنى وي وي" و"الخداعين"[1].

أخذ المسرح مكانة إلى جانب المدرسة والمسجد والصحيفة ... وأصبح منبرا سياسيا للحركة الوطنية والوطنيين ومدرسة تساهم بفعالية في تكوين وتشكيل الضمير الوطني ووسيلة للتربية وضعت من أجل إيقاظ وعي الشعب وتسليته، ولهذا لا أحد يستطيع أن ينكر الدور الذي لعبه المسرح الجزائري في الدفاع عن القضية الوطنية ومقاومة الاستعمار.

[1]- Bachtarzi Mehieddine, Mémoires T1, Op, cit, p464.

II- الحياة الثقافية والفكرية في تونس:

قد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر بوادر الإصلاح الثقافي في تونس نبغ فيه نخبة من المصلحين والمجددين من أمثال محمد قبادو (1813- 1871) وسالم بوحاجب (1827- 1927) ومحمد بيرم الخامس (1834- 1871) والوزير مصطفى آغا... ويرجع لهم الفضل في إرساء قواعد الإصلاح والنهضة التي سيتزعمها خير الدين باشا، والتي مست ميادين عدة.

أولا-الحركة الإصلاحية عند خير الدين:

أ- الاصلاحات السياسية:

يعد خير الدين باشا[1]، حالة استثنائية في تاريخ الحركة الإصلاحية والنهضوية العربية الإسلامية، فقد جمع بين فكر كل من الطهطاوي ومدحت باشا الوالي ورئيس الحكومة العثمانية، بل كان أكثر نضجا منهما. كما أن نظريته الإصلاحية كانت أوسع أفقا من تلك التي قادت تجربة حمودة باشا (1782- 1814م)، وأحمد باي (1837- 1855م)، ومحمد باي (1855- 1859م)، فهو مفكر ومنظر سياسي سمحت له الظروف بمحاولة تنفيذ بعض عناصر مشروعه وتلك تجربة فريدة من نوعها في التاريخ العربي الإسلامي الحديث[2].

انتجت التجربة السياسية لخير الدين مناخا إيديولوجيا وثقافيا وسياسيا ونفسيا لبروز نوع جديد من السياسيين ونعني بذلك ظاهرة تدفق عدد هام من المثقفين في الميدان السياسي والعمل الحكومي والمناصب العليا في الإدارة مثل الجنرال حسين ومحمد بيرم الخامس ومحمد السنوسي وسالم بوحاجب، فهؤلاء رغم ضعف عددهم وهزيمة البرنامج السياسي الذي خدموه وعملوا على توضيح وتبرير أغراضه وأهدافه إبان، وبعد ممارستهم المسؤولية مما ساهم في بلورة فكر إصلاحي ووطني شكل

---

[1]- **خير الدين باشا**: (1810- 1879م) شركسي الاصل من أسرة إباضة، خطف صغيرا إثر هجمة، تربى في قصر الباي أحمد الذي اهتم بتعليمه، أجاد الفرنسية والتركية والعربية، ارتقى في الحكم وصار وزيرا وكان من الداعين للإصلاح، (أنظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص ص 146- 153).

[2]- زهير الذوادي، خصوبة الفشل في التجربة السياسية لخير الدين بإنشاء المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس: بيت الحكمة، 2011، ص 188.

أرضية نمو وتطور الحركة الوطنية القومية، وخلال الفترة التي قضاها خير الدين على رأس الحكومة (1873- 1877م)، أنجز ما أمكن انجازه وحاول الإصلاح في إطار ظروف وملابسات وشروط أوجدها وضع غير ملائم للمشروع الإصلاحي وفي ظل موازين قوى سلبية داخليا وخارجيا وفي مواجهة مراكز نفوذ وتأثيرات محلية وأجنبية معادية له ولتوجهاته[1].

وقد فتحت تجربة خير الدين السياسية آفاقا جديدة للفكر السياسي الحديث والتحليل النظري، وذلك من خلال القضايا التي ميزت تجربته السياسية والمتمثلة في:

- **أولوية الممارسة العملية:** بذل خير الدين جهودا في الممارسة والمحاولات الإصلاحية أكثر مما بذله في مستوى التحليل الفكري والتدقيق النظري للمسائل المتعلقة بالنهضة، والديناميكية التي أطلقها في أوساط المثقفين أي العلماء المعاصرين له مثل محمد بيرم الخامس (1840- 1889م)، ومحمد السنوسي (1850- 1900م) وأحمد كريم (1827- 1897م) وسالم بوحاجب (1828- 1924م)، والذين انغمسوا في المشاركة في مقتضيات الشأن العام بدرجات متفاوتة لكن بمنطق نضالي، حيث وضح أن العمل السياسي هو عمل وممارسة قبل أن يكون تنظيرا، وبهذا برز خير الدين في صورة المسؤول السياسي أو رجل الدولة من النمط العصري والذي يجمع بين التنظير الفكري والممارسة العملية مع أولوية الفعل والانجاز واتضح ذلك أكثر بعد إقالته ومغادرته البلاد التونسية أولا في صفوف أنصار المشروع الإصلاحي ثم الحركة الوطنية التونسية[2].

وبعد إقالة خير الدين سنة 1877م تخلت الحركة الإصلاحية التونسية عن النظرة المنهجية لخير الدين بعناصرها الثلاثة: الإصلاح من فوق: الدولة كهدف للإصلاح ووسيلة له اعتبر خير الدين أن الإصلاح كمشروع سياسي يستوجب أداة تنفيذ ناجعة وفعالة وما من آلة أنجع وأقدر من الدولة لمباشرة تلك المهمة في نظره بالرغم من وعيه بأن الدولة هي أحد أخطر مواطن الفساد ومناهضة الإصلاح في البلاد كما أنها هدف ووسيلة الإصلاح، ويتضح من هذا عمق وتجذر انتماء خير الدين

[1]- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص ص 188- 189.

[2]- المرجع نفسه، ص 190.

الشخصي إلى ثقافة الدولة وانحصار وعيه وتصوراته ومفاهيمه في أطر الذهنية السياسية والتقليدية والمؤسسة على مبدأ أولوية الدولة على المجتمع[1].

أولوية الجانب السياسي: يرى خير الدين أن الممارسة في العملية الإصلاحية محصورة في عمل أجهزة الدولة رغم عاهاتها الجلية والاهتمام بالجانب السياسي والإداري على حساب الجوانب الأخرى وخاصة منها الاقتصادية والاجتماعية، وذلك لما كانت عليه الإيالة في تلك الفترة من خطر، لذا كان عليه انقاض البلاد من مضاعفات الفساد المالي والإداري والاستغلال ونهب أرزاق وحقوق الأهالي[2].

لتبني مقاربة عملية مغايرة أعطت الأولوية للإصلاح الاجتماعي والثقافي والتربوي، أي أنها ركزت على مبدأ الإصلاح من تحت أي إصلاح المجتمع كمقدمة للإصلاح الدولة وقد تبنى ذلك الرأي إعلام ومثقفون مثل سالم بوحاجب، محمد الخضر حسين، طاهر بن عاشور زين العابدين السنوسي، طاهر الحداد، فاضل بن عاشور، الذين كثفوا جهودهم في الميدان الاجتماعي (المرأة) والثقافي (التجديد الأدبي) والديني (التأويل المعتدل لأحكام الإسلام) والتربوي (إصلاح التعليم الزيتوني)، الذي بذل في إنشائه خير الدين جهودا مهمة وفق نظرة تجديدية وتنويرية وهذا الوعي الإصلاحي الوطني ولد فيما بعد حركة الشباب التونسي وتبلور في برامج نضالية وسياسية ومثله الحزب الدستوري الجديد والقديم[3].

ب- الاصلاحات الاقتصادية:

عمل خير الدين على إحياء الأراضي المهملة، وأعاد توزيع الأرض على الفلاحين، كما خفض الضرائب إلى أدنى حد ممكن وقام بتحسين وتشجيع الزراعة وزيادة المزروع من الأرض من مساحة ستين ألف هكتار إلى مليون هكتار وكما نشط مختلف الصناعات، ووضع نظاما جمركيا قويا كما وحد من الواردات وزاد من الصادرات وإنشاء المغافر الجمركية لمنع التهريب، وسن عدد من القوانين

[1]- زهير الذوادي، المرجع السابق، ص ص 191- 192.
[2]- المرجع نفسه، ص 193.
[3]- نفسه، ص 194.

الضابطة للشؤون المالية والإدارة[1]، وفي هذا الشأن أقمت سلسلة من مراكز الديوانة على الحدود الجزائرية لنجد حركة التهريب المعمول بها هناك ونظمت قسما خاصا بالموانئ والأرصفة وأصدرت قوانين تنظيم إدارة أملاك الأحباس التي كانت في وضعية يرثى لها، وساهمت كل هذه الإصلاحات في تحسن واضح للوضع المالي للدولة إلى درجة أن المداخيل أصبحت كافية لتغطية المصاريف فتحقق التوازن في الميزانية وأمكن تحمل أعباء الإدارة بسهولة[2].

ج- الإصلاحات الإدارية:

أسس خير الدين المحاكم المدينة وأصلح نظام المحاكم الشرعية، وضبط جميع أمور الدولة في تراتيب وسجلات رسمية منظمة، كما أصلح الطرقات وأحدث البلديات وفي العاصمة عمم الإنارة والنظافة في الشوارع، كما أسس جمعية الأوقاف التي عرفت فوضى في البيع والشراء وصرف الربح فجمعها في إدارة واحدة، وجعل عليها السيد محمد بيرم ومجلس يعنيه في تنظيمها ولم يغفل عن الخزانة العامة لحفظ أوراق الدولة ووثائقها، كما أصلح نظام السجون، والمطبعة التونسية، وشجع الأدباء والعلماء على الإنتاج ونشره في جريدة الرائد التونسي التي هي ثالث جريدة عربية رسمية صدرت في العالم العربي كما عمل على إصلاح القضاء بعدما لاحظ أن الناحية التشريعية والقضائية في البلاد مضطربة والأجانب لا يخضعون لقانون البلاد، فكان لكل من المذهب الحنفي والمالكي قاضي مطلق الحكم في الحوادث وجراء هذا الوضع عهد إلى مختصين بدراسة القوانين المعمول بها في الدولة العثمانية وفي مصر وفي أوروبا، وإن يستخرجوا منها قانونا يناسب القطر التونسي[3].

د- إصلاح التعليم:

نظم خير الدين التعليم الزيتوني تحت رئاسته، حيث ضبط مناهجه وخطط برامجه ورتبها على درجات، لتنتهي بامتحانات وشهادات حيث لم تكن موجودة من قبل ونظم طريقة اختيار الأساتذة ووضع كل ذلك في قانون ذي 68 فصلا صدر به الامر العلي سنة 1876م وبهذا نجح خير الدين

[1]- أبو القاسم محمد كرو، خير الدين التونسي حياته، ط2، تونس: دار المغرب العربي، 1973، ص34

[2]- محمد العربي السنوسي، مذكرات خير الدين، تونس، بيت الحكمة، 2008، ص ص 39- 41.

[3]- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، بيروت: دار الكتاب العربي، (ب ت)، ص 169.

نجاحا عظيما في تحقيق المراد من إنشاء "المدرسة الصادقية"، وإصلاح التعليم الزيتوني فظهرت الشبيبة الصادقية المتعلقة بشخصه، تستمد توجيهها الأدبي من لدنه، في حين صارت الشبيبة الزيتونية مطلقة في السيادة الأدبية بالأمامين حاملي رسالة النهضة ورسالته أيضا وهما الشيخ بوحاجب[1]، الذي اعتبر يومئذ أستاذ العلم والأدب والشيخ عمر بن الشيخ[2]، الذي اضطلع بتسيير دواليب التعليم ودراسة النظم وتطبيقها[3].

توسعت دائرة إصلاحات خير الدين فشملت إنشاء المكتبة العبدلية التي حلت محل المكتبة القديمة التي بنيت في العهد في العهد الحفصي، قام بتجديدها على أحدث طراز أوروبي من حيث ترتيب كتبها ووضع فهارسها، ووهب لها من عنده ألف ومائة كتاب مخطوط كل هذه الكتب النفيسة عملت على نشر المعارف وقوت المعرفة والمطالعة حتى أن القراء وجدوا مجالا لأفكارهم، ومادة لتوسيع معارفهم[4].

أما الطباعة والصحافة والنشر التي تمثل محطة هامة من تطور الحياة الفكرية والأدبية بتونس فقد حسن خير الدين مطبعة الدولة وأوكل إليها نشر الكتب العلمية والأدبية وأصلح إدارة الرائد التونسي الصحيفة الرسمية للحكومة حيث أسندت رئاستها العامة إلى الشيخ محمد بيرم وإدارتها إلى الفرنسي المستهرب "منصور كرليتبي"، وعمل جاهدا على توسيع نطاق النشر بها كما استقدم العلامة المصري الشيخ حمزة فتح الله الاسكندراني، وفي سنة 1291هـ- 1874م بدأت المطبعة بنشر مقالات بانتظام حتى أن خير الدين كان ينشر أفكاره السياسية من خلال مقالاته فيها[5].

---

[1]- **سالم بوحاجب** (1828- 1924م): فقيه لغوي أديب شاعر، التحق بالزيتونة سنة 1852م درس بالجامع سنة 1864م عين محرر التقارير للجنة الإدارية المشتركة الخاصة بمراقبة المالية التونسية سنة 1860م ثم انتخب عضوا في المجلس سنة 1861م، ولي الفتوى سنة 1959م، وتوفي بالمرسى ودفن بمقبرة الزلاج، له مؤلفات منها ديوان شعر وشرح ألفية ابن عاصم في الأصول.

[2]- عمر بن الشيخ، ولد ببنزرت درس بالزيتونة سنة 1843م، ودرس بها سنة 1849م، عين بدلا عن مصطفى خزندار عند الجامعة باختلاس أموال الدولة التونسية، كان عضوا في اللجنة التي شكلها خير الدين لتنظيم التعليم بجامع الزيتونة، ولي الفتوى سنة 1890م، وتوفي سنة 1911م.

[3]- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 47.

[4]- أحمد أمين، المرجع السابق، ص 168.

[5]- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص ص 50-51.

وبعد أن قطع شوطا بعيدا في طريق الإصلاح واجهته عراقيل من قبل خصومه جعلته يستقيل من منصبه كوزير أول 1294هـ- 1877م، وهذا بعد ما حاول مواجهة المصاعب التي كانت تواجه السلطنة العثمانية، ومنذ 1878م انصرف خير الدين انصرافا تاما عن الشؤون العامة فانطوى على نفسه مدة اثنتي عشر عاما انتهت بوفاته سنة 1309هـ الموافق لـ 1889م بالاستانة ودفن في جامع أيوب[1].

ثانيا–دور المؤسسات والمراكز التعليمية في تونس:

1– جامع الزيتونة[2]:

أ–التأسيس والنشأة:

فجامع الزيتونة يعد منارة علم وتقوى، فهو من أعرق الجامعات وأخصبها، وقد حضي بإشعاع علمي، تم تأسيسه في 1 محرم 141هـ/ 14 ماي 758م، ومن ثمة أخذ ينشئ مجده العلمي ويخرج رجالات يشتهرون بعلمهم، وقد اختلف الكثيرون في شأن تأسيسه، فمنهم من ينسبه إلى "عبيد الله بن الحبحاب" وذهب آخرون إلى انتساب الجامع إلى "حسان بن النعمان الغساني" بسنة 79 هجري، وإن "عبيد الله بن الحبحاب" أتم أشغاله سنة 141 هجري[3].

أما تسميته فقيل أنه يسمى بالزيتونة ليكون نورا يضاء بها إفريقيا، لقوله عز وجل: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[4].

وفي روايات أخرى سمي بجامع الزيتونة نظرا لبقاء شجرة زيتون واحدة في ساحة الجامع بعد انتهاء أشغال البناء به.

---

[1]– أحمد أمين، المرجع السابق، ص 183.

[2]– أنظر الملحق رقم (05).

[3]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ص ص 687- 689.

[4]– سورة النور، الآية 35.

ومصدر تسمية الجامع هو أن الجامع بني في موضع كان شجرا بالزياتين قطعت كلها ولم تبق الازتيونة وعندما فتح المسلمون قرطاجنة وجدوا الشجرة فسمي المسجد عليها وقيل إنهم هذا الاسم ليجعلوا منها زيتا يضيء الشمال الإفريقي بنور الإسلام، أما هندسة بناء الجامع فإنها موافقة تماما لبقية جوامع عواصم إفريقية الشمالية، وسواري المرمر الملون جيء بها من أنقاض قرطجنة[1].

أسس جامع الزيتونة على أن يكون محل عبادة تقام فيه الصلوات المفروضة ومكان لتعارف المسلمين والتفاهم حول بعضهم البعض واجتماعهم في عيدهم الأسبوعي وهو يوم الجمعة، ليصبح مع مرور الزمن مورد العلوم ومحط رجال العلم أن أخذ اسمه يتردد أكثر مما كان على الألسنة والآذان فأصبح محلا تلقى فيه الدروس العلمية على اختلاف مواضيعها وأنواعها، ولا يعلم بالضبط تاريخ جعله محلا للتعليم ولا تاريخ لتنظيم التعليم فيه، لأن تلك الدروس لم تكن في أولها نظامية[2]، ولذا أخذت تنظيم شيئا فشيئا إلى بداية الدولة الحفصية (1206- 1573م)، حيث ازدهر العلم بجامع الزيتونة وكثر انتشاره، وتفنن الناس في مختلف العلوم والفنون وظهرت تأليف كثيرة واعتنى الناس بالدروس العليا حتى برعوا فيها وكان هناك تبادل في الآراء والأبحاث بين علمائها وبقية علماء المشرق والمغرب وكان من إعلام الجامع ابن عبد السلام وابن عرفة وابن خلدون والأبي والبرزلي، من جهة أخرى أخذ التعليم بجامع الزيتونة يترقى ويأخذ الصيغة النظامية ويتدرج مع مرور الزمان وإن طرأ عليه شيء من الفتور والاختلال في العهد التركي سنة (981- 107هـ) (1574- 1631م)، حيث كان العلم ضعيفا جدا إذ قل التفنن والتخصص في العلوم وقل التأليف، كما امتاز هذا العهد بعودة الحنفي إلى تونس[3].

أما العهد الحسيني سنة (1117- 1377هـ)- (1705- 1957م) فقد عرف بازدهار الحياة العلمية بتونس وتظافرت همم من تداول الملك من أبنائها على ترقية العلوم والسعي في انتشارها وتسهيل سبل تحصيلها على القاصدين، وقسم العلامة الجليل "محمد البشير النيفر"، الأستاذ بالجامع

[1]- محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص 284.

[2]- المصدر نفسه، ص 288.

[3]- محمد مختار بن محمود، جامع الزيتونة، المجلة الزيتونية، المجلد 2، ج 2، 1356 هـ- 1937م، ص 52.

الأعظم هذا العهد إلأى قسمين الأول من سنة 1705م- 1842م والثاني سنة 1842م إلى 1957م، تحسن العلم خلال القسم الأول وظهر إقبال الناس عليه وتنوعت فيه المشاركة وكثر فيه التخصص والتأليف، وكان من أشهر علماء ذلك العصر النبغاء الإعلام من أل بيرم الكرام، ولم يكن التعليم في هذا العهد داخلا تحت نظام خاص وترتيب محكم إلى غاية الفترة الثانية والتي وضع فيها قانون لتنظيم التعليم بجامع الزيتونة وهو القانون الذي وضعه المبشر أحمد باشا باي الأول على شكل مرسوم مؤرخ بيوم 27 رمضان سنة 1258هـ الموافق لـ 26 نوفمبر 1842هـ وكتبه بالذهب في "المعلقة" التي لا تزال إلى اليوم موضوعة بجامع الزيتونة بالقرب من باب الشفاء، وقد تضمن هذا القانون وضع نظام التعليم ووقع فيه تحديد عدد المدرسين وتقسيمهم إلى قسمين منهم خمسة عشر من الحنفية وخمسة عشر من المالكية وقرر لهم جرايات قارة تعطى لهم من بيت المال إلى غير ذلك من التراتيب[1].

في عهد الأمير "محمد الصادق باي ووزيره" المصلح خير الدين باشا، عرف نظام التعليم تبديل وتهذيب، ووضعت مناهج سارت به إلى الأمام بواسطة مرسوم سنة 1292هـ- 1876م حيث حدد برامج التعليم وطبعها بمواد جديدة كالتاريخ والجغرافيا والعلوم التطبيقية، وقسم سنوات الدراسة إلى درجات تتحكم في بدايتها ونهايتها امتحانات وشهادات ونظم طريقة انتداب المدرسين على أساس المناضرة وأنشأ مكتبة جديدة بالجامع وهي "المكتبة الصادقية"، لكن المعارضة التي تعرض لها خير الدين حالت دون تعليم المواد الجديدة واقتصرت على العلوم الإسلامية[2].

سمحت زيارة محمد عبده الثانية 1903م للشيخ "محمد الطاهر بن عاشور"[3]، الإصداع بآرائه الإصلاحية لما عين سنة 1907م نائبا أولا للدولة لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة، ودون أفكاره في كتابه "أليس الصبح بقريب" داعيا إلى إصلاح التعليم الزيتوني وطرقه وأساليبه والنهوض برجاله،

[1]- محمد البشير النيفر، تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة، المجلة الزيتونية، المجلد 1، ج 10، 1357 هـ- 1937م، ص 554.

[2]- حمادي الساحلي، فصول في التاريخ والحضارة، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 138.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: والد محمد الفاضل بن عاشور، ولد في تونس سنة 1879م من مدرسي الجامع الأعظم ثم رئيسا الجامعة الزيتونة، كتب عديد المؤلفات منها "تفسير القرآن المعروف باسم التحرير والتنوير" و"أليس الصبح بقريب" و"ديوان بشار بن برد" وغيرها.

حيث كلت أعماله بتأليف لجنة برئاسة "الطيب الجلولي"[1]، سنة 1912م التي وضعت مرسوما في 1912/09/16م هدفه رفع مدة الدراسة بجامع الزيتونة إلى سبع سنوات وإنشاء خمس فروع للجامع[2]، أما إصلاح الزيتوني في مطلع الثلاثينات فعرف انقساما وانشقاقا، حيث عينت الحكومة "خليل بوحاجب" رئيسا للجنة إصلاح التعليم الزيتوني، لكن اللجنة انقسمت إلى شقين الشق المحافظ والشق الإصلاحي، وأدى هذا الانشقاق إلى تفاقم الوضع بالجامع الأعظم لتقرر الحكومة تعيين "الشيخ الطاهر بن عاشور" شيخا للجامع أوائل 1933م، لكن الظروف السياسية التي سادت البلاد التونسية وتأزم الوضع بالجامع جعل الشيخ يقدم استقالته ليعوضه الشيخ صالح المالقي[3].

ب- دور جامع الزيتونة في النهضة العلمية والثقافية:

أما عن دور الجامع ككلية جامعة لتعليم علوم الدين والعربية، فقد تجاوز حدود تونس كلها خاصة وأنه صنف من بين أقدم المعاهد العربية الثلاث الموجودة شمال إفريقيا والمعهدان الآخران هما جامع القرويين بفاس وجامع الأزهر[4]، فكان دوره تعليم أبناء المسلمين مالهم وعليهم من خلال القرآن والسنة، بعد أن يأخذ التلميذ نصيبه من القرآن الكريم، يترقى في مدارج المعرفة كل بحسب مؤهلاته واستعداداته المادية ومواهبه الفطرية وينتهي تعليمه بتحصيله على إجازة من شيوخه، وبعد إجرائه لامتحان يحصل من زوال التعليم العالي على شهادة التطويع ثم العالمية لتتخرج الفئة التي يمكنها أن تقوم بمهام الدولة الإدارية والقضائية والمؤسسات العمومية والخاصة[5].

وعلى هذا الأساس كان جامع الزيتونة جامعة علمية من أقدم الجامعات له تاريخ عظيم من يوم تعليمه هو التعليم القومي، ولم يؤسس في تونس معهد للتعليم العالي غيره إلى أن تأسست دروس

---

[1]- الطيب الجلولي: ولد سنة 1862 بصفاقس، تلقى تعليما دينيا وأدبيا ثم دخل المدرسة الصادقية عند افتتاحها سنة 1875م، أنهى تعليمه بها سنة 1881م، عين وزيرا للتعليم سنة 1908م كما عين على رأس إدارة الأوقاف توفي سنة 1944م.

[2]- حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص ص 141- 142.

[3]- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 201.

[4]- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي (عصر الإمبراطورية، العهد التركي في تونس والجزائر)، ج 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005، ص 186.

[5]- محمد بن خوجة، المصدر السابق، ص 288.

الحقوق ومعهد الدراسات العليا سنة 1948م تخرج منه علماء ومفكرون أفذاذا اشتهروا في التاريخ بسمو المدارك العلمية وغزارة المعلومات وعلو الكعب في التدريس والفتوى والقضاء والتأليف والبعض منهم تقلدوا مناصب في الدولة والإدارة، واعتبر المركز الثقافي الديني للمغرب كله، يؤمه الطلاب من تونس والجزائر ومراكش للنهل من علومه[1].

ويقول عنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور أنه أعظم معالم المجد القومي في البلاد التونسية وأجمعها للمعاني التي تمثل عظمة الماضي وضمان الحاضر والمستقبل[2].

شارك الزيتونيون في حركة المقاومة الوطنية التي شملت معارك مختلفة على امتداد الفترة الاستعمارية، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر أحداث "الجلاز" سنة 1911م التي تعود إلى قيام سلطة الحماية بعمليات ترسيم المقبرة في السجل العقاري، وكانت تعتبر مقاما ذا صبغة دينية وكان معقل الاحتجاجات جامع الزيتونة، كما ساهمت واقعة الترمواي حين سحق طفل تونسي سنة 1912م، في اندلاع هذه الأحداث كما كان لجامع الزيتونة دورا بارزا في مناهضة قانون التجنيس سنة 1932م، وهو القانون الذي أصدرته الحكومة الفرنسية قصد فرنسة التونسي، فوقف الشعب رغم الموقف المتخاذل من بعض شيوخ الجامع وقفة رجل واحد ليجبروا فرنسا على إنشاء مقابر خاصة بالمتجنسين[3].

وبهذا أصبح جامع الزيتونة أحد أقدم المعاهد التعليمية العربية، الذي حمل لواء الثقافة القومية ما لا يقل عن اثنا عشر قرنا ونصف حافظ على مقوماتنا الحضارية في الوقت الذي كانت فيه الثقافة القومية مهددة بالمحو والشخصية القومية عرضة للمسخ[4].

يروي أبو القاسم سعد الله الحال التي آل إليها جامع الزيتونة بعد سنوات من غلقه، قائلا: "أما جامع الزيتونة الذي درست فيه سبع سنوات والذي افتخر بالانتصاب إليه فقد وقفت عنده وقفة

[1]- محمد الشاذلي بن القاضي، الجامعة الزيتونية، المجلة الزيتونية، المجلد 9، الجزء 6، 1374 هـ- 1955م، ص 289.

[2]- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 254.

[3]- علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص ص 143- 147.

[4]- الطاهر بن عبد الله، المرجع السابق، ص 256.

المتآمل المتذكر أمام طلل من الأطلال الدوارس، كان جامع الزيتونة في جميع العصور حتى في العصر الاستعماري المظلم مشكاة تضيء دنيا المشرق والمغرب، فأصبح في عهد الاستقلال والحرية وقد ضمت مشكاته وأغلقت أبوابه وانفض سامروه من العلماء والطلبة ونقلت المكتبات التي كانت ملحقة وليس به من حياة أو حركة غير طيور وحمام معششة هنا وهناك..."[1].

بعد ثورة الياسمين أعيد فتح جامع الزيتونة وفي أواخر مارس من سنة 2012م أعادت الحكومة المنتخبة فتحه من جديد وهو يمارس دوره التعليمي إلى الآن.

2- الزوايا والكتاتيب:

وقد تمكنت الزاوية في تونس من تأدية رسالة تربوية واجتماعية وثقافية ذات قيمة خاصة لأبناء الريف وذوي الحاجة، فقد كان يؤمها الطلبة الفقراء من مختلف الجهات بما في ذلك من أبناء الجزائريين، يجدون فيها المأوى والإطعام والتعليم المنتظم، يتعلمون بها بداية من حفظ القرآن، وقواعد اللغة والفقه، والأحاديث، وكانت تمثل الحلقة الوسطى بين التعليم الابتدائي والثانوي، كما كانت تعلم الطلبة أصول الطريقة الصوفية لمريديها من أذكار وإنشاد، وقصائد وأزجال[2].

وكان أغلب الزوايا بتونس تتوفر على مكتسبات حافلة بنوادر المخطوطات يستعين بها الشيوخ والطلبة وأهم هذه الزوايا واقدمها: "زاوية محرز بن خلف" التي تأسست 413هـ/ 1023م، وكان محرز بن خلف يعلم القرآن والفقه ولقب بالمؤدب والمربي، أما أهم زاوية بالقيروان فهي زاوية الشيخ "أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان القيسي الرماح" سنة 1349م وزاوية "أبي الربيع سليمان ابن سالم النفوسي" سنة 1365م وزاوية "أبي عبد الله محمد بن عبد الله السباتي" 1384م[3].

[1]- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005، ص 264.

[2]- أحمد الطويلي، المراكز الثقافية والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي، مؤسسة سعيدان، تونس، 2000، ص ص 10-12.

[3]- وسيلة بن حمدة، الزاوية ودورها التربوي والاجتماعي، مجلة الهداية، ع 4، تونس، جانفي، 1995، ص 31.

كما كان لزاوية علي عزوز بزغوان دورا هاما، وزاوية الشيخ "مصطفى بن عزوز" بنفطة[1] في الجنوب التونسي سنة 1845م، وهي من أهم مراكز الطريقة الرحمانية، من الذين تولى التدريس بها الشيخ الصالح الحمادي، أحمد السنوسي القفصى، إبراهيم التوزري، وغيرهم وتخرج منها: الشيخ محمد المكي بن عزوز، الشيخ أحمد الأمين، الشيخ عاشور الخنقي عبد القادر الياجوري، العربي التبسي... وبالرغم من وجود الكثير من الزوايا في مدينة نفطة إلا أن زاوية الشيخ "مصطفى بن عزوز" استطاعت أن تستقطب الكثير من سكان تونس وحتى المهاجرين إليها، وكان لها دورا في دعم المقاومة في الجزائر وربط علاقات وطيدة مع بقية الزوايا في تونس والجزائر، وبعد وفاة مؤسسها تولى رئاستها ابنه "أحمد الحفناوي" سنة 1853م- 1894م، ثم أخوه الشيخ محمد الأزهري سنة 1931م[2].

ولقد أوجدت الزوايا والطرق الصوفية في بدايات عهدها مناخا فسيحا للتعلم قبل أن تتحول إلى أمكنة للدروشة بفعل تدخلات الإدارة الاستعمارية في شؤون الزوايا وإخضاع شيوخها وإتباعها عن التجديد والإصلاح، إلا أنها ومع ذلك فقد كانت صاحبة السبق في فضل التعليم وفي ذلك يقول "أحمد توفيق المدني": "كان للطرق الصوفية والزوايا خطوة كبيرة ونفوذ عظيم وكانت ذات رمزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابرين من حيث أنها استطاعت الحفاظ على الإسلام والعربية بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات"[3].

وبعد تخلي الزاوية عن التعليم أفسحت المجال للكتاتيب والمدارس التي انتشرت في أنحاء البلاد، فنجد الكتاتيب التي تدعى النواة الأولى لمستوى التعليم العربي في البلاد الإسلامية ومنها التونسية حتى نهاية القرن التاسع عشر، إذ يتلقى الأطفال فيها الكتابة والقراءة والمعارف القرآنية وانتشرت هذه الكتاتيب في كامل البلاد التونسية[4].

---

[1]- نفطة: إحدى قرى واحات الجنوب التونسي المتاخم للحدود الجزائرية، تشتهر بنشاطها العلمي، وبانتساب عدد من الشعراء والكتاب إليها في الماضي والحاضر.

[2]- حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص ص 273- 275.

[3]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص ص 350- 351.

[4]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج 2، ص 677.

كان للمدارس الصوفية دورا عظيما في نشر الثقافة العربية الإسلامية بمدينة تونس، تداول على تدريس اللغة العربية بها عدد وافر من رجال الفكر والأدب أمثال: أمحمد مناشر، العربي المجاري وغيرهم من الأدباء: محمد الهادي العامري، أحمد خير الدين وغيرهم وساهمت في غرس الروح الوطنية في نفوس تلامذتها حيث شارك في نشاطها التربوي الطاهر صقر الذي أشرف عليها 1922م-1924م، والحبيب بورقيبة الذي انتخب عضوا بها سنة 1930م، والمناضل صلاح الدين بوشوشة الذي أسندت إليه تعليم اللغة الفرنسية، كان تأسيس هذه المدرسة من طرف الجمعية الخيرية الإسلامية التونسية سنة 1909م لتعليم الفقراء والمساكين[1].

3- المدارس التعليمية والجمعيات:

لقد كانت البلاد التونسية عامرة بالمؤسسات التعليمية منذ القدم خاصة خلال العهد الحفصي، حيث كان للإنشاد دور كبير في ازدهار الحياة الفكرية والتعلمية بإقبال جمهور الطلبة والناشئة على النهل من العلوم والتعلم، وكانت المدارس[2] ليلا ونهارا تنشط في الحواضر الكبرى وخاصة في تونس العاصمة بالقرب من جامع الزيتونة في باب السويقة وباب الجزيرة وباب البحر ... ولم تقتصر على إلقاء الدروس واجتماع الطلبة في حلقات حول شيوخهم[3].

وفي عهد محمد الصادق باي (1859- 1882م) شكل الوزير خير الدين باشا لجنة لإصلاح التعليم وإدخال مناهج جديدة تتماشى وروح العصر، وبإعادة النظر في التعليم الزيتوني وقد عكفت لجنة الإصلاحات طول سنة أشهر على ضبط مراحل وسنوات التعليم واستحداث المدرسة الصادقية 1875م[4].

[1]- حمادي الساحلي، فصول في التاريخ والحضارة، ص ص 351- 352.

[2]- أنظر الملحق رقم (06).

[3]- المنصوري البشير، الجمعية الخلدونية بين شموع الماضي والتواصل مع الحاضر، مجلة الهداية، عدد 160، أفريل 2004، تونس، ص 67.

[4]- محمد فلاح العلاوي، التعليم في الزيتونة والقرويين بين التقليد والتجديد أواخر القرن 19م وبداية القرن 20، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، عدد 11، ماي 2002م، تونس، ص 26.

- **المدرسة الصادقية:**

فتحت أبوابها في 1875/02/27م وعين العربي زروق على رأسها، وبلغ عدد تلاميذها عند الافتتاح 167 تلميذا، واستطاعت هذه المدرسة أن تجلب اهتمام التونسيين وتمنحهم ثقافة عربية إسلامية وتعليما عصريا، يقوم على تدريس اللغات الأجنبية كالتركية، والفرنسية والإيطالية، والرياضيات والطبيعيات والتاريخ والجغرافيا، وقد وصل التعليم فيها إلى درجة أولية وثانوية مع سبقه للتعليم الزيتوني، بحيث يمكن للطالب أن ينتقل في رتبة معينة من الدراسة الثانوية لإكمال دراسة العلوم الدينية بجامع الزيتونة أو يواصل تعليمه العصري[1]، وينقسم التعليم بهذه المدرسة إلى ثلاث مراحل:

أ- **المرحلة الابتدائية:** وتدوم أربع سنوات، يحفظ خلالها التلميذ نصيبا من القرآن الكريم والحديث الشريف والقراءة والكتابة واللغة.

ب- **المرحلة الثانوية:** تدوم خمس سنوات وتدرس فيها اللغة العربية والعلوم الشرعية (المطابقة لبرنامج الزيتونة)، وخلالها يخير التلميذ بين الانتقال إلى الجامع الأعظم بالزيتونة أو مواصلة تعليمه بالمرحلة الأعلى.

ت- **المرحلة العليا:** وتدوم الدراسة سبع سنوات تدرس فيها اللغات الأجنبية والعلوم الرياضية والهندسة والعلوم الطبيعية.

وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس، تم استهداف المدرسة الصادقية وتعميم اللغة الفرنسية في جميع مواردها وبرامجها، كما حذف التعليم الثانوي وتحولت الصادقية إلى مجرد مدرسة ابتدائية، وفي مطلع القرن 20م تم إدماجها في معهد "كارنو" الفرنسي الذي أصبح يسمى المعهد الثانوي الصادقي[2].

ظل التعليم بالمدرسة يتسم بالازدواجية اللغوية من سنة 1892م إلى غاية 1912م وذلك في عهد المستعرب "دلماس" Dalmas، وجراء هذا الوضع الذي وصلت إليه المدرسة قام خريجوها بحملة

[1]- محمد فلاح العلاوي، المرجع السابق، ص 27.

[2]- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص ص 81-82.

صحفية للمطالبة بإصلاح التعليم بمدرستهم التي حادت عن الهدف الذي رسمه لها مؤسسها خير الدين باشا وتحولها إلى مدرسة خاصة بتخريج مترجمين فرنسيين وذلك بحذف كل من اللغة الإيطالية والتركية وتدريس العلوم الأخرى باللغة الفرنسية فقط وتراجع مكانة اللغة العربية لتصبح اللغة الثانية إضافة إلى سياسة التمييز التي تسلكها إدارة المدرسة سواء من حيث برمجة اللغة العربية أمام اللغة الفرنسية أو معاملتها للطلبة، كما انخفض عدد الأساتذة التونسيين وذلك بتعويضهم بفرنسيين[1].

ونتج عن هذا الوضع انخفاض عدد الطلبة، فبعدما كان عددهم عند انطلاق المدرسة سنة 1875م يقدر بـ 150 تلميذا ليصبح سنة 1899م 91 تلميذا و75 تلميذا سنة 1907م[2].

ورغم محاولات الإدارة الاستعمارية النيل من هذه المدرسة وإفراغها من محتواها إلا أنها تمكنت من إخراج جيل من الطلبة التونسيين الذين أصبح لهم دورا بارزا في حاضر ومستقبل تونس منهم "البشير صقر وباش حامبا" و"الحبيب بورقيبة" وغيرهم من إطارات الحركة الوطنية في تونس.

- **المدرسة الخلدونية:**

ظهرت في عهد الحماية الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر 1896م، عرفت في البداية بالجمعية الخلدونية نسبة إلى العلامة "عبد الرحمان ابن خلدون" بفضل المقيم العام في تونس الفرنسي "لويس روس ميلي" "Louis rosse Miely"، الذي كان من دعاة التقرب من التوانسة وهو من المعجبين بالحضارة العربية الإسلامية، عين على رأسها "محمد القروي" (1896- 1897م)، خريج المدرسة الحربية بباردو وقد خلفه "البشير صفر"، لمدة سنة أيضا وتتداول على رئاستها كل من أحمد القلاتي 1899م ومحمد الأصرم (1900- 1909م)، عبد الجليل الزاوش (1910- 1919م)، حسن قلاتي 1920م، محمد الأصرم (1924م- 1925م)، عمر البكوش (1926- 1929م)، عبد الرحمان الكعاك (1930- 1943م)، محمد فاصل بن عاشور (1943- 1958م)[3].

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ص 651.

[2]- عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 70.

[3] - Mangi Sayadi, AL-Jamigga- AL Khaldounia, Tunis M.T.E, 1974, p p 40 ,45.

يقول محمد الطاهر بن عاشور: "يستجيب إنشاء الخلدونية إلى حاجة ملحة لفك الحصار المضروب على دراسة العلوم العصرية بالجامع الأعظم، التي وقع تغييبها فيه بسعي من سلطات الاحتلال ورغبة من بعض شيوخ الزيتونة المحافظين، إن النتائج التي حققتها المدرسة الخلدونية شاهدة على صدق العمل، وهو بحثنا على الاستمرار في نشر العلوم بين أوساط طلبتنا والارتقاء بهم في درجات التقدم والإصلاح"[1].

أما مقاصد الجمعية الخلدونية فتمثل في: البحث عن الوسائل المفضية إلى توسيع نطاق المعارف لدى المسلمين وذلك بترتيب دروس ومحاضرات باللغة العربية في الحساب والجغرافيا والتاريخ والصحة وغيرها، وإنشاء مكتبات وأن تحدث جريدة تنشر بالعربية والفرنسية الغرض منها التعريف بالتمدن العربي الفرنسي والفرنسي العربي[2].

عظمت سمعة الخلدونية وذاع صيتها وتسابق الناس إلى دروسها، حتى اشتاق إليها الرحالة المتطلعون إلى ترفيه معارفهم من طلبة الجزائر والمغرب الأقصى، وكان إقبال الطلبة الزيتونيين عليها أكبر لأن تعليمهم بالجامع الزيتونة خال من العلوم العصرية، فأصبحوا يزاولون دراستهم بالجامع والجمعية وعهد بتدريس تلك العلوم إلى مدرسين تونسيين ممن تخرجوا من المدارس الفرنسية أي المدرسة الصادقية[3].

أما عن أقسام التعليم بها فهي:

- **التعليم الابتدائي**: يلقن التلاميذ مبادئ اللغتين العربية والفرنسية والكتابة والقراءة.
- **التعليم الثانوي**: ويتضمن التاريخ والجغرافيا والحساب والعلوم الطبيعية وغيرها.
- **التعليم العالي**: يهيئ التلاميذ لاجتياز امتحان شهادة المعارف العلمية ويدرس الأدب والفلسفة والإنشاء والرياضيات والهندسة والاقتصاد، ولتوسيع معارف الطلبة لهذه المواد تأسست مكتبة عرفت بالمكتبة "الخلدونية" سنة 1900م برئاسة "محمد بن القاضي" بلغ ما بها من المجلدات نحو خمسة

[1]- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 146.

[2]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 74.

[3]- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 84.

آلاف منها كل نادر ونفيس، خصص بها قسم للمؤلفات التونسية المطبوعة والمخطوطة وقسم آخر للدوريات باللغتين العربية والفرنسية وبلغ عدد المطالعين بها تلك الفترة أكثر من 1000 مطالع كل شهر[1].

وكان إقبال طلبة الزيتونة على الخلدونية إقبالا منقطع النظير وبذلك ذاع صيتها وعظمت سمعتها، وتسابق الطلبة إلى دروسها، ولقد وجه التعليم بالخلدونية خاصة إلى طلبة الزيتونيين الذين يتصف تعليمهم وخلوه من دراسة العلوم العصرية، فتحددت بذلك رسالتها وهي إصلاح التعليم الزيتوني، وتكميله وإطلاع "لقاح" علوم العصر من علوم ورياضيات حتى يكتمل التحصيل العلمي لدى الطلبة الزيتونيين[2].

بعد حل الجمعية سنة 1938م ألحقت المكتبة بمصلحة المكتبات العمومية التابعة لوزارة الثقافة ونقلت مخطوطاتها النفيسة إلى دار الكتب الوطنية، استطاعت هذه المكتبة أن تطلع روادها على الحضارة العربية الإسلامية والأوروبية وأن تفتح أذهانهم على مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية[3].

أما فيما يخص إقامة التظاهرات الثقافية التي تنتج عنها إنجازات كإنشاء معهد الدراسات الإسلامية في جانفي 1946م، ومعهد الحقوق العربي ومعهد الفلسفة، وغيرها من المعاهد، وعندما طغت الأحداث السياسية على الحياة العامة، تقلص دور الجمعيات الثقافية، فأصبحت الجمعية الخلدونية مجرد مدرسة حرة.

وعلى الرغم من رضا الإدارة الفرنسية عن هذه المؤسسة التي قدمت خدمة لا تحصى فوائدها ليس فقط للطلبة المسلمين الذين مكنتهم من الاتصال المباشر بالحضارة الأوروبية وخاصة الفرنسية، بل كذلك المستعمرين الفرنسيين، إذ وضعت بين أيديهم مكتبة خاصة غير أن هذه المدرسة أثارت

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج 2، المرجع السابق، ص ص 664- 665.

[2]- أحمد الطولي، المرجع السابق، ص 67.

[3]- حمادي الساحلي، تراجم وقضايا معاصرة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005، ص 386.

تخوفات في أوساط المعمرين الذين رأوا فيها مركزا للدعوة الإسلامية، وفي هذا الصدد كتب كارنيار قائلا: "إذا ما قدر أن تندلع ثورة البلاد التونسية فإن هيئة أركان ثوارها قد تخرجت من الخلدونية"[1].

- **جمعية قدماء الصادقية:**

تحصلوا على موافقة الحماية على تأسيسها في 24 ديسمبر 1805م وابتدأ أعمالها أوائل 1906م بفضل حماس محام شاب، كان بارعا في الجدل، مناضلا جمع بن الشجاعة والثبات على المبدأ وهو "باشا حانبة"[2]، وكان أول من ترأسها "خير الدين بن مصطفى" وهو رجل علم ذو نفوذ أدبي كبير، يساعده احدى عشرة عضوا وهم: أحمد الغطاس نائبا وحسين أبو حاجب كاتبا ومحمد الشعبيني أمينا للمال وأعضاء آخرون دائمون، وقد رسمت الجمعية أهدافها، وتمثلت في نشر العلوم العصرية وتبسيطها في الأوساط التونسية على غرار الجامعات الشعبية والعمل على تغيير العقليات وإصلاح الأوساط الاجتماعية والمؤسسات مستمدة أهدافها من الجنرال خير الدين عند تأسيسه للمدرسة الصادقية سنة 1875م[3]، كما شاركت الجمعية الخلدونية جمعية قدماء الصادقية في إلقاء المحاضرات وكان محاضريها الشيخ "محمد الخضر حسين" بمحاضرتين الأولى حول اللغة العربية سنة 1906م، والثانية موضوعها الحرية في الإسلام سنة 1909م[4].

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها نهضت جمعية قدماء الصادقية من سباتها وانتخبت سنة 1919م هيئة جديدة برئاسة "حسن حسني عبد الوهاب" ثم محمد الأصرم سنة 1923م، واصلت الجمعية نشاطها فأصدرت في أفريل 1920م مجلة عرفت بـ "المجلة الزيتونية"

[1]- شارلي أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 76- 77.

[2]- علي حامبة: ولد سنة 1875م تونسي المولد درس بالمدرسة الصادقية ثم انتقل إلى باريس حيث تحصل على شهادة الليسانس في الحقوق مارس مهنة المحاماة في تونس مؤسس جمعية قدماء الصادقية تزعم بعدها حركة الشباب المسلمين، شارك في إصدار جريدة التونسي سنة 1907- 1911م، تولى مناصب حكومية في اسطنبول توفي سنة 1918م.

[3]- أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881- 1956م)، ط1، تعريب حمادي الساحلي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م، ص 336.

[4]- حمادي الساحلي، جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية، المجلة الصادقية، ع 2، ص 21.

واستمرت محاضراتها بلسان نخبة من العلماء وأهم نشاط قامت به هو إنشاء النادي الأدبي الذي كان عبارة عن ملتقى يحضره الأدباء والشعراء ورجال الفكر ويلقى به مناقشات ومناظرات[1].

خلال الثلاثينات اتسم نشاط الجمعية بطابع سياسي إضافة إلى تكثيف النوادي المختصة وهي النادي الأدبي برئاسة "عثمان الكعاك" ونادي البحوث الاقتصادية برئاسة "الطاهر صغر" ونادي البحوث التشريعية والقانونية برئاسة الهاشمي السبعي، ونادي البحوث الفلسفية كما اهتمت بجمع التبرعات لفائدة الطلبة المغتربين وغيرها من النشاطات[2].

كما انتشرت في البلاد التونسية مؤسسات تعليمية أخرى تستقطب طلبة العلم من جميع الجهات بما فيهم أبناء الجالية الجزائرية المهاجرة في مدارس قفصة بالجنوب التونسي والمدرسة "المليتية" بالكاف وغيرها من مدارس الوقف العام في تالة وتوزر ونفطة ودقاس.

ثالثا– النشاط الصحفي:

يؤكد مؤرخو الصحافة التونسية[3] أن جريدة "الرائد التونسي" هي أول جريدة تونسية ظهرت في البلاد وقد صدر أول عدد منها يوم 22 جويلية 1860م أي قبل انتصاب الحماية الفرنسية بتونس بعشرين سنة تقريبا، تعتبر هذه الجريدة واحدة من آليات التحديث التي أدخلها المصلحون التونسيون على البلاد على غرار إنشاء المطبعة الرسمية وإدخال التلغراف وإحداث المدرسة الحربية وهيكلة الإدارات التونسية...

في سنة 1888م صدرت أولى الجرائد التونسية الناطقة باللغة العربية من أهمها: "نتائج الأخبار" و"الحاضرة" و"القصبة"، فتحت الآفاق واسعة لنمو الصحافة الصادرة باللغة العربية التي حققت رقما قياسيا سنة 1910م إذ بلغت 11 عنوانا[4].

---

[1]– محمد مختار بن محمود، المدارس القرآنية بتونس، كيف تأسست مهمتها ونتائجها، المجلة الزيتونية، ج6، مج 2، تونس، مارس 1938م، ص ص 2- 9.

[2]– حمادي الساحلي، جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية، المجلة الصادقية، ع 2، ص 24.

[3]– أنظر الملحق رقم (07).

[4]– محمد الحبيب، تاريخ الصحافة التونسية، المجلة الزيتونية، المجلد السادس، ج 1، ع 1، تونس، 1951، ص ص 350- 351.

خلال الفترة الممتدة ما بين 1903- 1912م، توالي إصدار الصحف في تونس بكثرة فائقة حتى بلغ عددها 54 صحيفة أحصاها العلامة الطرازي في كتابه "تاريخ الصحافة العربية" لم يعمر منها بعد الحرب العالمية الأولى سوى القليل مثل "مرشد الأمة" لسليمان الجادوي 1909م و"المشير" للطيب بن عيسى 1911م، والتي تحول اسمها إلى "الوزير"[1].

وإن حل عام 1919م حتى كانت الصحافة التونسية قد دخلت في مرحلة جديدة، إذ ظهرت صحف وطنية تصدر بالعربية والفرنسية، كما شهدت الصحافة حملة قلمية عنيفة ضد الحكم الاستعماري، وتميزت هذه المرحلة بظهور صحافة حزبية وعالمية نذكر منها:

صحف 1920- 1937م: العصر الجديد 1920م، المنير العربي، الوزير 1920م، النديم 1921م، المبشر 1922م، المحتل 1922م، البرهان 1922م، إفريقيا 1922م، الحقيقة 1922م، النهضة 1923م، المنجنيق 1923م، العالم الأدبي 1923م، الزمان 1929م، الإرادة 1929م، عودة الزهرة 1932م، الفلاح التونسي 1932م، المكشوف 1934م، العمل 1935م، الشباب 1935م، تونس الفتاة 1936م، الطليعة 1937م[2].

ولا شك أن الصحافة هي الوسيلة المثلى للتواصل بين الفئة المثقفة والجماهير الشعبية العربية ولهذا نستعرض نموذجين من هذه الصحف من إنتاج الرعيل الأول وهما:

أ- جريدة الحاضرة[3]:

هي جريدة عربية أسبوعية صدرت سنة 1888م ساهمت هذه الصحيفة التي كان يديرها علي بوشوشة[4]، في تكوين رأي عام بتونس من خلال القضايا الهامة كاستعمار الأراضي والتعليم والنظام القضائي... إلخ وإن لم تعارض بصراحة نظام الحماية فهذه الصحيفة هي امتداد للحركة الإصلاحية

[1]- مروة أديب، الصحافة العربية ونشأتها وتطورها، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1960م، ص ص 222- 223.

[2]- المرجع نفسه، ص 230.

[3]- أنظر الملحق رقم (08).

[4]- **علي بوشوشة**: (1859- 1917م) ينحدر من عائلة وجيهة من بنزرت درس اللغات الثلاث العربية والفرنسية والتركية أتم دراسته بأوروبا، عاد إلى تونس وأسس جريدة الحاضرة مع مجموعة من الشبان المثقفين للنهوض بالوطن، أنظر: الصادق الزمرلي، إعلام تونسيون، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار العرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص ص 133- 136.

تعمل على إقناع الرأي العام بأن الإسلام لا يتنافى مع التقدم وإن انحطاط العالم الإسلامي يعود أساسا إلى رفضه للتطور، وإن النهوض بالبلاد التونسية يقتضي التخلي عن العقلية القديمة والاقتداء بالتجارب الأوروبية المبنية على تطور العلوم، ساهمت إلى حين انقطاعها عن الصدور سنة 1911م في تكوين رأي عام بتونس، وقد لقي الاتجاه العصري الذي سلكته معارضة من طرف الأوساط المحافظة بجامع الزيتونة ولمقاطعة هذا التيار ونشر الأفكار العصرية بين الطلبة الزيتونيين، ساهمت جماعة الحاضرة في تأسيس جمعية الخلدونية التي تأسست 1896/12/22م برئاسة "محمد لصرم"[1]، ترمي إلى تلقين العلوم العصرية للشباب التونسي[2].

ب- جريدة التونسي: Le tunisien:

أسسها الشباب التونسي في 07 فيفري 1907م وعهدت بإدارتها إلى علي باشا حامبة وصدر في عددها الأول البرنامج السياسي الاقتصادي والاجتماعي، ورغم أنها كانت ناطقة باللغة الفرنسية استطاعت أن تدافع عن مصالح التونسيين الحياتية مثل إيجاد مؤسسة تشريعية وتحسين حالة الفلاحين التونسيين، ومقاومة انتزاع أراضي الأوقاف الخاصة وحرمان الأهالي من أهم الوظائف الإدارية وإصلاح التعليم وتعميمه... إلخ، وقد جاء في افتتاحية العدد الأول أن الرسالة التقدم التي تقوم بها فرنسا في تونس بدأت تؤدي أكلها، أن جيلا جديدا تثقف باللغة الفرنسية وتأثر تأثرا كبيرا بأفكارها الغنية يجد نفسه اليوم في حالة تسمح له بأخذ مكانة في الحياة الاجتماعية لبلاده وبالمساهمة في عمل التجديد وفي نطاق هذا الهدف أسس "التونسي"، ومنذ 1909م أصبح لها نشرة عربية يشرف عليها عبد اعزيز الثعالبي[3].

وكان لعودة الكاتب بيرم التونسي إلى تونس عام 1932م، دورا كبير في تطوير للصحافة الساخرة، حيث أسس صحيفة "الشباب"، وعرف بتفاعله مع الكتاب في الصحف الساخرة مثل

[1]- **محمد الأصرم**: (1858- 1925م) ينحدر من أسرة عريقة أصلية بالقيروان، كان ملفت النظر سواء في المدرسة الصادقية أو جامع الزيتونة بحكم موهبته وأفكاره، كان يطمح دائما لخدمة البلاد التونسية، أنظر: الزمرلي الصادق، المصدر السابق، ص ص 177- 187.

[2]- علي المحجوبي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربيين، منشورات الجامعة التونسية، 1986م، ص ص 23- 24.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 30- 31.

علي الدوعاجي صحيفة "الصاعقة"، ومحمد مختار سعادة "النسناس"... فساهمت كتابتهم في نشر الوعي الوطني كما شاهدت الصحافة الهزلية التونسية (الفكاهية، الرسوم الكاريكاتورية) ازدهارا كبيرا فصدرت صحف قزدور لعثمان محجوبي، الوادار لشادلي بن محمد البلدي، السردوك لشادلي الغمري ... إلخ[1].

عرفت البلاد التونسية في بداية الثلاثينات حركة ثقافية نشيطة، فعبر المثقفون عن أزمة المجتمع التونسي وتطلعاته إلى التحرر ومن بينهم الدوعاجي، أبو القاسم الشابي، الطاهر الحداد، بيرم التونسي وغيرهم...

رابعا– المسرح:

كان المسرح منعدما في تونس في بداية القرن العشرين وكانت بعض الفرق التمثيلية تأتي من فرنسا أو إيطاليا لتقدم بعض العروض من حين لآخر، وحوالي سنة 1907م تكونت أول جمعية تمثيلية سميت "النجمة" سرعان ما اندثرت وخلفها "الجوق التونسي المصري".

المسرح التونسي الذي ظهرت طلائعه في القرن العشرين وتطور أكثر مع مطلع الأربعينيات، لم يكن مألوفا من قبل في الأياله اللهم إلا في شكل مسح الظل أو الكاراكوز، ثم ظهر بها متأثرا بمصر خصوصا بعد قدوم العديد من الفرق المسرحية إلى تونس في الفترة 1907م– 1908م، ففي سنة 1908م تأسست جمعية النجمة التمثيلية على يد شلة من الشباب التونسيين أمثال (أحمد بوليمان ومحمد بورقيبة والبشير الخنقي)، ثم تأسست في سنة 1908م "جمعية الجوق التونسي المصري" وكذا "جمعية الشهامة العربية" وبإيعاز من الشيخ الثعالبي وعلي باشا حانبة بعثت جمعية الآداب سنة 1911م فقدمت عروضا مسرحية بالعاصمة وسوسة وصفاقص وفي الجزائر ومع مجيء سلامة حجازي سنة 1914م اندمجت جمعية الآداب والشهامة تحت اسم "التمثيل العربي" لتنبثق عنها جمعية "المستقبل العربي" و"جمعية السعادة" وتطور الفن المسرحي مع مجيء جورج الأبيض إلى تونس مع فرقته سنة 1922م، وفي 1935م ظهر المسرح التونسي جليا مع تأسيس فرقة المسرح التونسي ليدمج مصطفى صقر سنة 1936م وكل الجمعيات العاملة في المسرح في جمعية "الاتحاد المسرحي" فاتجهت عنايتهم بعد الحرب العالمية الثانية إلى بعث المسرح التونسي الأصيل[2].

[1]– حمادي الساحلي، العزلية في تونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 33.

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، المرجع السابق، ج 1، ص 122.

III- انعكاسات الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر وتونس:

أ-في الجزائر:

إن المتتبع للحقائق التاريخية، يدرك بأن اليقظة الفكرية والثقافية الجزائرية مع بداية القرن العشرين تعد حلقة مفصلية في تاريخ الجزائر، حيث أن الواقع الصعب الذي شهدته البلاد نتيجة الاحتلال الفرنسي قد كان له دور في ظهور حركة فكرية معبرة عن تطورات ثقافية وسياسية واجتماعية هدفها التصدي للمخطط الاستعماري الفرنسي بآليات جديدة، ميزتها فعاليات نشاط الصحافة الجزائرية بشقيها العربي والفرنسي، إضافة إلى اهتمام بعض الأعلام الجزائريين بإحياء التراث المكتوب مع تأسيس النوادي والجمعيات الثقافية وتوطيد أواصر الترابط والتواصل الثقافي والفكري مع الدول العربية وفي طليعتها تونس.

- **ساعة اليقظة:**

تعود بوادر النهضة الفكرية والثقافية في الجزائر إلى أواخر القرن التاسع عشر، حيث بدأ الجزائريون اعتماد آليات جديدة لمواجهة المخطط الاستعماري الذي لم يكتف بالسيطرة على الأرض بل كان يسعى لتحقيق مشروع فرنسة الجزائر واستئصال مجتمعها من مقوماته الأساسية[1].

فرغم الحصار الذي فرضته السلطات الفرنسية على الجزائر لعزلها عن محيطها العربي والإسلامي، إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين من التواصل مع الأقطار العربية والإسلامية عن طريق الرحلات العلمية إلى الأزهر وجامع الزيتونة والجامعات الإسلامية الأخرى، أو عن طريق الدعوات الإصلاحية التي عرفها العالم الإسلامي كدعوة جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده[2].

حيث تكونت مع أوائل القرن العشرين في الجزائر طائفة من العلماء العاملين المتشبعين بالثقافة العربية الإسلامية والذين يؤمنون بضرورة تكريس الهوية الإسلامية في أوساط المجتمع الجزائري للحفاظ على كيان الأمة الجزائرية والذين كانوا يكنون العداء للخدمة العسكرية وفكرة التجنيس، كان شعارهم

[1]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1980م، ص 160.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى 1931- 1954م، المرجع السابق، ص 227.

"نعم للإصلاح بشرط المحافظة على الهوية الإسلامية"، من أهمهم الشيخ "عبد القادر المجاوي" و"عبد الحليم بن سماية"، "المولود بن موهوب"، "أبو القاسم الحفناوي"، وغيرهم ممن مثلوا كتلة المحافظين التي شكلت المنابع الفكرية الأولى لنادي الترقي الذي تأسس بالجزائر العاصمة سنة 1927م[1].

نادي الترقي الذي ضم مجموعة من العلماء والمفكرين المتشبعين بالثقافة العربية الإسلامية، أمثال عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، والطيب العقبي وغيرهم والذين أصبحوا فيما بعد أساتذة ومشايخ من الطراز الكبير لأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2]، هؤلاء المصلحين الذين دعوا إلى نبذ الخرافات والبدع التي تفسد الدين وإلى التربية والتعليم، كما وجدوا في الصحافة وسيلتهم للاتصال بأمتهم[3]، إضافة إلى ظهور الجمعيات والنوادي التي تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة[4]، وأبرز هذه النوادي نادي صالح باي سنة 1907م، والذي كان من بين أهدافه معالجة الأمراض الأخلاقية ومحاربة الظلم ومساعدة الجزائريين على إظهار مواهبهم الأدبية[5].

ومن المعروف بأن الاستعمار لم يضع مسألة تعليم وتثقيف الجزائريين احدى أولوياته، حتى عندما تبنى فكرة تعليم فئة منهم لأن الهدف الحقيقي من وراء ذلك كان تحويل الجزائر إلى قاعدة ثقافية، لأنه يدرك جيدا بأن القواعد الثقافية أخطر من القواعد العسكرية لكونها تغرس في الأذهان والوجدان، لذلك يقول جونار عن هدف المدرسة الفرنسية: "الهدف الأساسي للمدرسة نشر التعليم والأفكار الفرنسية..."[6]، وهذا ما دفع علماء الجزائر ومنذ نهاية القرن التاسع عشر أمثال عبد القادر المجاوي، مصطفى الكبابطي ومحمد بن أبي شنب إلى المناداة بضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية،

[1]- عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط 1، دار طليطلة، الجزائر، 2009م، ص ص 108- 109.

[2]- المرجع نفسه، ص 109.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، أحداث 08 ماي 1945م، ذكرى تضحيات جسيمة وعبرة كفاح مرير: مجلة الذاكرة، ع 2، الجزائر، 1995م، ص 103.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص 313.

[5]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص 139.

[6]- شارل روبير أجرون، المرجع السابق، ص 876.

رافضين سياسة الاستلاب والمسخ الثقافي الناتجة عن التعليم الفرنسي ودعوا إلى الأخذ بأسباب الحضارة بطريقة محايدة[1].

كما أثبتت شخصيات وطنية بارزة حرصها على مسألة المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية، من أبرزها شخصية الامير خالد الذي طالب بالتعليم الإجباري باللغة العربية والفرنسية جنبا إلى جنب لأنه يدرك جيدا بأن اللغة العربية هي عماد الدين الإسلامي، وتعلمها يزيد الجزائرين تمسكا بمقومات شخصيتهم الوطنية، فيكون ذلك درعا واقيا لهم من كل محاولات المسح الحضاري[2].

وكانت مسألة إلزامية تعليم اللغة العربية وترسيمها مطلبا أساسيا لنجم شمال إفريقيا وعلى لسان مصالي الحاج وحق الجزائريين في التمتع بجميع مستويات التعليم[3]، فقد عبر مصالي الحاج عن موقفه من المسألة الثقافية مخاطبا بعض العلماء المصلحين في تلمسان قائلا: "مهمتكم الأساسية كمعلمين أن تقوموا بدوركم على أحسن وجه في تعليم أبنائنا تعليما وطنيا، وتربوا هذا الجيل تربية صحيحة وهكذا تكونوا قد شاركتم في بناء وطنكم..."[4].

وبعدما أيقنت فرنسا أن الجزائر أصبحت إلى الأبد قطعة منها مسيحية الدين، فرنسية اللسان، جاء تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م كرد فعل إيجابي على احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلال الجزائر[5]، فقد عملت هذه الجمعية على إحياء الدين الإسلامي عن طريق تحريره من السيطرة الاستعمارية المتمثلة في رجال الدين الرسميين،ومحاربة الخرافات والبدع والفساد والظلم ومحاربة الجهل بواسطة إحياء اللغة العربية وذلك لا يتم إلا بإعادة بعث المجال التعليمي من جديد ببناء المدارس والكتاتيب[6].

[1]- أحمد مريوش، موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي خلال فترة الاحتلال، المرجع السابق، ص 260.

[2]- جمال قنان، التعليم الأهلي في عهد الاستعمار 1930- 1944م، المرجع السابق، ص 126.

[3]- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 184.

[4]- جمال قنان، التعليم الأهلي في عهد الاستعمار 1930- 1944م، المرجع السابق، ص 130.

[5]- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1929- 1940م، المصدر السابق، ص 11.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 301.

- **التحرر عبر التعليم الحر:**

شكل عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ميدان التعليم مساهمة فعالة للحركة الإصلاحية في التطور العام للمجتمع الجزائري ويعد إنجازا ذا أهمية سواء من حيث نوعية التعليم المتقدم، أو من حيث عدد المؤسسات التعليمية والمدارس التي بنتها والتي لا يعرف عددها بالضبط نظرا لوجود أرقام مختلفة وبتقديرات متباعدة[1].

وتعد مدرسة الحديث بتلمسان من أهم المدارس التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فعند تدشينها صباح الإثنين في 22 رجب 1356هـ/ 27 سبتمبر 1937م، وبحضور المكتب الإداري للجمعية وعلى رأسهم الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي الذي ألقى كلمة الافتتاح التي قال فيها: "إن هذه المدرسة هي الشاهد الذي لا يكذب على صدق النهضة الإسلامية العلمية ونضوجها ووصولها إلى درجة الكمال التي يفرح بها العاملون، ويبأس منها الظالمون"[2].

وإن هدف جمعية العلماء الجزائريين، كما تحدده المادة الثانية من قانون هذه الجمعية هو: "نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف العربية والفرنسية والصنائع اليدوية بين أبناء وبنات المسلمين" ساعية لتحقيق مقصدها بتأسيس مكتب للتعليم، وملجأ للأيتام ونادي للمحاضرات ومصنع للصنائع مع التكفل بإرسال التلاميذ إلى الكليات والمعاهد الكبرى على نفقاتها[3].

[1]- عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة في الجزائر 1830- 1962م، ج 2، د ط، دار هومة، الجزائر، 2006م، ص 142.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، المصدر السابق، ص 308.

[3]- جريدة الشهاب، ع 153، 01 مارس 1931، ص 1.

لأن الأهداف الكبرى للمشروع التربوي لابن باديس تمثلت في:

- إعداد وتكوين جيل جديد وتزويده بتربية صحيحة تجعله قادرا على إحداث النهضة المنشودة.
- إعداد الفرد الجزائري للحياة وتأهيله وتنمية قدراته العقلية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنهوض بالجزائري إلى مصاف الشعوب الراقية[1].

فالعلامة ابن باديس تأثر في نهجه هذا بالحركة الإصلاحية التي عرفها المشرق العربي والتي مثلها محمد عبده الذي كان يرى: "بأن إصلاح الفرد والمجتمع لا يتم إلا بإصلاح المؤسسات التربوية مثل الأزهر الشريف والمدارس ومختلف المعاهد وهو حسبه صار طويل المدى لكن نتائجه أحسن وأقوم"[2] كما عملت الجمعية للمحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري ومقاومة حركات التبشير وسياسة الفرنسة والتنصير[3].

والملاحظ أنه من خلال المدارس الحرة والنوادي والمساجد تبرز مكانة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بين الأحزاب السياسية ودورها في تطور الحركة الوطنية ودفعها إلى الأمام بخطوات واضحة نظرا للوعي السياسي والثقافي الذي تنشره هذه المدارس التي قامت ببنائها في أوساط الشباب العربي الإسلامي الجزائري وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف: "العلماء هم المدارس الحقيقية لوطنية الشمال الإفريقي تحت تأثير أساتذتهم الذين تكون معظمهم بجامع الزيتونة بتونس"[4].

وحسب الكاتب محمد الطاهر فضلاء فإنه يقول: "إن ما حققه العلماء في الجزائر من التحول والتطور من حيث الوعي والإدراك والفهم لمجريات الأمور وفي أقل من عقد من السنين عجزت عنه فرنسا في أكثر من مائة عام"[5].

---

[1]- محمد طهاري، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 21.

[2]- المرجع نفسه، ص 52.

[3]- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس وعروبة الجزائر، المرجع السابق، ص 255.

[4]- عبد الكريم بوصفصاف، رواد النهضة والتجديد في الجزائر 1889- 1965م، المرجع السابق، ص 320.

[5]- محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائدا لحركة الإصلاح الديني في الجزائر، (د د ن)، الجزائر، 2007، ص 31.

4- الصحافة للتواصل مع القاعدة الشعبية:

أدرك رائد النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس بأن حركته الإصلاحية لن يكتب لها النجاح إلا بالتواصل مع الشعب، وأن الأداة الفعالة لتحقيق ذلك هي الصحافة للتمكن من نشر أفكاره وتعميمها في كل أنحاء الوطن، لذلك أصدر أول جريدة باسم المنتقد سنة 1925م والتي كان شعارها "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء"، إضافة إلى جريدة الشهاب التي تحولت سنة 1929م إلى مجلة شهرية، وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصدرت جرائدها المتمثلة في السنة والصراط والشريعة والبصائر[1]، ولو أن الانطلاقة الحقيقية للصحافة الأهلية يعود إلى سنة 1907م بتأسيس جريدة كوكب إفريقيا بمدينة الجزائر، لكنها وصلت إلى طور النضج سنة 1935م بظهور صحيفة البصائر الناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2].

وعليه فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عرفت كيف تنتقل بالعمل الإصلاحي التوعوي من مجال العمل المسجدي والمدرسي إلى مجال العمل الصحفي وهذا دليل على إدراكها لأهمية وسائل الإعلام والاتصال في التواصل مع القاعدة الشعبية العريضة بمختلف شرائحها، حيث تمكنت من نشر أفكارها ومبادئها عبر مجموعة من الصحف التي واصلت نشاطها رغم مضايقات السلطات الاستعمارية[3].

ولأن نشاط جمعية العلماء الجزائريين كانت حركة شعبية واقعية عملية تمكنت من التغلغل في أوساط الشعب قصد تعبئته و إعادة تشكيل شخصيته الوطنية التي أصبحت مهددة، فقد تمكنت من خلال علمائها تبني منهج مستلهم من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[4]، إذ عبر المفكر مالك بن نبي عن إعجابه بحركة الإصلاح هذه وبوصفه لهذه اليقظة قائلا:

---

[1]- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1958م، ص ص 141- 143.

[2]- زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص ص 34- 38.

[3]- علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد ابن باديس، ط 1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1437هـ- 2016م، ص 757.

[4]- سورة الرعد: الآية 11.

"لقد بدأت معجزة البعث هذه تتدفق من كلمات ابن باديس، فكانت ساعة اليقظة، وبدأ الشعب الجزائري المخدر يتحرك، ويا لها من يقظة مباركة"[1].

على هذا الأساس لقب عبد الحميد بن باديس من أنصاره بأبي النهضة الجزائرية، وبأنه جاء ليحمي الروح الوطنية ويعلم الشباب وينشئ المدارس العربية ويحطم الجهل والكسل ويخدم دينه ووطنه وبذلك قاد البلاد في الطريق الذي تتطور فيه الأمم[2].

وعليه فقد تمكنت جمعية العلماء من التأسيس لتجربة تاريخية رائدة خاصة في مجال التعليم، حيث ساهمت بفاعلية في نشر المعرفة وبث الوعي وتحرير الفكر لبعث نهضة تعليمة وثقافية في الجزائر بالاعتماد على إمكانيات ذاتية قائمة على مساهمات وتبرعات مختلف شرائح المجتمع مما فتح المجال أمام تدريس أكبر عدد من الأطفال، كما تمكنت من التحدي للسياسة التعليمية الفرنسية. وهذا ما جعل المجتمع الجزائري أكثر وعيا بأهمية التحصيل العلمي كسلاح لتحقيق الرقي الاجتماعي والتقدم الحضاري للمجتمعات ووسيلة للحصول على الحقوق الوطنية المهضومة[3]، حيث أبدى مالك بن نبي تأثره لرؤية مظاهر دعم الشعب الجزائري للمؤسسات التربوية وراسلتها ويشيد بعظمة هذا الشعب: "الذي يتخذ من كل حجر وسيلة لبناء مدارسه ومساجده وأنديته واتخذ من كل حطب عصا في وجه الاستعمار ..."[4].

وبالتالي أسهمت هذه النهضة الفكرية والثقافية في تبلور الوعي الوطني والحفاظ على الموروث الثقافي الجمعي للجزائريين والذي شكل درعا حصينا حمى الشعب الجزائري من الذوبان والاندماج في الثقافة الفرنسية، فالمجتمع الجزائري قاوم سياسة الاستعمار وما تحمله من مخططات[5].

---

[1]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص 248- 250.

[2]- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 147.

[3]- رابح تركي، الشيخ ابن باديس رائد الإصلاح، المرجع السابق، ص 244.

[4]- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1956م)، المرجع السابق، ص 194.

[5]- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 110.

ب- في تونس:

انعكست إصلاحات خير الدين باشا فازدهرت الحياة الثقافية التونسية فشهدت تونس صدور سيل الصحف العربية، حيث اشتغلت النخبة بالطباعة رغم التضييق الاستعماري، حيث أسهمت هذه الصحف في نشر الفكر والوعي وبعث الهمم في أواسط التوانسة من الطلبة الزيتونيين على الخصوص، وكان من أبرزها "المرشد"، "مرشد الأمة والصواب"، "الوزير"[1]، "النديم" ... وقد تأثرت الصحافة التونسية بما يجري في المشرق، حيث نهلت من صحفه مثل "المؤيد"، "اللواء"، "المنار" وغيرها، هذه الصحف ذاتها كانت تصل إلى الجزائر عن طريق تونس حيث كانت المراقبة الاستعمارية أخف وطأة. كما ظهرت جريدة "الحاضرة التونسية"[2]، وكذا جريدة "سبيل الرشاد" لعبد العزيز الثعالبي سنة 1904م، وكانت تطرحان قضايا ومشاكل العصر في البلاد العربية، بما في ذلك وجود النهوض وشحذ الهمم ومواكبة التجديد في المناهج التعليمية والتصدي للخرافات والبدع وبحث الروح الوطنية وإحياء القومية العربية والإسلامية لقد لقيت هذه الصحف رواجا في أوساط المثقفين من الزيتونيين، من بينها جريدة "المنار" التي كانت تصدر منذ 1880م والتي وجدت سبيلا إلى الجزائر[3].

ومن بين العوامل التي أسهمت في انتعاش الحياة الثقافية في تونس وجود جاليات أوروبية عديدة من إيطاليين وفرنسيين وغيرهم، حيث نشأ عن ذلك احتكاكا وتأثرا خاصة مع انتشار مؤسسات مطبعية فرنسية وإيطالية ومالطية التي أذنت بطباعة الصحف والكتب العربية، وتطور وسائل الاتصال هو الآخر أسهم في تسرب الثقافات الاوروبية نحو المنطقة وهي خدمة جليلة لا يمكن إغفالها[4].

---

[1]- **جريدة الوزير**: نشرة إعلامية إصلاحية أشبوعية تأسست في أفريل 1920م، صاحبها الطيب بن عيسى، شعارها "أن أريد الإصلاح ما استطعت وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"، أنظر خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 1109.

[2]- جريدة الحاضرة التونسية: أسسها البشير صفر سنة 1880م وهو الذي يلقب بأب النهضة التونسية وكانت له إسهامات جليلة في حركة الإصلاح التي شهدها جامع الزيتونة، أنظر خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 465.

[3]- محمد فاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 80.

[4]- محمد فلاح العلاوي، الطباعة ومسايرة التعليم، الزيتونة- الدين والمجتمع، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2007م، ص 23.

وعموما ومن خلال ما أوردناه فقد اجتمعت عدة عوامل أسهمت في ميلاد الحركة الثقافية في تونس وانتعاشها مع مطلع القرن العشرين حيث تحولت إلى ملاذ للمثقفين الجزائريين والمعطشين للعلم الذين يعانون التعسف والكبت الثقافي وانغلاق منافذ المعرفة والعلم في وجوههم من قبل الاستعمار الفرنسي، وأصبحت الصحف التونسية المتنفس لطرح همومهم وانشغالاتهم وفضح سياسات الاستعمار فكانت الحاضرة التونسية والعصر الجديد[1]، وغيرها من الجرائد ميدانا لأقلام الصحيفة التونسية وحتى أقلام الجزائريين تنشر مقالات جرئية.

والحق أن الكثير من رواد الحركة الثقافية والإصلاحية في الجزائر التحقوا بجامع العتيق الزيتونة المتزود بالعلم ونهل المعرفة، ومما لا يمكن إغفاله كذلك أن كثير من المثقفين ورواد الحركة الثقافية التونسية هم من أصول جزائرية هجروا قصرا للبلاد التونسية من أمثالهم "عبد العزيز الثعالبي"، أحمد توفيق المدني، الشيخ صالح الأباضي والشيخ خضر حسين الطولقي الجزائري... وغيرهم ممن حملوا لواء النهضة والتجديد والمقاومة على أرض تونس الشقيقة غير متنكرين لوطنهم الأم متوثبين للدفاع ومضحين بمالهم وبعدهم عن ذويهم.

[1]– جريدة العصر الجديد: يومية سياسية وطنية أدبية علمية تصدر بصفاقس 1936م شعارها "من تسامح في حقوق بلاده ولو لمرة واحدة ظل أبد الدهر مزعزع العقيدة ستقيم الوجدان"، أنظر: محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمعاصرين الجزائريين الجزائريين بتونس، ص 120.

خلاصة الفصل:

مما سبق نخلص إلى أنه في الربع الأول من القرن العشرين ظهرت نهضة ثقافية فكرية واسعة أدت إلى انتشار الجمعيات والنوادي الثقافية كنادي الترقي وجمعية العلماء المسلمين، كما شهدت الفترة الانتشار الواسع للصحف الوطنية وحتى الاستعمارية، فلا توجد جمعية أو نادي إلا كانت له صحافته الخاصة به وتعبر عن آرائه، وكذلك انتشر التعليم العربي الحر البعيد عن الإدارة الاستعمارية، والتعليم الفرنسي فكثر عدد المدارس العربية وتم إرسال بعثات طلابية إلى الخارج، بالإضافة إلى تطور الحركة الأدبية والنشاط المسرحي مما أدى إلى نشر الوعي واليقظة الثقافية والفكرية التي أثارت قضية وطنية هامة تتعلق بمستقبل الشعب الجزائري.

أما في تونس ظهرت نهضة ثقافية وفكرية مع نهاية ق 19م من خلال النشاط الإصلاحي في عهد خير الدين في كافة الميادين، فكانت بداية تطور الوعي الوطني التونسي الذي تمثل في العمل الجمعوي وذلك بتأسيس الجمعيات الثقافية كالخلدونية والصادقية وكذا دور الزوايا والمدارس للنهوض بالتعليم وبالخصوص الزيتوني كذلك ظهور الصحف التي أكدت في كتاباتها على ضرورة منح الحرية للصحافة التونسية تماشيا مع ظهور جريدة الحاضرة 1888م إلى جريدة التونسي 1907م، بالإضافة إلى المسرح التونسي، وبهذا كان بداية عهد النهضة الثقافية والفكرية التي كان لها دور كبير في إثارة الوعي لدى التونسيين.

الفصل الثاني:

مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس

(1875-1939)

I. عوامل التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس.

II. وسائل التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس.

III. إسهامات المثقفين الجزائريين في تونس.

IV. إسهامات المثقفين التونسيين في الجزائر.

بعد أن تعرضنا في الفصل السابق إلى الحياة الثقافية والفكرية في كل من الجزائر وتونس في الفترة الممتدة ما بين 1875-1939م، سنعمل في هذا الفصل الأخير على أن نتناول مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس من خلال وسائل كالزوايا والطرق الصوفية، الجمعيات، البعثات العلمية، الصحافة، المسرح والموسيقى، ثم نحاول التعرض إلى إسهامات المثقفين الجزائريين والتونسيين في الحياة الثقافية للبلدين في المجال الصحفي في والعلمي والأدبي وما تميز به من تأثير وتأثر في المجال الثقافي والفكري في إطارهما المغاربي والعربي.

I– عوامل التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس:

لقد اجتمعت عده عوامل ساهمت منذ القديم في التواصل بين شعبي الجزائر وتونس، ولم تنقطع روافدها على مدى العصور، انطلاقا من الوحدة الجغرافية واللغة والصلات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية الموغلة في أعماق التاريخ التي جعلت حركة العلماء والمثقفين لعدة عوامل نحاول عرضها فيما يأتي.

أ– العامل الجغرافي والتاريخي:

فالموقع الجغرافي والرابط التاريخي احتلا مكانة مهمة في التواصل بين البلدين ووحدتهما وتماسكهما، وهما إقليمان يشكلان كتلة جغرافية متجانسة ذات خصائص متماثلة، يكاد لا يفصل بينهما أي حاجز طبيعي حصين، يطل كلاهما على البحر المتوسط ويتشابهان في الظروف المناخية وكذلك التربة، وتتميز تضاريس كلا القطرين بوجود سلسلتين جبليتين هي الأطلس التلي ثم الأطلس الصحراوي الذي ينتهي بامتداد الصحراء إلى عمق الجنوب، كما لا يوجد في البلدين أنهار كبيرة باستثناء الأودية التي جريانها موسميا مثل وادي مجردة الذي ينبع من الأراضي الجزائرية[1].

إن سلسلة الجبال الأطلس الممتدة عبر المغرب العربي وكثبان رمال الصحراء الدافئة في الجنوب وأمواج البحر المتوسط في الشمال، طبعت هذا الجزء من الدنيا بطابع واحد، حيث تشابهت الأجواء وكتب على هذه البلاد أن تكون وطنا واحدا، ومن هنا فحي قدماء مؤرخي اليونان يطلقون عليه "بلاد البربر" الذين ظلوا محتفظين بطابع حياتهم الخاصة وتقاليدهم حتى داخل الإسلام، فلم يكن غريبا بل وحد الأنصار والأهل، فتوحدت العقيدة بسهوله ويسر، وامتزج نظام الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعنصر البربري مشكلا ما يدعى بالعنصر المغاربي، واستمرت هذه الوحدة تتبلور على تعاقب القرون ومر الزمان رغم ما تلقته من ضربات قاسية، إلا أن أجزاءه سرعان ما تعود للتوحد والتحرر، تبحث عن الانسجام الجغرافي والبشري من جديد[2].

---

[1]– يسرى الجوهري، جغرافية المغرب العربي، الإسكندرية، دار المعارف، 1981م، ص 229.

[2]– مجاهد مسعود، أضواء على الاستعمار الفرنسي للجزائر، دار المعارف، مصر، 1989م، ص ص 38-47.

يقول "السعيد الزاهري" في مقال لجريدة الوزير التونسية "إن تاريخ المغرب هو تاريخ واحد متصل تمام الاتصال بعضه ببعض، حتى لا يقوم تاريخ تونس بدون تاريخ الجزائر، إلا كما يقوم كعضو من أعضاء الإنسان بدون غيره عن بقية الأعضاء، سواء استقام تاريخ كل قطر من هذين القطرين على حدة، أم لم يستقم، فإن تاريخهما شديد الاتصال"[1].

ومن الدول التي توالت على حكم القطرين وبذلت جهودا جبارة في قرار الوحدة السياسية وتحقيق الأمن والاستقرار (الفاطميون، المرابطون، الموحدون) وقد ظلت الحواضر الكبرى كالقيروان والمهدية وبجاية وتلمسان منارات للعلوم جمعت العلماء من كل حدب وصوب، ففي العهد الحفصي انتقل مركز العلم والثقافة إلى تونس، وعرف على الحفصيين ولعهم واهتمامهم بالعلم وتشييد الجوامع والمدارس ... وتوطدت العلاقات بين القطرين أكثر خاصة بعد التصالح بين عرشي تونس الحفصي وتلمسان الزياني سنة 1464م، حيث تفرغوا لمواجهة التحديات الأوروبية، التي استدعت دخول العثمانيين بطلب من أهالي المنطقة في مطلع القرن السادس عشر ميلادي، كما توحد الشعبان لمقاومة الاستعمار الفرنسي لتحقيق الاستقلال[2].

ب– العامل الحضاري والديني:

ومن الناحية الحضارية والدينية فإن الروابط الثقافية والاجتماعية كانت الأكثر حضورا أسهمت في التلاحم والتفاعل بين القطرين، فاعتناق المنطقة الدين الإسلامي الذي وضعه الله هداية لعباده، والذي أتمه على يد رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث أصبح الدين الإسلامي إحدى مظاهر التوحيد والاتحاد خلال القرن السابع ميلادي، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾[3]، وبذلك إن الإسلام قد أضاف روافد حضارية للوحدة التاريخية للقطرين والمنطقة، وفي هذا يقول "محمود بزوزو" في جريدة المنار "قد شهد التاريخ أمما تتكتل تحت شعار ديني لمحاربة أمم مغايرة

[1]–صالح خرفي، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 164.

[2]– خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900–1930م)، دار البصائر، أدرار، 2009م، ص 58.

[3]– سورة الفتح، الآية: 01.

وهذا هو الحال في الجزائر وتونس اللتين وحدهم الإسلام في مواجهة التحديات والمخاطر وفي السراء والضراء معا[1].

كما أسهمت اللغة والعرق في امتزاج البلدين فزادت عروبتها عن طريق التزاوج والمصاهرة بين البربر والعرب عبر مختلف العصور، حيث أصبحت اللغة العربية لسان المنطقة وفي ذلك يقول الشيخ "عبد الحميد بن باديس": "إن الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر ومستقبلها السعيد، هي لغة الدين والجنسية والقومية واللغة الوطنية المغروسة ..."[2]، يضاف إلى تلك الروابط العادات والتقاليد، حيث يقول في هذا الصدد "بيرم التونسي": "أغلب عوائد الأهالي في الجزائر هي مثل ما في تونس في السلام والحياء غيران الجيل الجديد في المدن تخلق بأخلاق مخضرمة بين العادات الأصلية وبين عوائد الفرنساويين"[3].

ومن أكثر الروابط حضورا بين الجزائر وتونس الرابط الثقافي الذي يتجلى في تناغم البرامج والكتب والعلوم وتنافسها بين دور العلم المنتشرة في القطرين وهو ما أضفى نكهة علمية ثقافية وزاد في نماء العلاقات وتميز الصلات، ففي العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين ساد البلاد التونسية جو علمي وسياسي وأدبي حي لا يوجد مثله في بلاد المغرب[4]، فالطلبة الجزائريون كانوا يتمون تعليمهم العالي بتونس بعد دراستهم الابتدائية في الجزائر ...، فجامع الزيتونة هو ثالث أكبر الجوامع في البلاد العربية والإسلامية، وهو إحدى قبلة طلبة العلم، والاستعمار الفرنسي لم يترك مجالا لأحد من الجزائريين أن يفتح معهدا للعربية أو الدين إلا وأغلقها، فنظروا فوجدوا تونس الخضراء نضجت نهضتها وانبعثت مدارسها الكثيرة وازدهرت فيها الجامعة الزيتونية، كما كان في تونس معهد "بن خلدون" وهو ابتدائي وثانوي للعلوم العصرية، وتتمة للجامعة الزيتونية المتخصصة في العلوم العربية والدينية[5].

---

[1]– محمود بزوزو، الجزائر وتونس بين الوحدة والتحديات، جريدة المنار، العدد 14، الصادرة بتاريخ 19 جانفي، 1152هـ.

[2]– عبد الحميد بن باديس، اللغة والوطنية، جريدة البصائر، السنة الرابعة، عدد 171، الصادرة بتاريخ 22 جوان 1939م، ص 50.

[3]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج1، المرجع السابق، ص 140.

[4]– محمد على دبوز، المرجع السابق، ص 16.

[5]– المرجع نفسه، ص 17.

II– وسائل التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس:

أولا– الزوايا والطرق الصوفية:

نتيجة للتجانس الطبيعي بين القطرين والتقارب المجتمعي والقبلي، شجع ذلك الأسر الجزائرية لإيفاد أبنائها للدراسة في تونس خاصة مع انعدام أفق التعليم العربي الإسلامي في الجزائري، وقد كان للزوايا المنتشرة دور كبيرة في احتضان هؤلاء بالإضافة إلى الكتاتيب والمدارس التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية، والتي كانت بعيدة نوعا ما على اليد الاستعمارية في تونس خاصة.

وقد تمكنت الزاوية في تونس ممن تأدية رسالة تربوية واجتماعية وثقافية ذات قيمة خاصة لأبناء الريف وذوي الحاجة، فقد كان يؤمها الطلبة، الفقراء من مختلف الجهات بما في ذلك أبناء الجزائريين يجدون فيها المأوى والإطعام والتعليم المنتظرة يتعلمون بها بداية من حفظ القرآن وقواعد اللغة والفقه والأحاديث وكانت تمثل الحلقة الوسطى بين التعليم الابتدائي والثانوي، كما كانت تعلم الطلبة أصول الطريقة الصوفية لمريديها من أذكار وإنشاد وقصائد وأزجال[1].

بالرغم من الدور الذي قامت به الزوايا في تربية الناشئة احتضانها لأبناء الشعب التونسي وأبناء المهاجرين الجزائريين، وحفاظها على تعليم اللغة وأصول الدين إلا أنها مع مرور الأيام فقدت بريقها بفعل ظهور مدارس ومؤسسات اجتماعية، وبفعل تدجين دورها الريادي من قبل الاستعمار وتحويلها عن مسارها، وتخلت الزاوية عن الرسالة التعليمية، وفسحت المجال للكتاتيب التي أصبحت نواة أساسية في نشر التعليم العربي الإسلامي والتي أصبحت منتشرة في كل أنحاء التراب التونسي، بما في ذلك المناطق الحدودية المتاخمة للجزائر من الكاف شمالا إلى منطقة الجريد ونقطة المتلوي، الرديف أم العرائس، في الجنوب التونسي وتأتي بعدها المدارس وهي التي تلقي حظا وافرا في تعليم اللغة والشؤون الدينية لتأهيل طلبتها لمزاولة التعليم في جامع الزيتونة وفروعه[2].

---

[1]– أحمد الطويلي، المراكز الثقافية والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي، مؤسسة سعيد، تونس، 2000م، ص ص 10-12.

[2]– الطاهر العموري، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1989م، ص 124.

لقد أوجدت الزوايا والطرق الصوفية في بدايات عهدها مناخا فسيحا للتعليم من قبل أن تتحول إلى أمكنة للدروشة بفعل تدخلات الإدارة الاستعمارية في شؤون الزوايا وإخضاع شيوخها وإبعادها عن التجديد والإصلاح، إلا أنها ومع ذلك كانت صاحبة السبق في التعليم، وفي ذلك يقول "أحمد توفيق المدني": "كان للطرق الصوفية والزوايا خطوة كبيرة ونفوذ عظيم، وكانت ذات رمزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابرين، من حيث أنها استطاعت الحفاظ على الإسلام والعربية بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات"[1].

ومن أبرز الزوايا التي كان لها دور وفضل في نشر التعليم العربي، وتوطيد العلاقات بين سكان التخوم بشرق الجزائر وغرب تونس، والتي كانت ملاذا للمحرومين من التعليم من أبناء الجزائريين نذكر منها:

الزوايا القادرية[2]: حيث أن معظم زوايا الشرق الجزائري وجنوبها كانت ذات صلة وارتباط وثيق بزاوية نفطة والكاف التي استقبلت أبناء الجزائريين من الطلاب والمتعلمين، وقد تطورت الزاوية بفضل جهود الشيخ "إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي"، حتى قال بعضهم أن تأثيره سنة 1897م وصل إلى "غدامس" و"غات"و"عين صالح" وله أتباع حتى في بلاد التوارق كما تولى ابنه "الهاشمي بن إبراهيم" تأسيس زاوية في "أعميش"[3] في وادي سوف، كما تم تأسيس زاوية في قفصة وقابس، وكانت الزاوية القادرية في توزر مهتمة بالتعليم[4].

---

[1]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص ص 350–351.

[2]– **الطريقة القادرية**: نسبة إلى محي الدين بن عبد القادر الجيلالي المولود بجيلان ببلاد فارس أدخلها إلى المغرب الإسلامي الحاج بوزلفة أواخر القرن 18م.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص ص 235–236.

[4]– **أعْمِيش**: أسسها الشيخ الهاشمي ذو الأصول الجزائرية سنة 1898م، والتي تعرف أيضا بزاوية البياضة فقد سن الشيخ صاحبها سنة طيبة وهي من يتولى شؤون الزاوية من أبنائه بعد أن يكون قد تخرج من الزيتونة، أنظر: خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، ج3، ص 417.

الزاوية الرحمانية: كان للطريقة الرحمانية[1] وجود وحضور قوي في الجزائر وتونس كانت منتشرة بمعظم المناطق الشرقية الجزائرية (عين البيضاء، طولقة، تماسين ومنتشرة في الغرب والجنوب التونسي "نفطة، الكاف ...")، ويعتبر محمد بن عزوز البرجي "شيخ الطريقة الرحمانية" الذي ورث بركة الطريقة عن شيخه "مصطفى محمد الباش تازي" ليس مقدما للرحمانية في الجنوب فقط ولكن في منطقة "الجريد" التونسي بأكملها فشهرته كبيرة وأتباعه كثر، وأصبح وكأنه مؤسس لطريقة جديدة تسمى "العزوزية الرحمانية"، وكان احتلال فرنسا لبسكرة وتطور الأحداث في البلدين سببا في ظهور تفرعات، حيث هاجر مصطفى بن محمد عزوز إلى نفطة سنة 1843م، مؤسسا بها الزاوية الرحمانية التي أصبحت ذات شهرة واسعة في البلاد، وقد أصبح هذا الشيخ الجزائري يتحكم في تسير شؤون وفروع الزاوية الرحمانية في الجزائر انطلاقا من زاوية نفطة التي تشمل رعايتها كل من طولقة، أولاد جلال، الأوراس خنقة سيدي ناجي، زاوية الهامل ووادي سوف ...، وترجع شهرة زاوية نفطة إلى كونها أصبحت مدرسة لتعليم الناشئة من البلدين وبروز دورها الديني والاجتماعي وكان طلبتها يكملون تعليمهم بجامع الزيتونة، ويتولون الوظائف الدينية كالقضاء والتعليم، وكانت الزاوية ملجأ للثائرين والمتمردين على الاستعمار الفرنسي حيث احتضنت "الناصر بن شهرة" و"شريف ورقلة" ونزل بها محي الدين بن الأمير عبد القادر سنة 1871م حين عاد إلى الجهاد ضد الاحتلال، وكانت مقصدا للأتباع المريدين الرحمانيين في الجزائر بعد ثورة المقراني والشيخ الحداد[2].

وتذكر بعض المصادر أن تعداد أتباع الطريقة الرحمانية بلغ أكثر من 130 ألف مريد وقد تتلمذ بزاوية نفطة العديد من الطلبة الجزائريين الذين واصلوا تعليمهم بالزيتونة منهم (المكي بن عزوز والخضر بن الحسين والشيخ محمد اللقاني ومولود الزريبي، وسيدي حامد العبيدي مدرس التجويد والقراءات).

[1] – **الطريقة الرحمانية:** مؤسسها محمد بن عبد الرحمان القاسولي الجرجري المدعو عبد الرحمان بوقبرين سنة 1749م، ومعظم أتباعها يتمركزون في شرق الجزائر وجنوبها ولها فروع في الجنوب التونسي أكبر زاوية في نفطة.

[2] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 146.

الزاوية الشابية: ظهرت في تونس وذاع صيتها حتى أصبح لها فروع في الجنوب الجزائري بفضل انتشار تعاليم الطريقة الشابية في كل من القالة، سوق أهراس تبسة، الأوراس، ووادي سوف، ويرجع تاريخ ظهورها إلى القرن السادس عشر ميلادي مؤسسها "محمد بن مخلوف" وقد نشطت الشابية في نواحي القيروان وأسسوا زوايا عديدة في تونس والجزائر، وقد تسيسوا كثيرا، وقد ظهر منها تياران: تيار ديني يمثله "مسعود الشابي" وتيار سياسي يمثله "عبد الصمد الشابي"، حيث وصلت إلى نواحي الجريد ومن أبرز فروعها في الجزائر زاوية "ششار" لعبت دورا أساسيا في عهد الاستعمار من خلال نشرها للتعليم وتحفيظ القرآن في المناطق النائية، وقد حافظت على حد أدنى من مبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي، ومن خلال ما ذكرته التقارير الفرنسية 1896م أن الطريقة تراجعت وأهملت في تونس بينما واصلت نشاطها في الجزائر خاصة في منطقة وادي سوف، ولها أتباع في نواحي عنابة وقالمة وقسنطينة الذين واصلوا نشاطهم التعليمي رغم تضييق الاستعمار[1].

الزاوية العلوية: تنتسب إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة الذي ولد في مستغانم سنة 1867م وتوفي 1943م كان لها أتباع يمتدون من ميلة إلى تونس وعندما وصل الشيخ بن عليوة بتونس ليطبع له كتاب "المنح القدسية في شيخ المرتد المعين بالطريقة الصوفية" أعجب به الشيخ التونسي "محمد بن خليفة المدني" المفسر الفقيه الصوفي وأصر أن يسافر معه إلى الجزائر وكان له دور في نشر الطريقة بالقطر التونسي مثل صفاقس وقابس وغيرها[2].

الزاوية التيجانية: نسبة إلى الشيخ أحمد التيجاني المولود بعين ماضي (الأغواط) والمتوفي سنة 1815م ويعود تأسيسها إلى سنة 1778م بفاس، دخلت إلى القطر التونسي مع مطلع القرن التاسع عشر على يد سيدي إبراهيم الرياحي 1850م، تركزت بالحاضرة ثم غزت الجنوب التونسي فأسست سنة 1914م زاوية بتوزر وأخرى سنة 1926م، وأسست زاوية الشاوش صالح بباجة وبنزرت[3].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 275.

[2]- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص ص191-192.

[3]- التليلي العجيلي، أضواء على حياة محمد الشريف التيجاني في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين، المجلة التاريخية المغربية، العدد 55-56، تونس: ديسمبر 1989، ص ص 137-138.

الزاوية البوعلية: أسسها الشيخ بو علي السني دفين نفطة بتونس انتشرت في منطقة الجريد بالجنوب التونسي ووادي سوف كان لها أتباع في قسنطينة وعنابة وتبسة وهي الجهات التي يقصدها التجار التونسيون، وكان لها زاوية فرعية في خنشلة ولها مقدم اسمه "عمارة بوخشم"[1].

وتميزت الزوايا والرباطات المنتشرة في كافة التراب الجزائري والتونسي بنشاطها الدؤوب عن عيون الاستعمار من تعليم وتوجيه وإرشاد، ولولا تلك الجهود لما كنا نجد اليوم لا عربية ولا أثر لعلوم الدين، حيث احتضنت الناشئة من الطلاب الجزائريين المهاجرين من عتمة التجهيل الاستعماري وسياسته في التضييق على التعليم في الجزائر من كتاتيب ومساجد وزوايا، حيث وجد هؤلاء الطلبة منالهم في البلاد التونسية بيت أحضان الزاوية القادرية والرحمانية والشابية بالإضافة إلى الزاوية العلوية والسنوسية والطيبية والشاذلية والعيساوية والتيجانية ...[2].

يتضح من خلال ما سبق أن شيوخ الدين الطرقيين كان لهم دورا فعالا في إقامة الروابط بين السكان في الجزائر وتونس وتظهر إحدى المراسلات الأرشيفية طلبا للتصريح بزيارة تونس من قبل شيوخ صوفية المقراني ببرج بوعريريج وهذا طلب إلى والي سطيف بالتصريح لـ 11 من أهالي دوار الزمالة بلدية المعاضيد لزيارة إلى أحد الزوايا في توزر بتونس، ثم طلب إلى والي قسنطينة إلى الحاكم العام بتونس حول الموضوع نفسه[3].

ثانيا– الجمعيات:

كان للجزائريين دورا بارزا في تأسيس الجمعيات وتحريكها إلى جانب التونسيين ونلاحظ هنا في عموم الوقائع أن الجزائريين كانوا في طليعة المغاربة في تأسيس الجمعيات الثقافية والخيرية والسياسية التي تهتم بأوضاع المغرب العربي كقضية واحدة، كما لم تفصل هذه الجمعيات بين قطر مغربي وآخر حيث تجلت الوحدة المغاربية بشكل جلي وواضح، وبرهن هؤلاء عن إقامة وطن واحد، ومن المؤكد

[1]- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص ص 143-144.

[2]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج1، المرجع السابق، ص ص 458-459.

[3]- ANT.EPC/D/0172/0003/Référence 0030N°03-05-5.

والمعروف أن الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس شاركوا في حركتها الثقافية مما أدى إلى ظهور العديد من الجمعيات والانخراط في الأندية الأدبية التونسية ومن أشهر هذه الجمعيات نذكر:

جمعيه تلاميذ الزيتونة: تعتبر أول جمعيات الثقافية التي أسسها الجزائريون والتونسيون كرد فعل على الحملة الصحفية التي تنتقد التعليم الزيتوني سنه 1901م أسسها كل من عبد الرحمان الكعاك التونسي والطيب بن عيسى الجزائري[1].

وفي سنة 1906م بمبادرة من الجزائري خوالدية صالح الذي نشر مقالا بعنوان "نداء الثورة" صدر بعدد يوم الاثنين 01 جانفي 1906م من جريدة "La dépêche tunisienne" ذهب فيه إلى القول أن أوروبا تتبع خطة محكمة هدفها تقويض ركائز الإسلام الأمر الذي يحتم على العرب تكوين جبهة موحدة للوقوف في وجهها سماها "جمعية الاتحاد الإسلامي" وعرف خوالدية بإيمانه بجدوى فكرة الجامعة الإسلامية وضرورة تطبيق مبادئها، وكان مقر الجمعية في باريس ولم يكتب لها النجاح مما اضطر مؤسسها إلى المغادرة إلى تونس بسبب تشديد الخناق عليه[2].

جمعيه الاتحاد المغاربي: تأسست سنة 1910م بالقاهرة على يد العديد من الوجهاء وكبار الأثرياء من ملاك العقار وذوي النفوذ المالي والمعنوي مثل رئيسها الأمير "محمد شرعي باشا" والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد، أما أمين مالها هو الجزائري أمين باي المغربي، كانت جمعية إغاثة وإعانة للجزائريين والتونسيين والمغاربة عموما والمستقرين في تونس[3]، وفي هذا السياق ذكر الوزير الفرنسي في القاهرة المتوجس من هذه الجمعية أن ألمانيا أصبحت شديدة الاهتمام بهذه الجمعية "جمعيه الاتحاد المغربي" وأصبحت تدعمها دعما كبيرا وغايتها في ذلك إثارة مسلمي شمال إفريقيا ضد فرنسا في حالة اندلا ع الحرب، وقد تعهدت ألمانيا حسبه بأن تدفع لهؤلاء قيمة ستمائة ألف فرنك (600.000 فرنك) وهذا في اجتماع عقدته الجمعية في 20 سيبتمبر 1911م تزامن مع أزمة

[1]– محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص 12.

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج 1، ص 547.

[3]– العجيلي التليلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي (1876–1918)، دار الجنوب المنشر، تونس، 2005، ص 204.

أغادير، وتم الاتفاق وقبول العرض وأن تبدأ الدعاية من الجزائر، وكان لها فرعان واحد بالجزائر والآخر بتونس[1].

وفي سنة 1910م برزت جمعية أخرى خارج الإطار الثقافي والأدبي بل لها بعد اجتماعي أسسها الشيخان "صالح شريف"[2]، و"إسماعيل الصفايحي"[3] (جمعية الإخوة الجزائرية التونسية) في إسطنبول وكان لها فرع في دمشق، ولها فروع في بلاد الشام والحجاز والمدينة المنورة[4].

جمعية الشرفاء: ظهرت في أواخر 1913م وهي جمعية تابعة للجامعة الإسلامية وقد ظهرت هذه الجمعية بالمدينة المنورة على يد الشيخ محمد المكي بن عزوز الجزائري وحسب المصادر الفرنسية فإن الجمعية جاءت لمهمة إثارة الاضطرابات في بعض واحات أقصى الجنوب الجزائري والتونسي أي الجنوب الشرقي الجزائري والجنوب الغربي التونسي وأن أحد مبعوثيها قد أوفد إلى الإسكندرية في مهمة تقضي بتوجهه إلى كل من الجزائر وتونس[5].

جمعية الأخاء للجزائريين والتونسيين: ظهرت هذه الجمعية بالقسطنطينية سنة 1915م على يد صالح الشريف الجزائري وإسماعيل الصفايحي التونسي والفرنسي نادي فازتوت "Thadeegasztout"[6]، وحسب جريدة الشباب التركي "Les Jeune turque" فإن حوالي 80 شخصا بين جزائريين وتونسيين مقيمين بالقسطنطينية حضروا الاجتماع مع العلم أن للجمعية العديد من فروعها في المشرق العربي وحتى مغربه منها فرع دمشق الذي كان يضم العديد من الأعيان

---

[1] – Robert Bouyoc l'union maghrébin, société de secours mutuels, Tunisie Française du 27/11/1912 , P 01.

[2] – **صالح الشريف**: من أصول جزائرية ولد بتونس، دخل جامع الزيتونة سنة 1881م، ونال شهادة التطويع سنة 1888م، تولى التدريس سنة 1884م، ونظرا لنشاطه السياسي ومضايقته من طرف السلطة الاستعمارية هاجر إلى اسطنبول سنة 1906م وتوفي في سنة 1920م.

[3] – **إسماعيل الصفايحي**: ولد سنة 1853م تونسي من شيوخ الزيتونة تولى القضاء الحنفي بتونس توفي سنة 1918م.

[4] – مختار العياشي، البيئة الزيتونية (1910–1945)، ترجمة حمادي الساحلي، تونس، دار التركي للنشر، 1990م، ص 199.

[5] – ANTS (E) D (330/23) doc N° : Le gérant de L'Algérie et du consulat de France au caire au ministère des affaires Etrangères a paris 10/10/1913.

[6] – **تادي قازتوت "Thadee gasztout"**: المعروف بـ "سيف الدين" وهو بولندي الأصل اعتنق الإسلام حين قام بالخدمة العسكرة بتونس.

والوجهاء الجزائريين والتونسيين، ومن أهداف هذه الجمعية مد يد المساعدة للمهاجرين والتدخل لدى السلطات العثمانية، كما كانت تتولى تحرير نداءات مناشير سربتها إلى الجزائر وتونس لتشجيعهم على الهجرة وقد مثلت هذه الجمعية وسيلة تأطير ودعاية للجامعة الإسلامية[1].

كما أسس أحمد توفيق المدني مع مجموعة من الجزائريين والتونسيين "المجمع العلمي التونسي" في 15 ماي 1924م، وكان هدفهم من وراء ذلك رفع المؤهلات العلمية للبلاد ليعيد لتونس أمجادها العلمية السالفة، كما أسسوا "الرابطة العلمية" سنة 1924م وذلك لإيجاد وسيلة فعالة للتضامن الفكري والعلمي بينهم ورفع مستوى شعبهم العلمي والسياسي والاجتماعي[2].

كما أنشأ الشباب الجزائري المقيم بتونس جمعية جزائرية بامتياز يسمونها جمعية من الشباب الجزائري تنال الشرف في تبنيها الشيخ ابن باديس وكان ذلك بالتنسيق مع هيئة المجلة الزيتونية بإقامة حفل استقبال كبير له بالخلدونية[3].

كما كان لجمعية "الشباب المسلمين" التي تأسست بالقاهرة في مارس 1927م دورا في ربط لصلات بين الجزائريين والتونسيين وفتحت فروعا لها في دول عربية منها تونس وسوريا والعراق[4] توطدت صلة الشباب الجزائريين والتونسيين وذلك في عهد رئاسة الشيخ محمد صالح النيفر[5]، ومن خلال عديد النشاطات الثقافية منها محاضرة قدمت بالخلدونية في 18 جوان 1937م حول "الجزائري في ميدان العمل" ألقاها الشاعر مفدي زكريا، استعرض فيها تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر وأثنى على نشاط الوطنيين الجزائريين في سبيل تحرير الجزائر، وفي هذه الفترة ألقى الشيخ عبد

[1]– العجيلي التليلي، المرجع السابق، ص 206.

[2]– أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص ص 331–332.

[3]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص 1201.

[4]– مولود عويمر، جمعية الشباب المسلمين وكفاح المغرب، البصائر، ع 44، الجزائر، 1936/11/20م، ص 07.

[5]– **محمد صالح النيفر**: فقيه تونسي ولد بتونس سنة 1820م، دخل جامع الزيتونة وأخذ عن مشايخها مثل إبراهيم الرياضي، تولى الإمامة والخطابة بالجامع ثم القضاء ورئاسة الفتوى له مؤلفات مثل ختم في الحديث وشرح الموطأ.

الحميد بن باديس محاضرة بدعوة من جمعية الطلبة الجزائريين والجمعية الوداية الجزائرية تحت عنوان "الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري"[1].

وفي بداية الثلاثينيات تأسست عدة جمعيات أهمها جمعية "الطلبة الجزائريين الزيتونيين" بترخيص من الشيخ الإبراهيمي الذي سعى من خلالها إلى إنشاء خلايا طلابية وطنية، متمثلة في هيكل تنظيمي يجمع شباب الطلبة ويرعى أمورهم ويوكل إليه أمر التعريف بالجزائر وربط جسور التعاون بينهم وبين تونس ويكون بمثابة السفارة الدائمة لجمعية العلماء المسلمين في تونس وهو ما يشير إليها بيانها التأسيسي[2].

وبعد سنتين من المشاورات أعلنت عن نفسها في 1934م واسندوا رئاستها إلى كل من الشيخ المهدي البجائي"[3] و"الشيخ مختار بن حمودة" ومقرها نادي الشبيبة المدرسية التابع للجمعية قدماء المدرسة الصادقية"[4].

خلال هذه الفترة تشكلت جمعية طلابية جزائرية ذات طابع نقابي اجتماعي هي "جمعية الشباب السوفي الزيتوني" تأسست من طرف جماعة من الجزائريين ينحدرون من وادي سوف بهدف مساعدة مواطنيهم الطلبة في الجامع الكبير، وهي تجمع لا يملك أي صبغة سياسية ترأسها الطالب الحفناوي هالي لخضر[5]، بالحاضرة أواسط جويلية 1936م كان هدفها توطيد الصلة بين الطلبة الجزائريين الدارسين بالجامع والسوفين بصفة خاصة، وتكوين رابطة بهدف تسيير العقبات التي تواجههم وإنشاء صندوق للتبرعات وتفعيل النشاط الثقافي والإبداعي والأدبي بينهم، وكانت تشكله

---

[1]– علي الزيدي، الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904–1945م، ط1، دار فهي، صفاقس، 2007، ص 554.

[2]– جريدة البصائر، ع 44، الجزائر، 1936/11/20، ص 05.

[3]– **المهدي البجائي**: ولد بعد الحرب العالمية الأولى، تتلمذ على يد والده في الكتاتيب بمسقط رأسه، التحق بجامع الزيتونة أواخر 1930م، كان رئيس تنفيذي جمعية الطلبة الزيتونيين وتخرج بشهادة التحصيل سنة 1936م.

[4]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج 3، المرجع السابق، ص 1219.

[5]– **الحفناوي هالي لخضر**: من مواليد قمار سنة 1911م، التحق بالجامع الأعظم تخرج منه بشهادة تحصيل نشر عديد من الأشعار في صحيفتي الشهاب والبصائر، عين أمين سر مكتب لجنة التعليم بجمعيى العلماء، تقلد منصب مدير وزارة الشؤون الدينية، توفي سنة 1965م.

هذه الجمعية من عائلة "هالي" وهم أخوال الدكتور أبو القاسم سعد الله وهم: الحفناوي هالي لخضر والطيب هالي والعيد هالي بن لطرش وعبد الهادي هالي بن علي ويوسف هالي إبراهيم وبشير هالي عثمان وصالح هالي والطيب بوغزولة وعثمان هالي أحمد إبراهيم وبلقاسم هالي أحمد، بالإضافة إلى عمار باري ومحمد مناعي وكلهم من مواليد منطقة قمار، ومنح الترخيص لها في 28 جانفي 1937م، وكانت لها مساهمات قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، لكن يبقى مصير هذه الجمعية مجهولا لأن جل المصادر والوثائق الأرشيفية لم تتطرق إلى تلك الجمعية[1].

وفي هذا السياق نجد "جمعية الشبيبة الزيتونية" التي تأسست في شهر جانفي 1937م برئاسة الطالب الجزائري "حسن بن عيسى" وهي هيئة تتكون من ثلاثة أعضاء من الجامع الأعظم هدفها الدفاع عن الطلبة والنخبة المثقفة بوجه عام وتنظيم احتفالات ثقافية لإحياء ذكرى عباقرة الشعراء[2].

طرح "محمد العيد الجباري فكرة إنشاء منظمة طلابية مغربية تجمع شمل طلاب أقطار المغرب الثلاث (تونس والجزائر والمغرب) عرفت باسم "شبيبة شمال إفريقيا الموحدة" وتمثلت أهدافها في العمل بكل الوسائل والطرق على توحيد شمال إفريقيا، وأن الأقطار الثلاث أمة واحدة غير قابلة للتجزئة وعادات وتقاليد شعبها واحدة، انخرط فيها ما يناهز 100 منخرط من بينهم 40 من جامع الزيتونة وكانوا يعقدون اجتماعات دوريا في مقر الجمعية بـ 5 شارع الوادي تونس العاصمة، وفي 15 جانفي 1938م عاد محمد العيد الجباري إلى تونس بعدما أطلق سراحه لاستئناف عمله وحيث ازداد عدد المنخرطين بالجمعية إلى 150 منخرط من جامع الزيتونة وأغلبهم جزائريين، فتحت لها فروعا في الجزائر وتحديدا في "عنابة وسوق أهراس وقالمة"[3].

ساعدت هجرة الجزائريين والتونسيين إلى الدول الأوروبية في تجميع وتوحيد قواهم وذلك من أجل القضية المغاربية الإسلامية، وأول نشاط لهم كان في ألمانيا وذلك سنة 1916م، بتأسيسهم "لجنة استقلال الجزائر وتونس" برئاسة صالح شريف ومحمد مزياني، وتدعم نشاط الجزائريين

[1]- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة "د"، الصندوق 509، ملف 252، الوثيقة 04-05.

[2]- مختار العياشي، البيئة الزيتونية (1910-1945)، المرجع السابق، ص 199.

[3]- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين بين إبان ثورة نوفمبر 1954م، الجزائر، دار هومة، 2004، ص ص 137- 140.

والتونسيين بقدوم شخصية فذة هي "محمد الخضر حسين"[1]، وكانوا قد أسسوا سنة 1919م في برلين "النادي الشرقي" برئاسة محمد القابسي التونسي وعدد من الجزائريين[2].

وفي 1928م أسسوا "جمعية شمال إفريقيا" بفرنسا وذلك للمساهمة في إيقاظ الوعي لدى المواطنين بالشخصية المغربية المتميزة، أما تأسيسها الرسمي بالجزائر العاصمة فكان تحت اسم "الجمعية الودادية لتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية" أسسها السيد بلقاسم بن حبليس والهادي بن سماية وآخرون كانت لها نشاطات عدة من مؤتمرات وحفلات.

ثالثا– البعثات العلمية:

مثلت البعثات العلمية حلقة مهمة من حلقات العلم والتعلم، وهذا لارتباطها بعملية طلب العلم والاستزادة منه، ولا أدل على هذا من أن الجزائريين كانوا قد حرموا من حقهم في الاستزادة منه وذلك جراء ما مورس عليهم من سياسة القهر والتسلط والتجهيل والتعتيم، فكان من الضرورة بمكان تحقيق التعليم العالي، وذلك بالتواصل مع مختلف الحواضر التي تحقق الغاية المنشودة للجزائريين، يقول عبد الله الركيبي "إن دافعنا إلى الهجرة هو دافع جيل كامل بل أجيالا قبلنا تهدف إلى أن تتثقف ثقافة عربية إسلامية أصلية، خاصة وأن التعليم المتوسط والثانوي لم يكن بالعربية، لكنه كان بالفرنسية، ونحن أبناء الشعب من يعيش منا في الريف أو القرية لا فرصة له ليواصل تعليمه بعد الابتدائي".

يكاد يجمع أغلب المؤرخين على أن وجهة الجزائريين في رحلة طلب العلم كانت أهمها إلى تونس، لاسيما بعد أن تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي عام 1830م، وبعد أن سدت أبواب المعرفة، وما يكاد يذكر علما مرموقا في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين في المجال الأدبي أو العلمي أو الفكري أو السياسي إلا وكان قد نهل من الزيتونة أو المعاهد التابعة لها وهذا لكونه كما يصفه شارل أندري جوليان إحدى القلاع الحامية للدين والتقاليد والسنة بإفريقيا

[1]– **محمد الخضر حسين**: من أصل جزائري ولد بنعظة عام 1873م درس بجامع الزيتونة وحصل على شهادة التطويع بها، تولى القضاء في بنزرت سنة 1904م، ثم درس بالجامع والخلدونية، أنشأ جمعية الهداية الإسلامية في مصر أصدر عدد من المجلات منها، (النور الإسلام ولواء الإسلام) اختير إماما لمشيخة الأزهر سنة 1953م توفي سنة 1958م.

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج1، المرجع السابق، ص 554.

الشمالية بأسرها[1]، كما ساهمت في تكوين نخبة كبيرة من المثقفين الجزائريين ورجال الإصلاح وزعماء الحركة الوطنية الجزائرية.

يعد جامع الزيتونة منارة أضاءت بذورها بلاد المغرب العربي، كما شكل في أهميته التربوية المرتبة الثانية بعد جامع الأزهر، وقد ارتحل إليه المسلمون من الأقطار المغربية والإفريقية لينهلوا من منابع فيضه في شتى العلوم وأصول الدين[2]، وقد كانت علاقة الجزائريين به وطيدة موغلة في القدم، حيث احتضن العديد من الطلبة الجزائريين الذين شغفوا بطلب العلم[3]، ولم يكتف الجزائريون بأن تعلموا ونهلوا من جامع الزيتونة ومدارسه بل أن شغفهم وتفوقهم مكن الكثير منهم من أن يصبحوا فيما بعد أساتذة ومدرسين، وفقهاء وفلاسفة وشعراء ومصلحين وفي مقدمتهم مطلع القرن العشرين عبد الحميد بن باديس أحد نوابغ الزيتونة ورائد الدعوة العربية الإسلامية في الجزائري[4].

وعن أهميتها بالنسبة للجزائريين يقول علي مغربي "كانت الزيتونة المباركة لأبناء الجزائر الأم الرؤوم يوم ابتلوا بعدو لا يرحم، هدم المساجد وأغلق المدارس والمعاهد وحارب دين الأمة ولغتها بعدما جردها من عزتها ودولتها ففتحت تونس صدرها الرحب لأبناء الجزائر كي ينهلوا من معينها القوي جامع الزيتونة[5].

ويذكر محمد سعيد الزاهري "إن جامع الزيتونة كان أشبه بخلية النحل في ذلك العهد الزاهر يشتهر بأكثر من شخصية علمية وأدبية تشد الرحال من الأقاصي، وكانت أمهات الكتب العربية هي المورد الذي تلتق حوله الحلقات، فكان الجامع بذلك التفاتة وفية للتاريخ والتراث العربيين في أقطار ثلاثة تعاني من غزو دخيل وعدو مشترك، كما كان الجامع همزة وصل للنهضة الأدبية الحديثة في المشرق والدعوة الإصلاحية المتجاورة في أرجائه، وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب

[1]– شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 87.

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص 881.

[3]– المرجع نفسه، ص 882.

[4]– محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المصدر السابق، ص 33.

[5]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج1، المرجع السابق، ص 252.

والإصلاح الديني، هذه أيضا مدينة لجامع الزيتونة فكثير من رجال هذه الحركة قد تخرجوا من الزيتونة وأحرزوا شهادتها العلمية"[1].

ولا يمكن كذلك إنكار فضل الزيتونة على كل من درس وتخرج منه من علماء وطلبة الجزائر، وهذا لما عاده عليهم وعلى الجزائر في الدين وحفظ في اللغة وصيانة الأدب ويقول عنه أحد خرجيه وهو عبد الله الركيبي: "إن فضل الزيتونة علينا جميعا كان كبيرا فقد أروت نفوسنا المتعطشة إلى العلم والمعرفة، فوجدنا فيها ما حرمنا منه في وطننا وحبنا العربية وأدباها وعلومها، هي محو ما يدرسه الطلبة فيها، كما وجدن العناية بدراسة علوم الدين والشريعة وأصولها، هي قاسم مشترك بين من ضمتهم جدرانها[2].

وقد أنشد محمد العيد آل الخليفة في بيان فضل جامع الزيتونة ووصفه بالأبوة وجعل نفسه إننا في سعه هذا الكبير بالبر والحنان وقال أنه عاش بريقه تحت سمائه يقتبس من ضيائه وأنه عاد إلى الجزائر يذيع رسالته ويرفع ما ذكره:

حبنـــا الأعظـــم فيهـــا مـــن أب وســـــع الأنبـــــاء بـــــرا وحنانـــــا
قـــــد ســـــبحنا أمـــــدا في أفقـــــه واقتبســـــا مـــــن دراريـــــه ســـــنانا
وأذعنـــا مـــن رســـالات الهـــدى عنـــــه كأطيـــــب ذاكـــــره وازنـــــا[3]

ويعتبر ابن باديس من أوائل من فتح هذا العهد الجديد في جامع الزيتونة وانتسب إليه عام 1907م وأخذ العلوم آنذاك من جامعة من أكابر علماء الزيتونة أمثال محمد النخيلي القيرواني والخضر بن الحسين وعدد كبير من أجلة العلماء الذين درسوا بجامع الزيتونة وقد كانت الرحلات والبعثات العلمية الجزائرية نحو تونس على أضرب ويظهر ذلك من خلال الآتي:

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج1، المرجع السابق، ص ص 252-253.
[2]- المرجع نفسه، ص 254.
[3]- نفسه، ص 254.

1-الرحلات والبعثات العلمية غير المنظمة:

كانت الرحلات العلمية من الجزائر إلى تونس إحدى السمات البارزة التي تبنت أواصر التواصل الثقافي والحضاري بينهما، وهذا من خلال ما وجده الطلبة والعلماء من غاية في تحقيق العلم وتعزيز الإسلام والعربية وتمتين أواصر اللحمة التي فارق بينها الاحتلال، فكانت نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وبداية القرن العشرين مرحلة مهمة في حركة الطلبة والعلماء الجزائريين نحو تونس خاصة جامعها الزيتوني "الذي استقطب العديد من العلماء والطلبة الجزائريين ومن جهات عديدة"[1].

وما يميز هذه الرحلات المبكرة أنها كانت نتيجة رغبة شخصية أو مبادرة فردية لم ترق إلى مصاف الرحلات والبعثات التي أشرف عليها مصلحون أمثال عبد الحميد بن باديس أو جمعية العلماء المسلمين خاصة مع منتصف القرن العشرين[2].

هذا ولم يكن أمر البعثات العلمية أو الطلابية نحو تونس حكرا على جمعية أو مدرسة أو شخصية بعينها وإنما شاركت فيها العديد من التيارات والمنظمات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية على امتداداتها التي تراوحت بين الاتجاه الاستقلالي والاتجاه الإصلاحي، مع إسهامات الأشخاص والمجموعات التي هي الأخرى قامت بمبادرات مميزة في هذا الباب حيث تكفلت بعديد الطلاب الراغبين في الدراسة بتونس[3].

2-البعثات العلمية المنظمة:

أخذت هذه الرحلات طابعا تنظيميا وتزامنت مع بداية القرن العشرين وخاصة الربع الثاني منه ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

أ-البعثات البادسية:

يرجع الفضل الكبير في إرسال الرعيل الأول للبعثات الطلابية والرحلات العلمية للشيخ عبد الحميد بن باديس، فبعد عودته إلى الجزائر سنة واحدة فقط وبرعاية وتشجيع منه وصلت أول بعثة إلى

[1]- أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها، المرجع السابق، ص 164.

[2]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص ص 919-920.

[3]- المرجع نفسه، ص 921.

تونس سنة 1911م، إلا أن ظروف الحرب لم تمكن الطلبة من البقاء في تونس واضطروا للعودة إلى بلادهم إلى أن وضعت الحرب وأوزارها[1].

وبعد الحرب العلمية الأولى وما تبعها من تحولات هامة في كل المجالات جعل عدد البعثات العلمية إلى الزيتونة[2] يزداد سنة بعد أخرى، ومع نهاية الربع الأول من القرن العشرين كانت الطليعة الأولى للبعثات البادسية والتي مثلها محمد مبارك الميلي والعربي التبسي والسعيد الزاهري وعبد السلام القسنطيني ومحمد العيد آل خليفة ...، هؤلاء الطلائع الذين مثلوا بلادهم أحسن تمثيل، وكانوا من خيرة الجنود الذين راهن ابن باديس عليهم في كسب المعرفة العلمية ضد الجهل والتخلف[3].

وكانوا السند الأساسي الذي استند إليه ابن باديس لوضع ركائز حركة علمية تربوية وإصلاحية دينية لنفض الغبار عن المجتمع الجزائري وإيقاظه من سباته العميق[4].

وقد توالت البعثات في اتجاه تونس وعلى الأخص جامع الزيتونة وبتنظيم أفضل، حيث لم تقتصر على طليعة الشرق الجزائري فحسب، بل مست العديد من جهات الوطن، وقامت الجمعية بإرسال البشير الإبراهيمي لتفقد أحوالهم والعمل على حل مشاكلهم وذلك سنة 1932م[5].

وفعلا نظمت الجمعية صفوفهم وجمعت شملهم وحددت تفرقهم، ووفرت لهم تنظيما قانونيا ليمارسوا العمل المنظم من خلاله، وتأسست جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين 1934م ليزورهم فيما بعد الشيخ ابن باديس سنة 1938م فليقى ترحيبا واسعا لدى التونسيين الزيتونيين عامة والطلبة الجزائريين خاصة[6].

---

[1]– أحمد مريوش، الحركة الطلابية ودورها، المرجع السابق، ص 122.

[2]– أنظر الملحق رقم (09).

[3]– محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين، المصدر السابق، ص 36.

[4]– المصدر نفسه، ص 36.

[5]– محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المصدر السابق، ص 101.

[6]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص 912.

ب-الرحلات والبعثات الميزابية:

تعد الرحلات والبعثات العلمية الميزابية من الرحلات التي أخذت هي الأخرى طبيعة تنظيمية وهذا لانتظامها من ناحية، وإشراف الكثير من المشايخ الميزابيين عليها، لضمان نجاحها ومن ناحية أخرى استمراريتها في التوافد نحو تونس رغم الصعاب التي كانت تكتنفها خلال هذه المرحلة، وعلى هذا الأساس اعتبر الكثير من الباحثين في هذا الشأن أنها كانت من الرحلات الزيتونية المنظمة.

وعلى العموم فإن أول البعثات نحو تونس والزيتونة بصرف النظر عن زمانها، كانت بقيادة الشيخ إبراهيم أطفيش وضمت في عدادها خيرة أبناء منطقة وادي ميزاب حينها أمثال: أبو اليقظان، صالح بن يحي، مفدي زكريا، سليمان رمضان، حمود عبد العزيز الثميني وآخرين[1].

ومن أهم البعثات في هذا الباب خلال هذه الفترة، رحلة أبو اليقضان نحو تونس والتي كانت سنة 1912م، ولعله عاصر بعض الوقت هناك عبد الحميد بن باديس كما يقول أبو القاسم سعد الله، والذي سبقه إلى الزيتونة ببضع سنين، وقد كانت أول بعثة ميزابية باتجاه تونس سنة 1914م وربما كانت قد تأثرت البعثة بالحرب العالمية الأولى إلا أنها استأنفت نشاطها العلمي بعد 1920م[2].

ثم سافرت بعثة أخرى إلى تونس برئاسة محمد الثميني سنة 1919م، وأخرى برئاسة الحاج الصالح بن باعلي فأصبحت في تونس ثلاث بعثات ميزابية في وقت واحد، وتواصلت البعثات الميزابية إلى تونس بين الحربين حيث كانت النتائج العلمية ومشاركة الميزابيين في الحياة الثقافية، كل ذلك جعل سير البعثات العلمية يزداد تدفقا[3].

وما يمكن الإشارة إليه هنا أن الرحلات والبعثات العلمية الزيتونية بمختلف أصنافها قد أتت أكلها من خلال هذه الفترة وذلك من خلال الأثر الناتج عنها في المجال العلمي والتربوي والإصلاحي وإسهامهم في مسيرة النضال الوطني لبعث الشخصية الوطنية الجزائرية.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 291.

[2]- المرجع نفسه، ص 291.

[3]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص ص 923-924.

رابعا- الصحافة:

تعتبر الصحافة حلقة من حلقات التواصل الثقافي والفكري بين القطرين إذ شملت جميع جوانب الحياة العلمية والفكرية وحتى السياسية سواء في تونس أو في الجزائر، إذ نجد أن أكثر الجوانب التي برع فيها الجزائريون والتونسيون هي الصحافة، إضافة إلى إقبال النخبة المستنيرة من هؤلاء على التأليف واقتحام ميادين الطباعة والنشر على أوسع نطاق تصله الصحف والجرائد، ولعل الدافع الأكبر الذي جعل الجزائريين يلجؤون إلى الكتابة في الصحافة التونسية أنها كانت تلقى نوعا من الحرية مقابل قيود ومصادرة تارة أخرى، فالمعروف أن الاحتلال لم يعامل الصحافة في تونس والجزائر بنفس الكيفية، فقد كان التضييق وشد القبضة هو السائد في الجزائر.

إن بداية الصحافة بتونس كان بظهور جريدة الرائد التونسي" سنة 1860م وهي رابع الصحف العربية في العالم من حيث قدامة العهد، صدر بها العدد الأول بسعي من الوزير المصلح خير الدين التونسي ومقالها الافتتاحي بقلم المفتي التونسي "الشيخ محمود قبادو" وتولى إدارتها صحفي سوري "منصور كركليتي"[1] تليها جريدة "نتائج الأخبار" لصاحبها حسين المقدم سنة 1882م، وفي السنة نفسها ظهرت جريدة "الحاضرة" لصاحبها علي بوشوشة واستمرت مدة 23 سنة و3 أشهر ثم توقفت مع بداية الحرب العالمية الأولى، تليها جريدة "القصباء" وجريدة "الزهرة" التي ظهرت سنة 1890م لصاحبها عبد الرحمان الصنادلي ولم تتوقف إلا مع استقلال تونس.

وفي سنة 1893م صدرت كل من "المبشر التونسي" و"المنتظ" لمحمد بك باشا و"البصيرة" لنجيب باشا، وما كادت تهل سنة 1895م حتى أصدر الشيخ عبد العزيز الثعالبي "سبيل الرشاد" والتي كانت راقية الأسلوب إسلامية المنهج، متواضعة الطبع والإخراج، وفي سنة 1896م صدرت "لسان الحق" لمحمد بورقيبة"[2].

[1]- أحمد الحبيب، تاريخ الصحافة التونسية، المجلة الزيتونية، المجلد السادس، ج1، العدد 1، تونس، 1951م، ص ص 350-351.

[2]- عمر بن قفصية، أضواء على الصحافة التونسية 1862-1970م، ط1، دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس، 1972م، ص ص 06-09.

منذ مطلع القرن العشرين كان للصحافة التونسية شرف استقبال ثلة من المهاجرين الجزائريين بأقلامهم أمثال الصحفيين المعروفين عمر راسم وعمر بن قدور، حيث فسحت الصحافة صفحاتها لنشر أفكارهما الجريئة والمناوئة للاستعمار دون تحفظ أو خشيته متعاطفة معهما ومع محنة الشعب الجزائري كل التعاطف، ففتحت هذه المبادرة صفحة من العلاقات الثقافية الفكرية والوطنية مع أجيال اتبعوا خطي عمر راسم[1] وعمر بن قدور[2]، وعملوا على تعميق الصلة بين البلدين وخوض المعارك الصحفية ضد الاستعمار وتأليف جبهة وطنية تعبر عن اللحمة بين الشعبين[3].

فقد كان عمر راسم ينشر مقالات متتالية في جريدة التقدم طوال (1907-1908م) ثم في جريدة الأمة والمشير 1911م، أما عمر بن قدور فهو الآخر كان يراسل جريدة التقدم 1908م لكن تعطيل الجريدة في حوادث 1911م جعله يراسل جريدة الحاضرة بتركيا والمشير التونسية، وبذلك عاضد الكاتبان الصحافة التونسية منذ مطلع القرن العشرين، وبعثا فيها روح الجرأة والمشاركة الفعالة في التبادل الفكري ورسم طريق الوحدة الفكرية وجعلا الكتابة الصحفية سجالا بين كتاب القطرين الشقيقين[4].

لقد تعززت الروابط الفكرية بين المفكرين ورجال الأعلام التونسيين والجزائريين في بداية القرن العشرين عن طريق تبادل المواضيع الفكرية بواسطة الجرائد والمجالات المختلفة، ومن هؤلاء عمر راسم الذي ربط علاقاته مبكرا برجال الأعلام التونسيين حيث وصف العلاقة التي تربط الجزائريين والتونسيين بأعضاء الجسد الواحد، وتجسيد لروح التواصل بين البلدين راح الأخير يطلب مجموعة من

---

[1]- **عمر راسم**: (1884-1959م) من رواد كتاب الجزائر الأوائل الذين برزو في مطلع القرن 20م، عرف بآرائه الإصلاحية المتحمسة لمذهب الإمام محمد عبده، مكان أول الكتاب الجزائريين الذي شارك في تحرير العديد من الصحف التونسية وأنشأ مجلة الجزائر 1908م وجريدة ذو الفقار.

[2]- **عمر بن قدور**: (1886-1932م) مصلح وصحافي من دعاة الوحدة المغاربية، ساهم بقلمه في عدة صحف مغربية ومشرقية منها صحيفة جريدة الفاروق 1913م، انظر: محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954م، المرجع السابق، ص 24.

[3]- محمد بوطيبي، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية (1900-1930م)، دار الهدى، الجزائر، 2012م، ص 100.

[4]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، المصدر السابق، ص ص 158-159.

الأعداد رقم 12- 13- 14- 15 من تلك الجرائد الإسلامية لتعزيز سبل التواصل بين الجزائريين والتونسيين[1].

ومن الجرائد الجزائرية التي كانت تصل إلى البلاد التونسية في بداية القرن الماضي نذكر مثلا الفاروق وقد اشترك الجزائريون في تحرير العديد من المقالات في الصحف والدوريات التونسية منذ مطلع القرن العشرين إلى غاية استقلال الجزائر منها: التقدم 1906م، مرشد الأمة 1906م، المنبر 1907م، المشير 1911م، العصر الجديد 1920م، لسان الشعب 1920م، النهضة 1924م، العالم الأدبي 1929م، الزمان 1931م، الوطن، البرق والزيتونة 1936م، صبرة والمباحث 1937م، العمل 1934م، وغيرها من الصحف الأخرى، وقد رد على ذلك التونسيون بنشر مقالات لهم في صحف ومجالات جزائرية أمثال الفاروق 1915م، الشهاب 1925م، صدى الصحراء 1925م، الإصلاح 1927م، وادي ميزاب 1929م، البصائر 1936م[2].

ولم يكتف الجزائريون بنشر مقالاتهم فقط بل دعموا الجرائد التونسية ماديا ومعنويا بشهادة محمد الصادق الرزقي صاحب جريدة إفريقيا في العدد 27 قائلا: "وقبل أن أختم كلمتي هذه أدعو إلى السيد الحاج علي بالنجاح وأثني الثناء العطر عن همم السادة الذين عاضدوا جريدتنا ماديا وأدبيا بالمغرب والجزائر وتونس"[3].

وفيما يتعلق بالتأثير الصحفي اعتبر محمد صالح الجابري بأن النهضة الصحفية التي عرفتها الجزائر قادتها وساهمت فيها جماعة من خرجي الزيتونة وقد تركزت هذه النهضة في المناطق القريبة من الحدود التونسية: قسنطينة، بسكرة، وادي ميزاب ..."[4].

كما قامت صحف تونسية كثيرة بتغطية حادثة منع طباعة جريدة "الإصلاح" في تونس، فأصدرت بيانات ومقالات وتنديدات واستنكارات عديدة ضد الإدارة الاستعمارية واتهمتها بقمع

---

[1] –A.N.T, Omar Racim, S.D.S :E.C : 550, DOS :15/30, DOC :179.

[2]– محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 100.

[3]– المرجع نفسه، ص 101.

[4]– محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المصدر السابق، ص ز.

الصحافة العربية وقطع الصلات العلمية الضاربة في القدم بين القطرين وتابعت أخبار وتطورات هذا المنع ومحاولات الطيب العقبي إعادة طبعها في تونس، فَكَتَبت عن هذا جريدة "الوزير" في عدة مواضيع وكذلك "الزهرة" و "تونس الجديدة" الصادرة باللغة الفرنسية في صفاقس، وجريدة النهضة في مقالين ..."[1]، وهو ما يعكس لنا تضامنا بين صحيفتي القطرين.

يؤكد ابن باديس على عمق الأواصر وتعدد الروابط الأخوية بين الجزائر وتونس قائلا: "أن الروابط عديدة بين الجزائر وتونس بل بين المغرب العربي بصفة عامة، كالروابط العلمية والسياسية التي ذاقت بها هذه حلاوة الاستقلال تحت ظل الإسلام والتاريخ يشهد بذلك"[2].

كما نجد في جرائد تلك الفترة رسائل دعم وتأييد وتضامن مع الجرائد التونسية التي طالتها يد الرقابة والتعطيل والمنع الاستعماري مثلما حصل مع جريدة النهضة عندما منعت عام 1925م من دخول الجزائر[3].

وتأكيدا على هذا الترابط نجد الطيب العقبي يدعو وبشدة لتوحيد رؤية الهلال بين القطرين باعتبارهما قطرا واحدا[4].

أجمع عدد من المؤرخين مثل روبير أجرون وأندري جوليان وأحمد توفيق المدني ومحمد علي دبوز وأبو القاسم سعد الله ... على أن تونس مثلت معبرا أساسيا لمختلف التأثيرات المشرقية إلى الجزائر التي صارت عاجزة على بعث نهضتها الإصلاحية بحكم طبيعة الاستعمار الاستيطاني الإدماجي الفرنسي الذي عمل على تحطيم العائلات التقليدية ونفوذها الروحي والاقتصادي[5].

[1]– الطيب العقبي، الإصلاح، ع2، الخميس 02 ربيع الثاني 1348هـ/5 ديسمبر 1926م.

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص 1306.

[3]– محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المصدر السابق، ص 191.

[4]– الطيب العقبي، شهر شعبان في تونس غيره في الجزائر، الشهاب، ع85، فيفري 1927م.

[5]– خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، المرجع السابق، ص 295.

ويدلل المدني على إطلاع الجزائريين على ما يحدث في تونس أولا بأول أنهم قد تعرفوا عليه في عنابة وقسنطينة وبسكرة ... بسرعة بعد وصوله إليهم منفيا من تونس عام 1925م، وذكر بأن جريدة "النجاح" قد كتبت عنه بعد يومين فقط من نزوله بقسنطينة بعنوان"ضيف معتبر"[1].

ويقول المفكر مالك بن بني عن صدى الصحافة التونسية في تبسة "وقد بدأت صحيفة تونسية باللغة العربية اسمها "العصر الجديد" تصل أيضا إلى تبسة حيث كنا نجدها أكثر إمتاعا من زميلتها القديمة الزهرة ...، والصحف التونسية مثلما كانت توفر المادة الإعلامية والثقافة الإسلامية لأبناء تبسة كما يصفها أنها كانت باعثا وحافزا لبعض مثقفي هذه الربوع على إصدار صحف مماثلة باللغة العربية[2].

ومن الشخصيات التي زارت الجزائر عام 1920م الصحفي المعروف سعيد أبو بكر الذي زار بسكرة ونواحيها وأدهشته كثرة ورواج الصحف التونسية بها واشتراك أهلها فيها بصفة رسمية وعرضها للبيع في المحالات كما هو الحال في تونس.

وأيضا الشاعر التونسي الشاذلي خزندار سبتمبر 1928م والذي كان في استقباله محمد الهادي السنوسي"، والشاعر الصحفي الوطني التونسي محمود بورقيبة الذي زار بسكرة أيضا[3].

أما التواصل الصحفي فقد جسدته أقلام تونسية في الصحافة الجزائرية خاصة خلال مرحلة منع الصحافة التونسية من النشاط بين (1912-1920م) كما يذكر المدني، مثل محي الدين القلال الذي عمل مراسلا للصحف التونسية في الجزائر، والطيب بن عيسى (جزائري الأصل) (1885-1958م)، الذي عمل كاتبا ومراسلا ووكيلا للفاروق في تونس ونذكر منهم أيضا البشير الفورتي، حسين الجزيري (جزائري الأصل) وصالح سويسي القيرواني ومحمد الفايز وجلال الدين النقاش

[1]- توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 461.

[2]- محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المصدر السابق، ص ص 134-136.

[3]- خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، ج1، المرجع السابق، ص 1118.

ومحي الدين القليبي وعثمان الكعاك ومحمود بورقيبة، ومحمد المهدي بالناصر ... دون أن ننسى أحمد توفيق المدني (الذي كتب في النجاح، الشهاب، الإصلاح ...) [1].

عموما فقد تركزت الأقلام التونسية في جريدتي ذى الفقار والفاروق مع وجود بعض الكتابات في جرائد البلاغ والإخلاص والرشاد وصوت المسجد ... [2].

كان الوضع في الجزائر يتسم بسيطرة الفرنسيين على المطابع من جهة وتركزها في المدن الكبرى من جهة أخرى، ورغم ظهور مطابع جزائرية بعد الحرب العالمية الأولى في قسنطينة ومستغانم ووهران ... إلا أنها كانت ضعيفة من حيث تأهيل عمالها ودعمها المالي[3]، ونحن نميل مع المفكر مالك بن نبي الذي ألمح إلى ظهور مطبعة جريدة "النجاح" في قسنطينة عام 1919م، كان بتأثير من الجو الصحفي في تونس، ومؤسسا المطبعة عبد الحفيظ بن الهاشمي ومامي إسماعيل درسا في تونس، وقد استطاعت جريدة النجاح أن تبعث نهضة صحفية سواء بالتقليد أو المناقشة وتمكنت في الأخير من الصدور بصفة يومية[4].

كما أن الجزائريين قد أدركوا أهمية الطباعة عندما كانوا يشاهدون في تونس انتشار المطابع مثل مطبعة محمد التليلي في نهج جامع الزيتونة والمطبعة التونسية والمطبعة زين العابدين السنوسي التي طبعت لأحمد توفيق المدني ككثير من أعماله ...

وبهذا اعتبرت الصحافة من أهم وسائل التواصل والتفاعل الثقافي بين الجزائر وتونس ولهذا يمكن اعتبارها مثالا لعلاقات التواصل بين أقطار الوطن العربي الكبير الذي هو أحوج إليها لتحقيق وحدته.

ونلخص من خلال ذلك أن هذا التفاعل والتعاون الصحفي فصلا من فصول الترابط الثقافي الدائم بين القطرين.

---

[1]– محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المصدر السابق، ص خ.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 528.

[3]– المرجع نفسه، ص 309.

[4]– محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المصدر السابق، ص 140.

خامسا– الفن المسرحي والموسيقى:

لقد تناولنا في الفصل السابق موضوع النشاط المسرحي في البلدين على أنه كان وليد القرن العشرين، ولم يكن مألوفا لديهم قبل هذه الفترة حيث كان شبه منعدما في شكل مسرح الظل أو الكاراكوز ثم ظهر في تونس بعد التأثر بالمسرح المصري، وفي الجزائر صاحب نشاط النوادي والجمعيات في مطلع القرن العشرين، وأصبح المسرح عامل تواصل في المجال الثقافي إلى جانب الموسيقى.

تعد العروض المسرحية من وسائل التقارب والربط بين الجزائريين والتونسيين ومن بين رحلات العروض التمثيلية الجزائرية إلى تونس رحلة "محي الدين باشا تارزي" سنة 1925م، حيث قدم مع فرقته عرضا تمثيليا على خشبة المسرح البلدي بتونس، بيد أن هذه الفرقة المبتدئة منيت بالفشل، فولت أدراجها إلى الجزائر، ويرجع سبب فشلها إلى أن المسرح التونسي لم يكن متطور بالمعنى الكامل إلا بعد رحلة "جورج أبيض" لها وعزوف الجمهور عن المسرح، أما السبب الآخر هو أن فرقة باش تارزي لم تكن من النضج والكفاءة الفنية ما يجعلها تنال شهرة قبل أن تحل بتونس، ولا نتعجب إذا قلنا أن الفرقة التونسية بقيادة "وز–وز باي" التي زارت الجزائر سنة 1921م قبل رحلة باش تارزي باءت كذلك بالفشل على خشبة المسرح الجزائري، وهذا دليل على أن بلدان المغرب العربي كلها لم تعرف المعنى الكامل للفظ المسرح[1].

لكن رحلات الوفود المشرقية إلى الجزائر وأهمها رحلة جورج الأبيض سنة 1921م والتي قدمت مسرحتين للجمهور الجزائري في دار الأوبرا وهما: "شهامة العرب" و"صلاح الدين الأيوبي" كانت بمثابة هزة كبيرة للمسرح الجزائري مما أفضى إلى قيام فرقة للتمثيل العربي وهي "جمعية الآداب والتمثيل العربي" وهي أول فرقة جزائرية تؤسس في تاريخ المسرح الجزائري[2].

ذهب بعض الدارسين أن ميلاد المسرح التونسي يجب أن يؤرخ له بنسبة تكوين أول فرقة مسرحية تونسية باعتبار أن المسرح عمل جماعي يساهم فيه المؤلف والمخرج والممثلون في مكان معين

[1]– عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، ط1، الجزائر، دار الحداثة، 1982م، ص ص 28–29.
[2]– المرجع نفسه، ص 89.

أمام الجمهور، وأول نص تونسي تم تمثيله كان سنة 1909م، وهو مسرحية "السلطان بين جدران يلدز" من تأليف محمد الجعايبي (1878-1938م) وتوالت بعد ذلك مسرحيات أخرى مثل مسرحية "عبد المؤمن بن علي" للهادي العبيدي و"المتمردة" لنور الدين وزين العابدين السنوسي وخليفة السطمبولي، وأغلب هؤلاء جاءوا من العمل الصحافي وهناك من انتقل من كتابة القصة والشعر إلى كتابة المسرح مثل القاص "علي الدوعاجي" والشاعر عبد الرزاق كرباكة (1898-1945م)[1].

كان المسرح التونسي طيلة نصف قرن مدرسة الأمة حيث ركز المسرحيون على التعريف بتاريخ وطنهم في القرون الوسطى، إفريقية العربية الإسلامية وبمن كان يحكمها من أمراء بني الأغلب والخلفاء الفاطميين والملوك الحفصيين وعلى التعريف أيضا بالأوطان العربية الأخرى مثل الأندلس ومصر والشام والعراق وبما جد في كل واحد منها من أحداث وحروب وفتوحات، فصارت بذلك أسماء طارق بن زياد وعقبة بن نافع وموسى بن نصير وغيرهم من الرجال الذين أعطوا لإفريقية والوطن العربي بآسره القوة والحضارة، ومن يطالع هذه النصوص يضعها في إطارها السوسيولوجي[2].

أما الموسيقى في كلا البلدين فمصدرها يكاد يكون واحد وهو الموسيقى الأندلسية التي نشرت تعاليمها الفنية بعد سقوط الأندلس عندما استوطن الأندلسيون في بلدان شمال إفريقيا، وكانت الآلات الموسيقية المستعملة نفسها مثل: القصبة والجواق والطار والدف والطبل والدربوكة والكمنجية والقيتارة لكن الصدارة كانت للعود، ظلت تونس محافظة على هذا الفن العريق إلى أن ظهر الراديو وعم استعماله بعد الحرب العالمية الثانية حيث تأثرت بالغناء الشرقي حيث صار التونسيون يقلدون الشرقيين في لفظ الحروف، لكن أنصار الفن القديم استطاعوا أن يقفوا أمام هذه الموجة الغنائية الدخيلة[3].

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج1، المرجع السابق، ص 122.

[2]- عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، المرجع السابق، ص 92.

[3]- إحسان حقي، تونس العربية، بيروت، دار الثقافة، (ب.ت)، ص ص 210-211.

مما سبق يتضح أنه كلا من الجزائريين والتونسيين كان لهم حب جارف للموسيقى بشكل خاص وظهر ذلك من خلال حركة المسرح الغنائي إذ أدخل الجوق شيئا من الغناء على التمثيل للترفيه والتنويع، فأصبحت الفرق المسرحية في الجزائر وتونس تقوم على التمثيل والغناء على خشبة المسرح في الحفلات التي تقام في كلا البلدين في المناسبات الدينية والوطنية جعلها تحت وقع الموسيقى الأندلسية.

III– إسهامات المثقفين الجزائريين في تونس:

لقد ساهم المثقفون الجزائريون في تونس في ميادين كثيرة منها الدور الكبير في الحياة الثقافية لاسيما المساهمة الصحفية والعلمية والأدبية، إذا أضافت النخبة المثقفة الجزائرية إلى البلاد التونسية رصيدا هاما في الجانب الفكري والمسائل الثقافية بإثارة جملة من القضايا المختلفة، اتضحت معالمها من خلال ما كتبوه في الصحافة التونسية أو من خلال مؤلفاتهم الخاصة، واعترافا بما قدمه الجزائريون في تونس فقد أشار المؤرخ التونسي أحمد القصاب إلى دور الجزائريين بقوله: "وبعضهم من أصل جزائري (كالشيخ عبد العزيز الثعالبي، وحسن قلاتي، وحسين الجزائري).

وفي هذه الدراسة سنركز البحث على الجانب الصحفي والعلمي والأدبي إذ هناك صحفيون كثر وعلماء وأدباء جزائريون عاشوا هذه المرحلة بتونس وساهموا بشكل كبير في الحركة الثقافية والفكرية بها هذا بالنسبة للمقيمين في تونس، إما الأخرى في الجزائر فكانت من المثقفين الذين كانوا يراسلون الصحف التونسية ويبثون فيها الوعي القومي والسياسي من خلال المقالات والمواضيع الصحفية المختلفة.

أ–المساهمة في الجانب الصحفي:

من الواجب الإشارة إلى المسألة الصحفية التي كانت حيوية بين الشعبين الجزائري والتونسي، ذلك أن رواج الصحف التونسية في الجزائر والذي أخذ في التوسع والانتشار منذ بداية مطلع القرن العشرين وحتى سنة 1912م، وقد توقف النشاط الصحفي عقب هذه السنة شطر إندلاع الحرب العالمية الأولى ولم يستأنف بشكل جلي إلا بعد سنة 1920م، ففي هذه الفترة لاقت الصحافة التونسية اهتمام الكتاب الجزائريين سواء المهاجرين منهم المستقرين بالجزائر وهذا لما توفر لها من حرية والظاهر أن الصحف التونسية قد شارك في تحريرها أو حتى في ترؤسها جملة من المثقفين الجزائريين وعلى سبيل الذكر نشير هنا إلى جريدتي الحاضرة وتونس، ولاشك في أن وفرة الصحف التونسية خلال هذه الفترة أتاح للجزائريين مواكبة الإصلاح في العالم الإسلامي عامة، ومكنهم من التعريف بالقضية الجزائرية.

ومن أبرز الجزائريين المستقرين في تونس من الرعيل الأول، وأقواهم شخصية "علي بوشوشة" الجزائري الذي اشتهر في صفوف زملائه بالذكاء المفرط والسلوك الحسن مع الحفاظ على المبادئ، وهو ما مكنه من أن يحظى بمنزلة من المحبة والإكبار والتقدير من طرف رفاقه وأساتذته، تردد اسمه على لسان تلاميذه الصادقية كونه الأول في المدرسة[1]، وكذا إتقانه لعدة لغات اتقانا تاما منها (العربية، التركية، الفرنسية وغيرها).

برز أكثر في الحقل الصحفي حيث أسس جريدة الحاضرة سنة 1888م هي أول جريدة عربية أسبوعية حدة ظهرت في تونس، ثابرت على الظهور حتى 07 نوفمبر 1911م، كما أن الأستاذ بوشوشة من مؤسسي الخلدونية البارزين سنة 1896م وربط علاقة متينة مع الإمام عبده عندما زار تونس في صائفة سنة 1903م، كما زار وطنه الجزائر في رحلتين دراسيتين حيث جمع كثيرا من الوثائق الهامة[2].

والحقيقة أن بوشوشة لم يركن إلى العمل الصحفي فحسب بل تعداه إلى ترجمة بعض الأعمال من الفرنسية إلى العربية مثل ترجمة دكتوراه لمحمد بن العربي الجزائري موضوعها "الطب العربي في الجزائر"[3].

وما يدل على ثقافة الرجل واتساع أفقه ومساهمته الفاعلة في الحياة الصحفية والفكرية في تونس هي المقالات الخالدة التي تركها على بوشوشة في الصحافة التونسية من خلال الحاضرة ما كتبه في 04-02-1895م حول مسألة الانتماء والهوية العربية الإسلامية، ومقال في 27-07-1896م بعنوان فرنسا والإسلام ومقال بتاريخ 18-05-1897م، وحفظ الآداب في 22-06-1897م والإسعاف في 31-07-1897م، وبقراءة مقالات بوشوشة نلاحظ أنه انفرد في مقالاته دون كتاب عصره واستعمل أسلوبا جديدا يشبه الأسلوب الغربي مثل جرائد التايمز، نيويورك، ... وغيرهما، ذلك هو إذا علي بوشوشة الصحافي الجزائري الرائد والقائد للصحافة التونسية في نهاية القرن

[1]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة (1900–1956م)، ج1، المرجع السابق، ص 504.

[2]– عمر بن قفصية، المرجع السابق، ص ص 55–56.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 607.

19م وبداية القرن 20م. شخصية أخرى لا تقل أهمية عن علي بوشوشة الجزائري ساهمت بشكل فاعل في الحياة الصحافية وبالتالي الأدبية والفكرية في تونس إنها شخصية عبد الجليل الزاوش الجزائري الذي نشط في العمل الصحفي قبل الحرب العالمية وبالتالي يعتبر صحفيا موازيا ومعايشا لعلي بوشوشة أسس في 17-02-1907م وأصدر العدد الأول من جريدة "التونسي" رفقة ثلة من التونسيين وتحت إشراف المناضل التونسي "علي باش حامبة"[1]، وهذه الصحيفة أسبوعية ناطقة باللغة الفرنسية وتهتم هذه الجريدة بالخصوص بالقضاء ونظام العدالة، الغرض منها إقامة نظام قضائي وعدلي ناجح وتسهيلا لمهمة القضاء والأعوان العدليين قام الجزائريان عبد الجليل الزاوش وحسن قلاتي رفقة علي باش حامبة بسلسلة من الدراسات المتجانسة والمتماسكة للمساهمة في عصرنة العدلية التونسية وبعد إلغاء قرار الإبعاد في حق المبعدين على أثر إحداث مقاطعة الترامواي (تونس العاصمة في مارس 1912م)[2].

ظهرت شخصية حسن قلاتي بشكل أوضح وذلك حين عاد إلى سالف نشاطه السياسي دون إهمال شؤون مكتبه فترأس "جمعية الآداب المسرحية" ثم "الجمعية الخلدونية" بعد مغادرة البشير صفر ومحمد لصرم هيأتها المديرة للعمل في مجال آخر كما أنشأ القلاتي عقب الحرب العالمية الأولى "جمعية النهضة الاقتصادية" والتي لم تعتمد فترة طويلة[3].

وفي سنة 1904م صدرت أول مجلة تونسية من تأسيس الجزائري الخضر حسين تحت عنوان "السعادة العظمى" والتي أصدر منها واحد وعشرون عددا وهي تعد رائدة الإصلاح بتونس، حيث دعت إلى تغيير المناهج التعليم الزيتوني والدفاع عن اللغة العربية، وحسب قول الشيخ الفاضل بن عاشور فإنها كانت لسان جماعة الشيوخ المعتدلين الداعين إلى تحقيق الإصلاح وبناء النهضة[4].

---

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج1، المرجع السابق، ص 506.

[2]- التي قاطع فيها التونسيون ركوب الترامواي بعد سحقه لطفل تونسي فعمت الإضرابات في تونس بعد الاعتقالات التي مست القيادات الوطنية آنذاك.

[3]- بشير مديني، مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2015م، ص 85.

[4]- محمد أبو القاسم كرو، محمد الخضر حسين، دار المغرب العربي، تونس، 1973م، ص 63.

كما ترأس الخضر مجلة "الهداية الإسلامية" التي أسسها في القاهرة 1928م وكانت لسان حال تونس والمغرب العربي في المشرق وقد قال عنها أبو الجندي "لقد كانت مجلة مغربية واضحة الدلالة في كتاباتها وأبحاثها ودفاعها عن مختلف المواقف الوطنية والإسلامية والعربية[1].

إلى جانب ذلك ساهم الشيخ في تحرير مجلة "الشبان المسلمين" سنة 1929م وترأس تحرير مجلة "نور الإسلام (1930-1934م) بالقاهرة دائما، والحقيقة أن النشاط الكبير الذي ميز الحسين خضر جعلنا لا نعرف بالتحديد جميع المجالات والجرائد الأخرى التي نشر فيها الخضر قصائده ومقالاته نظرا لغزارتها وكثرة مساهماته الفكرية في العديد من المجلات والجرائد مثل مجلة البدر الزيتونية وجريدة الزهرة انطلاقا من سنة 1889م[2].

ويعود الفضل في انفتاح الجزائريين على الصحافة التونسية إلى "عبد العزيز الثعالبي"[3]، الذي كان من المهاجرين الأوائل الذين قرعوا باب الصحافة الوطنية بتأسيس جريدة يدير امتيازها باسمه الخاص ففي افتتاحية المجلة في عددها الأول حاول تعريف الجريدة ومنهجها قائلا: "وها أنا ذا قد شاقني داعي الحمية وهزتني الغيرة الوطنية إلى سبب إصدار جريدة إسلامية دأبها النصح والإرشاد إلى طريق السداد تحت عنوان سبيل الرشاد، وعلى الله بلوغ المراد تضلني الحكومة التونسية وتضللني غمامة الحماية الفرنسية"[4].

كما كتب الثعالبي في العديد من الصحف العربية داخل تونس وخارجها وساهمت فيها بشكل أو آخر أشهرها: البصيرة، المبشر، المنتظر، سبيل الرشاد، بريد تونس التونسي، الاتحاد الإسلامي الفجر، الإدارة، المؤيد، الشورى والرابطة العربية، وبذلك أمسك بزمام القيادة الوطنية في

---

[1]- الإمام عبد الحميد بن باديس، أثاره، وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، الجزائر 1984م، ج3، ص 144.

[2]- الصادق الزميزلي، أعلام تونسيون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص 202.

[3]- **عبد العزيز الثعالبي**: (1874-1946م) من أصل جزائري ولد بتونس العاصمة 1876م، زيتوني الثقافة، شارك في تأسيس وتحرير العديد من الصحف الدينية والسياسية (سبيل الرشاد 1895م، الاتحاد الإسلامي 1909م) زار المشرق والمغرب وفرنسا 1919م ومثل تونس في مؤتمرات الصلح، وترأس الحزب الدستوري، ونفي إلى المشرق من سنة 1923م إلى 1937م، وله مؤلفات فكرية وأدبية، أنظر: خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، ج3، ص 1132.

[4]- محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 101.

الميدان الصحفي[1]، واتضحت مقدرته في ذلك من خلال التقارير الأمنية فإن الثعالبي برز على الساحة الصحفية منذ 1882م متعاونا مع جريدة المبشر والتونسي التي أصدرها براكس لوفست، وكانت تتميز بمعارضتها للإدارة الفرنسية حيث استغل تعاطف هذا الصحفي الفرنسي مع العرب للتعبير عن أفكاره بنشر مقالات نصت على أن فرنسا لم تؤد الرسالة الحضارية المكلفة بها وأن إدارة الحماية لا تحترم ديانة التونسيين ولا تقاليدهم غير أن تلك الجريدة لم تعمر طويلا[2].

أما الفضل للمثقفين الجزائريين المراسيلين للصحف التونسية فيعود في البداية إلى تلك المقالة التي نشرها عمر راسم سنة 1907م بجريدة التقدم التونسية فكانت الجسر الذي مهد الصلات الفكرية إلى جانب جامع الزيتونة[3]، حيث كتب رسالته الجريئة إلى رئيس الوزراء والوالي العام في الجزائر في جريدة التقدم تحت عنوان: رأى حر، ورغم الظروف الاستعمارية التي كانت تعيشها تونس فإن الجريدة لم تحجم عن نشر تلك الوثيقة ولم تتهيب من محتواها السياسي الفاضح لأمر الاستعمار كما صدرت رسالة لعمر راسم يوم 26 ديسمبر 1907م[4].

ومن المعروف أن عمر راسم (1884-1959م) كان من أوائل الجزائريين الذين راسلوا الصحف التونسية في بداية القرن العشرين وكتب في الجرائد التونسية مثل "الأقدام" و"مرشد الأمة" و"المرشد" واعتبره محمد صالح الجابري أول الكتاب الجزائريين الذين شاركوا في تحرير الصحف التونسية إلى جانب مقالته التي بعث بها إلى جريدة "التقدم" سنة 1907م، له مقالات في جريدة "المبشر" و"المباحث"[5].

وكذلك عمر بن قدور (1886-1932م) فقد امتلك بالصحافة مبكرا بداية مع جريدة التقدم سنة 1908-1909م وتحول بعد أن تعطلت إلى الكتابة في جريدة "الحضارة" بالأستانة، حوله فيها مقال بعنوان "أمواج الاغتياظ" و"نكبة تونس في أركان نهضتها"، كتبه عند الفن القبض

[1]- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 46.

[2]- محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 139.

[3]- محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري، المصدر السابق، ص 21.

[4]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، المصدر السابق، ص ص 154-156.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 285.

على أركان الشبيبة التونسية سنة 1912م، كما كانت له مقالات في "المبشر" و"الحاضرة" سنة 1909م حيث نشر موشحه فيها، إضافة إلى كتاباته عن أخبار وطنه الجزائر التي كان ينشرها يوميا في الجرائد التونسية[1].

كما دعا إلى تأسيس جماعة التعارف الإسلامي بين مفكري المسلمين (الجزائر وتونس والمغرب العربي) ودعوته إلى تكوين جامعة الصحافة الإسلامية منذ 1911م[2].

ونظرا لتأثير عمر بن قدور على الصحافة التونسية فإن خبر نعيه قد تلقته بحزن وهبت تعزي فيه الوطن والأصدقاء وتعدد خصاله، ووصفته جريدة الوزير بأنه جامعا لأوصاف الرجال العظام بما قدمه من خدمات لجامعة المسلمين بقلبه ولسانه. هذا بالإضافة إلى المقالات التي خصصها أصدقاءه في التذكير بخصاله ودوره في الصحافة التونسية والجزائرية[3]، كما نجد سعد الدين بالقاسم بن الخمار الصحفي الجزائري الذي كان أول الملبين لفكرة عمر بن قدور يوم دعا لعقد جماعة التعارف الإسلامي، قد نشرت له جريدة الفاروق سلسلة مقالات بعنوان "المفاوضات الاستنهاضية"[4].

وهناك أيضا "حسين الجزائري"[5] الذي بدأ الصحافة منذ شبابه، فكان في سنة 1910م يحرر افتتاحية جريدة "اللواء التونسية" وكاتبا بجريدة "المنار التونسية" ومراسلا لجريدة الفاروق الجزائرية وكتب للصحف الهزلية لميله للفكاهة، فحرر بجريدة "المضحك"، وكتب في جريدة "حجا" مدة طويلة، وفي الوقت نفسه كان يقوم بوظيفة الملقن لجمعية "الشهامة" العربية التمثيلية وهو لا يزال طالبا بالجامع الأعظم، وفي 15 مارس 1910م شارك في إضراب شنه تلامذة الزيتونة، كما أصدر في 12 فيفري 1921م "جريدة النديم" وهي أسبوعية أدبية فكاهية، فأطهر نشاطا كبير في إدارتها، قال عنه عمر

[1]– محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، المصدر السابق، ص ص 158-159.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 279.

[3]– محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، المصدر السابق، ص ص 158-159.

[4]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص 1313.

[5]– **حسين الجزائري**: ولد بتونس العاصمة سنة 1894م تلقى تعليمه في الكتاب ثم بجامع الزيتونة، مارس الكتابة في عدة صحف منها "اللواء" و"المنار" و"المضحك"، أصدر جريدة النديم سنة 1921، من مؤسس الحزب الدستوري، توفي سنة 1974م.

بن قفصية "ولا تعالي إذا قلنا أنه لا يمكن مقارنته إلا بصفوة صحفي العصر، الأدباء أمثال عبد الله النديم وحسين شفيق ومحمود بيرم وإضرابهم ممن لا يجود الزمان بمثلهم إلا نادرا[1].

كما ظهرت الصحافة الفكاهية من خلال ظهور "أبو قشة"[2] الجزائري محمد بن الهاشمي بن المكي (1881–1942م) صاحب جريدة "الإسلام" وهو ابن الشيخ عثمان الهاشمي بن المكي ووالد السيد بن قصي وحاتم المكي كما تلتها جرائد فكاهية أخرى للجزائري بن عيسى بن الشيخ أحمد صاحب جريدة الثريا في 22 أفريل 1909م و"جحا" "الضحك" في 26 نوفمبر 1911م جحجوح فيما بعد وكذا عبد الله زروق صاحب جريدة "المضحك" في 20 أوت 1920م[3].

وفي مطلع سنة 1911م برزت جريدة "المشير" لصاحبها الجزائري الطيب بن عيسى القرواوي[4] صاحب جريدة "إظهار الحق" في 10 ماي 1904م[5].

وهناك جرائد تونسية المنشأ جزائرية المشاركة نالت رواجا كبيرا في الميدان الثقفي والإصلاحي والأدبي "جريدة العدلية" التي مثلت نزعة الشباب التونسي لصاحبها "الهادي بن أحمد بن عباس" وهو من المناضلين التونسيين الذين كانت لهم علاقة قريبة وطيبة بالجزائريين وقد شارك في تحرير هذه الجريدة الشيخ عبد العزيز الثعالبي بمقالات متعددة، وهناك جريدة الإسلام الاجتماعية لصاحبها محمد الهاشمي بن عثمان المكي، ومجلة "تحقيق الأمل" 1905م للبشير زروق و"القسطاس" 1907م للبشير القروي، و"صدى الساحل" لعبد السلام القليبي، 1920م، و"كاكوز" للحاج الصادق بلخوجة سنة

[1]– عمر بن قفصية، المرجع السابق، ص 149.

[2]– **أبو قشة**: وتعني في لغة أهل الجنوب التونسي "القرد".

[3]– بشير مديني، المرجع السابق، ص 86.

[4]– **الطيب بن عيسى القرواوي**: (1885–1905م) ولد بتونس وهو جزائري الأصل، تعلم بالزيتونة وساهم منذ نشأته في تحرير من الصحف في مطلع القرن 20م في كل من تونس والجزائر كما أنشأ سنة 1911م جريدة المشير التي حولها سنة 1920م إلى جريدة الوزير.

[5]– بشير مديني، المرجع السابق، ص 86.

1910م، و"التونسي" لعبد العزيز الثعالبي 1909م، كما كانت له جريدة "بريد تونس" وهي أول جريدة تصدر باللغة الفرنسية"[1].

كما أصدر محمد الشريف التيجاني (1886-1942م) ثلاث جرائد وهي جريدة "المنصف" وهي جريدة علمية سياسية أسبوعية صدرت سنة 1907م وتم إيقافها سنة 1918م، وجريدة "خطيب العالم" وهي دورية أسبوعية سياسية أدبية صدرت سنة 1908م، أما الجريدة الثالثة فهي جريدة "التسامح" صدرت سنة 1909م[2].

إن عدد الجزائريين الذين سيروا وترأسوا الجرائد التونسية وشاركوا في تحريرها كبير جدا ولا يمكن إحصاؤه، ولكن يمكننا إضافة بعض رواد الصحافة وجرائدهم أمثال:

الجزائري البشير الحنقي[3] الذي بدأ عمله الصحفي سنة 1911م بمراسلة جريدتي "الكامل" الفلسطينية وجريدة "البلاد" اللبنانية وقد كتب بإمضاءات مستعارة في أشهر الصحف التونسية وأصدر جريدة لسان الشعب الأسبوعية 1921م.

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج2، المرجع السابق، ص 1316.

[2]- المرجع نفسه، ج1، ص 513.

[3]- **البشير الخنقي**: ولد بتونس من أب جزائري الأصل، كان صاحب عقارات، زاول تعليمه بالكتاب ثم بالعلوية، ثم بجامع الزيتونة أسس جريدة لسان الشعب (1920-1938م) كان أول ملقن في تاريخ المسرح التونسي، وقد عمر طويلا حيث قارب التسعين من العمر.

أما الجزائري الصادق الرزقي (1874-1939م) الذي ساهم في الحركة الصحفية التونسية من خلال تبرعه بداره كمقر للجريدة نظرا لمكانته الاقتصادية الراقية وبإصدار جريدته "إفريقيا"[1].

أما عبد الرحمان الصاندلي[2] الذي بدأ عمله الصحفي في تحرير جريدة الأعلام" للشيخ بيرم الخامس التونسي فقد أصدر جريدة "الزهرة" ذات الاتجاه العربي الإسلامي وهي في الأصل لمحمد المتالي الذي باعها إياه بعد أن كانت مطبعة وترك بعده جريدة الزهرة التي تعد أقدم جريدة يومية عربية بقيت تصدر لمدة 65 سنة (1892-1956م) [3].

ويعد عبد الرحمان الصنادلي أصل مدينة عنابة من رواد الصحافة الحرة في تونس ومثالا يقتدى به، حيث كان يحرر لوحده مواضيع جريدة "الزهرة" ثم ينضد حروفها وبعد انتهاء دوام العمل بالمطبعة التونسية يشرع في وضع القوالب على الآلة الطابعة ويسحبها لوحده ليقوم في الصباح بتوزيع هذه النسخ، فساهم بعمله في نشر ثقافة الطباعة[4].

وكذلك "محمد سعيد الزاهري"[5] (1900-1956م) المولود ببسكرة في الجزائر وكان أبرز من كتبوا في الصحافة، حيث كتب في العديد من الصحف الجزائرية منها المنتقد والشهاب والنور والأمة والبصائر، لكنه لم يكتف بالكتابة فيها بل خاض تجربة ثرية في عالم الصحافة وذلك بإصدار مجموعة من الصحف وهي: الجزائر 1925م، البرق 1927م، الوفاق 1938م، المغرب العربي 1947م، بالنسبة لجريدة "البرق" كانت تطبع بتونس من العدد 17، أما عن دوره في الصحافة التونسية فكان يكتب في جريدة النهضة التونسية وفيها نشر العديد من قصائده، كما نشر عدد من المقالات في

---

[1]- عمر بن قفصية، المرجع السابق، ص 134.

[2]- **عبد الرحمان الصنادلي** (1848-1935م): تخرج من جامع الزيتونة كان مستقل الفكر حر الضمير، شارك في تحرير جريدة الأعلام التي أسسها الشيخ بيرم الخامس بالقاهرة، وفي سنة 1889م عاد إلى تونس، وباشر في تحرير وإدارة الجريدة الأسبوعية الزهرة ثم اشترى امتياز مطبعة جريدة الزهرة.

[3]- عمر بن قفصية، المرجع السابق، ص ص 62-65.

[4]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 399.

[5]- **محمد سعيد، الزاهري**: (1900-1956م) ولد بمدينة ليانة بضواحي بسكرة، درس بقريته ثم بمدينة قسنطينة على يد شيخه عبد الحميد بن باديس قبل الانتقال إلى الزيتونة وحصوله على شهادة التطويع سنة 1924م، وهو من أبرز الشعراء وأكثرهم وطنية وقد برز ذلك خلال العشرينات من خلال صحفية التي أنشأها - الجزائر- البراق- الأفاق.

جريدة الوزير لصاحبها الطيب بن عيسى ومقال عن "الوحدة المغربية" ومقال حول "مقال القيمة" كما كتب في جريدة الزمن مقال عنوانه "هل البربر عرب؟"[1].

كما ساهم الزاهري في القضايا التي تخدم البلدان المغاربية بما في ذلك تونس والجزائر، بمعالجة بعض المسائل الاجتماعية وخاصة مسألة السفور من خلال جريدة الوزير التي كان على رأسها الشيخ الطيب بن عيسى الذي ينحدر من أصول جزائرية مهاجرة إلى البلاد التونسية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر[2].

أما عميد الصحفيين الجزائريين "الشيخ إبراهيم أبو اليقضان"[3] ساهم في الصحافة التونسية بإصداره جريدة "وادي ميزاب" والتي كانت تطبع (1926-1929م) بتونس وتوزع بالجزائر بمجموع 119 عددا وهذا ما أدى إلى التفوق الواضح لجريدة وادي ميزاب، كما كتب مقالات في جريدة 'المنير"، وأصدر جريدة النور (1931-1933م) ذات التوجه الإصلاحي والتي كان لها في تونس كتابها وقراؤها إضافة إلى جريدة الأمة (1933-1938م) التي عالج من خلالها القضية التونسية من أهم مقالاته فيها نجد "تونس تعانق شقيقتها الجزائر" و"تكريم الأستاذ أبا اليقضان بتونس" وغيرها[4].

أما الشيخ أحمد توفيق المدني[5] فقد عرف بتعدد نشاطه وغزارته ما بين 1920-1935م خاصة مع علاقاته المتميزة مع رجال الصحافة التونسيين وعضويته في الحزب الدستوري التونسي شمل

---

[1]- مولود عويمر، الشيخ محمد السعيد الزاهري في عالم الصحافة، البصائر، العدد 574، الاثنين 12-18، ذو الحجة 1432هـ/20 نوفمبر، ص 16.

[2]- محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، ج1، المصدر السابق، ص 14.

[3]- **إبراهيم بن الحاج عيسى أبو اليقظان**: (1899-1984) ولد بتونس من عائلة جزائرية أصلية هاجرت إلى البلاد التونسية منذ 1870م، درس بالزيتونة وشارك بشكل فاعل في تأسيس الحزب الدستوري التونسي عام 1920م وقد تقلد منصب الأمانة العامة به وقد معرضه نضاله إلى السجن ثم النفي إلى الوطن الأم –الجزائر–عام 1925م عرف بمقالاته السياسية المتنوعة وبحماسته الخلاقة الإسلامية ومناهضة الاحتلال الفرنسي من أبرز مؤلفاته (حياة كفاح) في ثلاثة أجزاء منذ 1975م وهذه هي الجزائر ... أشرف على مركز البحوث والدراسات التاريخية بالجزائر.

[4]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص ص 70-74.

[5]- **أحمد توفيق المدني**: (1883-1973) ولد بالقرارة بوادي ميزاب، درس بالزيتونة بداية من سنة 1912م عرف بأنه الوطني والصحفي على الخصوص، أصدر 8 صحف ما بين 1926-1939م، كما كانت له مساهمات كثيرة في الصحف التونسية بمقالاته الوطنية والحماسية.

نشاطه معظم الصحف والجرائد في تونس، في مختلف ألوان والفنون على أعمدة مجلة "الفجر 1920م، مجلة "العرب" 1920م، ومجلة "تقويم المنصور" 1923م، لصاحبها توفيق المدني بالإضافة إلى صحف الوزير، النديم، الأمة، العصر الجديد، الإتحاد، الإدارة وغيرها.

لقد بدأ أحمد توفيق المدني حياته الصحفية عام 1914م بمراسلة جريدة الفاروق[1] وعمره خمسة عشر شنة، كما تولى رئاسة جريدة الزهرة عام 1924م.

ويذكر عمر بن قفصية أن الوطنية كانت بحاجة لمقالات المدني الملتهبة، فاتخذ من الفجر والأمة والاتحاد والعصر الجديد والصواب وإفريقيا منا بر يصب جم غضبه على الإدارة الفرنسية وأعوانها المتخاذلين فتجاوزت شهرته الوطن الأصغر إلى العالمين العربي والإسلامي[2].

ووصفه الفاضل بن عاشور بأنه من أبرز الكتاب الإعلاميين قائلا: ونستطيع أن نحضر البارزين الممتازين في هذا النوع من الكتابة الإعلامية في الستة وهم "سليمان الجادوى" و"محمد بن الحسين" و"أحمد توفيق المدني" و"محمد المنصف المنيستيري" و"مجد محي الدين القليبي" و"محمد المهدي بن الناصر"[3].

وعلى الرغم من أن توفيق المدني لم يتحمل مسؤولية إدارة صحف، ولم يتحصل على امتياز إصدارها، إلا أنه فرض نفسه على الساحة الصحفية وتواجدت مقالاته في أغلب الصحف التونسية والجزائرية.

وإذا توقفنا عند عبد الرحمان اليعلاوي فإنه واحد مكن قائمة أقطاب الصحافة الطويلة التي ساهمت وأبدعت في الصحف التونسية خلال القرن العشرين الذي كان تكوينه والتزامه السياسي قد جعله أنشط الصحفيين، فقد ساهم بمعية محي الدين القليبي والمنصف المنسيتيري والطاهر الحداد

[1]- **الفاروق**: جريدة جزائرية لصاحبها عمر بن قدور، صدرت بالجزائر وتوقفت سنة 1915م، ثم ظهرت سلسلة ثانية في 25 محرم 1339هـ/18 أكتوبر 1920م، وتوقفت يوم 7 رجب 1339هـ/18 مارس 1921م، أنظر: محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910-1954م)، ص 24.

[2]- عمر بن قفصية، المرجع السابق، ص 127.

[3]- محمد فاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 175.

وعثمان الكعاك في إعداد تقرير عن وضع الصحافة ثم تقديمه إلى اللجنة التنفيذية للجزب الدستوري في اجتماعه سنة 1923م كما له مقالات عدة[1].

وقد كتب عبد الرحمان العديد من المقالات باسمه أحيانا وبأسماء مستعارة تارة أخرى منها عماد، ابن عياد، الكاتب المتجول، الصريح، وقد نشرت مقالاته المتنوعة في الصحف التالية: لسان الشعب 43 مقالا، جحا 11 مقالا، الأمة، مرشد الأمة، المبشر، النديم، الممثل وإفريقيا[2].

وكان لمفدي زكريا[3] مبادرة صحفية حين أسس جمعية "الوفاق الأدبية" مع زميله الشاعر رمضان حمود والتي أصدرت صحيفة "الوفاق" في تونس 1925-1930م، كان مراسلا وفيا لعدد كبير من الصحف والمجلات التونسية بأسماء مستعارة وتميزت كلها بالطابع الثوري ولغة صافية مباشرة[4].

إن مرحلة منتصف العشرينات هي مرحلة حافلة ونشطة حيث برزت طلائع الجزائريين المقيمين بتونس بروزا واضحا وساهمت بشكل واضح في الصحافة التونسية ويفسر الباحثون ذلك إلى وجود انفراج سياسي وإصلاحي الذي ميز تونس خلال هذه المرحلة وما يلاحظ هنا هو تعدد المشاركات الجزائرية وتنوعها وارتباط أصحابها بصحف معينة، إذ كثير ما لاحظنا اقتصار الكاتب الجزائري على التحرير في جريدة واحدة دون غيرها نظرا لارتباط الكاتب بأحد محرري الجريدة مثل علاقة الصداقة التي كانت بين حمزة بوكوشة[5] (1907-1994م) ومحمود بورقيبة في جريدة "الوزير" الركن الأدبي، ومحمد السعيد الزاهري (1899-1956م) مع جريدة "العصر الجديد"، والظاهر أن الكتاب

---

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج2، المرجع السابق، ص 1332.

[2]- محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 110.

[3]- **مفدي زكريا**: (1913-1978م) ولقد بغرداية (بني يرقن)، درس بها دراسته الأولى ثم انتقل إلى تونس للدراسة بالزيتونة، يعتبر من ألمع شعراء الجزائر والطن العربي، وهو الذي جمع بين النضال والشعر حيث تعرض إلى السجن.

[4]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج2، المرجع السابق، ص 1333.

[5]- **حمزة بوكوشة**: اسمه الكامل حمزة شنوف (المدعو بوكوشة) ولد بوادي سوف عام 1907م درس في بداية حياته بمدينة بسكرة، وفي سن 17 سنة انتقل إلى تونس وتخرج من جامع الزيتونة عام 1930م بشهادة التطويع، نشر العديد من المقالات في جريدة الوزير التونسية، ساهم بجريدة "الشهاب" وجريدة "البصائر"، عمل بسلك التعليم والقضاء، -ثانوية عقبة-العاصمة، توفي يوم الجمعة 14 جمادى الثاني 1415هـ الموافق لـ 16 نوفمبر 1994 عن عمر قارب 87 سنة.

الجزائريين برغم انتماءاتهم إلى تونس عقلا وجسدا إلا أن كتاباتهم كانت مشدودة إلى الأوضاع ببلادهم[1].

وكذلك ساهم كثير من الطلبة الجزائريين من جامع الزيتونة ثم في جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين في كتابة مقالات وتغطيات لصالح الجرائد التونسية هناك[2]، ويكفي أن نذكر من أبناء الزيبان فرحات الدراجي (1906-1951م)، أحمد بن ذياب القنطري (1914-؟)، محمد الهادي التونسي الزاهري (1902-1969م)، زهير الزاهري (1908-1999م)، المولود الزريبي (1897-1925م)، عبد اللطيف سلطاني (1902-1984م)، محمد العيد آل خليفة (1904-1979م)، على المغربي (1915-1999م)، محمد خير الدين (1902-1993م)، نعيم النعيمي (1909-1973م)، عبد الحفيظ بن الهاشمي، الشريف بن عبد الحفيظ البسكري، والأخضري عبد العالي (1907-1959م) ...[3].

وضمن سياق المساهمة الجزائرية في الحياة الصحفية التونسية[4] امتدت أقلام الجزائريين بتونس لكي تنشغل بالقضايا العربية العامة مثلما حدث في ليبيا عام 1911م حينما غزاها الإيطاليون فقد كتب الهاشمي المكي الجزائري في جريدة "أبو قشة" الهزلية قائلا: "... أيها الناس ويعني بذلك أهل تونس- لست أتيكم بشيء تجهلونه ولا أمر خطير لا تعلمونه ... يا قوم نمنا السنين الطوال حتى تخذر جسمنا وأنهكت قونا وبقينا صائلين نئن تحت وطأة القوة الضاغطة علينا، فهل من نهضة لمعالجة ضعفنا، هل من حمية، هل من شهامة، تدفع الناس لإعلاء كلمتهم وارتفاع صوتهم بين الأمم التي أصبحت تسوم الملايين من إخوانهم سوء العذاب ..."[5].

إن المساهمة الإعلامية الجزائرية في الصحافة التونسية ذات البعد الوطني خلال فترة ما بين الحربين قد ساعدت على تحقيق جملة من المعطيات أهمها: تنشيط الحياة الإعلامية والسياسية

[1]- بشير مديني، المرجع السابق، ص 92.

[2]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري، ج2، المصدر السابق، ص 1235.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص ص 07-08.

[4]- أنظر الملحق رقم (10).

[5]- بشير مديني، المرجع السابق، ص 89.

والاجتماعية في تونس بالخصوص، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الإعلام الجزائري في تونس خلال فترة ما بين الحربين كان قد وضع أرضية ملائمة وجادة لأعلام أكثر تنظيما وتدقيقا لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية نظرا لعمليات التضييق التي مارستها فرنسا ضد هذا الأعلام من حل ومصادرة، إذ تطورت المساهمات الفكرية والإعلامية بإطراد عقب الحرب العالمية الثانية وعرف الإعلام الجزائري في تونس نقلة نوعية بعد تضاعف البعثات العلمية الجزائرية إلى تونس وهو ما زاد في تنشيط الحياة الثقافية بها عامة والصحفية خاصة.

وفي الأخير نشير إلى أن الإعلاميين الجزائريين المؤمنين بقضايا الوطن ساهموا في دفع المشهد الإعلامي في تونس التي ساهمت بدورها في بروز هذه الأقلام الجزائرية المناضلة.

ب–المساهمة في الجانب العلمي والأدبي:

إن الفكر والأدب الجزائر في المهجر أي في تونس قد تأثر كثيرا بالأدب التونسي وهو قول صحيح، لكن التوقف عند هذه النقطة بحسب هو توقف خاطئ ذلك أن الأدب الجزائري والشعر والكتابات الجزائرية في عمومها قد أثرت في الأدب التونسي بشكل لافت للانتباه ويشهد على ذلك الكثير من الأدباء التونسيون الذين نبهوا إلى الدور الذي قام به أدباء وشعراء ومثقفو الجزائر في مسار النهضة الثقافية في تونس، ومن هنا نشير إلى بعض من هؤلاء الذين وضعوا حجر الأساس لهذه الثقافة الفكرية العلمية.

وإن علاقة النخبة الجزائرية بالحياة الفكرية والأدبية في تونس ليست حديثة بل كانت منذ القرن 19م و20م قدر لهذه العلاقة أن تساهم في المجال الفكري والاجتماعي والسياسي بتونس وأن تترك بصماتها واضحة في المجالات المذكورة وقد أنجبت الجزائر خلال هذه المرحلة خيرة من العلماء والأدباء والشعراء والتي قدر لها أن تكون همزة وصل بين الجزائر وتونس.

وفي هذا الصدد سنحاول أن نتعرض لنفر من العلماء والمثقفين الجزائريين الذين ساهموا في الحياة العلمية والأدبية في تونس منذ نهاية ق 19م، منهم:

-**الشيخ محمد العربي الشريف الجزائري:** من العلماء والمشايخ الجزائريين الذين ساهموا في الحياة العلمية في تونس، كان أحد الخمسة عشر عالما من المالكية الذين باشروا التدريس بجامع الزيتونة الأعظم، كما نجد حفيده "الشيخ صالح الشريف المولود سنة 1885م، من كبار علماء الزيتونة ثم تتبعه ولده "الشيخ محمد المختار" والد "الشيخ صالح بن الفضيل" الذي كان من أفضل الفقهاء العدول المرموقين في الحضارة وخاصة في الجنوب التونسي، كما نجد "صالح بن الفضل" الذي عين بوظيفة دينية في مدينة الكاف بعد تخرجه من الزيتونة عام 1898م وعرف بمكانته العلمية المرموقة في البلدة حتى انتقلت شهرته إلى الولايات المجاورة فجاءه طلاب العلم ليحبوا عنده المنهل العذب من مختلف العلوم الإسلامية[1].

وأيضا من العلماء "الشيخ محمد الطيب التبسي"(1873-1956م)، درس على يده مبارك الميلي ومحمد السعيد الزاهري، ومحمد الهادي السنوسي، سنوات 1914-1919م)، عمل قاضيا بأمر ملكي صادر في 1919م، إلى أن عاد إلى بلدته تبسة حيث عمل بالتدريس والإمامة والفتوى بمسجد الكويف، عرف بعلاقاته الجيدة مع العلماء التونسيين حيث عرفوه من خلال تكوينه الروحي ولا تناسبه الصوفية الرحمانية، كان ينادي بإصلاح الجانب الروحي والنفسي للإنسان، ألف كتابين وطبعهما بتونس سنة 1913م وهما "شرح منظومة العوام في التوحيد" و"تلخيص ولادة النبي صل الله عليه وسلم وحياته ومماته"، كما أصدر عدة فتاوى انعكست إيجابا على الحراك الثقافي والاجتماعي داخل الأوساط التونسية[2].

وهناك أيضا "الشيخ عبد السلام السلطاني (1898-1958م) تقلد مناصبا علمية ودرس بالجامع الأعظم وكلف بإلقاء الدروس في مبادئ النحو والحديث بمدرسة تابعة للجامع ومن الشيوخ المدرسين في الخلدونية الأستاذ "الطاهر بن صالح الزواوي" الذي درس اللغة الفرنسية وتتلمذ على يده

[1]- محمد الفاضل بن عاشور، الشيخ صالح الشريف، المجلة الزيتونية، المجلد 8، الجزء 2، أفريل 1952م، ص ص 75-78.

[2]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص ص 1388-1889.

أبو اليقطان، أما الشيخ "إدريس الشريف الجزائري"[1] الذي اشتغل مصححا بالمطبعة الرسمية بتونس ودرس بالجامع "الكبير" وجامع "ابن عبد الرحمن" ببنزت حيث استفاد منه خيرة شباب تونس[2].

كما عمل الشيخ إدريس الشريف مفتيا أولا بها، فدعا إلى الحفاظ على اللغة العربية بفتح مدارس قرآنية لها فقد عاش الشيخ إدريس في فترة (1866–1936م) عرفت فيها البلاد التونسية ضعف حكم البايات وزاد فيها النفوذ الفرنسي بمقتضى القوانين الجائرة والأحداث الخطيرة فناصر كلا من "النديم" و"الزهرة" ولسان الشعب بهدف محاربة ثقافة التفسخ والانحلال[3].

كما ساهم في التدريس بجامع الزيتونة لمدة سبع سنوات، وفي سنة 1920م عاد إلى بنزرت فواصل نشاطه التعليمي فانجذب إليه شباب بنزت، وأسندت إليه إمامتي الخميس والجمعة سنة 1921م، واستمر في نشاطه الثقافي الفكري إلى أن فارق الحياة في نوفمبر 1936م ببنـزرت التي كان بها يوما مشهودا بجنازته، فقد عايش أحداث عصره وتفاعل معها وتتبع حركة أمته فتأثر بوقائع جيله، وترك أثره فيه بنشاطه المتعدد[4].

لقد كانت مساهمة الثعالبي في نشر التعليم والثقافة العربيين كبيرة، وفتح المدارس والكتاتيب، وعمل على تطوير المدرسة الصادقية وإصلاح التعليم بجامع الزيتونة، كما كان لعبد العزيز الثعالبي إسهامات أدبية من خلال مؤلفاته التي أصدرها وهي روح التحرر في القرآن وتونس الشهيدة ومعجزة رسول الله ومن أثاره المخطوطة تاريخ الهند والرحلة اليمنية وتاريخ الدولة الأموية، إلى جانب "محمد بن عيسى" الذي كان كاتبا ورعا ومتدينا أثرى الساحة الأدبية التونسية بعدد وافر من الكتب في شتى أنواع الفنون والعلوم وكلها طبعت بتونس[5].

---

[1]– **الشريف إدريس بن محفوظ**: (1866–1936م) من أصول جزائرية من أبرز أعلام الفكر والإصلاح ببنزرت، وقد وفدت عائلته التي يتصل نسبها بالبيت النبوي من بلدة دلس بالجزائر واستقرت بنزرت، التحق في طفولته بالكتاب على عدة مشايخ أغلبهم من أصول جزائرية أمثال محمد بن مالك الشريف الزواوي ومحمد بن الحاج أحمد الشريف المقراني، وأحمد بن يوسف المليانى.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 491.

[3]– رشيد الذوادي، أعلام بنزرت، دار الغرب العربي، تونس، 1971، ص 55.

[4]– المرجع نفسه، ص 56.

[5]– حمادي الساحلي، فصول في تاريخ الحضارة، المرجع السابق، ص 291.

لقد استمر العمل الإستنهاضي متواصلا منذ مطلع ق 20م، بظهور هؤلاء الذي جاؤوا للدراسة في جامع الزيتونة لم يتوقفوا عند هذا الحد بل كان يغريهم الوسط الأدبي والثقافي بالمساهمة في النشاط الفكري فيكتبون مقالات وقصائد ويشاركون بفعاليه في الحياة الثقافية والأدبية وهؤلاء هم الذين أصبحوا لاحقا يشاركون في الحياة الأدبية بالجزائر، ومن أمثال هؤلاء الأدباء:

"محمد الخضر حسين" كاتب وشاعر له مؤلفات عديدة أهمها "محمد رسول الله" و"رسائل الإصلاح" و"أدب الحرب في الإسلام" و"القياس في اللغة العربية" و"تونس جامع الزيتونة" و"الخيال الشعري العربي" و"رسالة الدعوة إلى الإصلاح"، كما كان ينظم الشعر في بعض المناسبات كتهنئة شيوخه عند إتمام دراسة بعض الكتب، له ديوان "خواطر الحياة"، كما رد على بعض المفكرين العلمانيين فكتب مؤلفاً في نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ علي عبد الرزاق" و"نقض كتاب في الشعر الجاهلي" ردا على الدكتور طه حسين وكان كتابه أطول ما ألف في الرد على طه حسين إذ يقرب من أربعمائة صفحة[1].

ومن نشاط الجزائريين بتونس في الحركة الأدبية في جوانبها الشعرية والنثرية والفنية نجد الشيخ المكي بن عزوز الذي أشير بأن له ديوان شعري بلغ ثلاثة ألاف بيت، وكان من الشخصيات التي تركت أثارها الواضحة في النشاط الأدبي والفكري والسياسي وهو عالم متعدد جوانب المعرفة[2].

و"محمد المكي بن حسين" (1883-1963م) أخ محمد الخضر حسين هو أديب وشاعر له قصيدة مفاخر النفس" وكذلك "زين العابدين بن الشيخ الحسين" له قصيدة "زكاة الجاة" و"الكلية الزيتونية"، وزين العابدين بن الشيخ الحسين الأخ الثاني لمحمد الخضر حسين، كانت له مؤلفات نشرها ابنه من بعده وهي: "المعجم المدرسي" و"المعجم في النحو والصرف الأربعون الميدانية" و"الطرق" و"آداب المؤمن" و"الإملاء العربي"[3].

---

[1]- مولود عويمر، الشيخ محمد الخضر حسين في مسار التواصل بين المشرق والغرب، المجلة الخلدونية، العدد 8، ديسمبر 2010، ص 90.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المرجع السابق، ص 221.

[3]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص 1349.

أما ابن باديس الذي قضى أربع سنوات دراسية (1908-1912م) بجامع الزيتونة، اشتغل خلالها مدرسا في السنة الأخيرة، تعمقت خلالها علاقاته بالشيخين النخلي والقيرواني، ومحمد الطاهر بن عاشور الذي كان بينهما اختلاف في الرأي قائلا: "إنني امرؤ جبلت على حب شيوخي واحترامهم، ولكن ماذا أصنع إذا ابتليت ... في الدفاع عن الحق ونصرته"[1]، والقضايا التي كان النقاش حولها، قراءة القرآن على الأموات وقضية التجنيس وغيرها، وأخذ ابن باديس يرد على شيخ الطاهر بن عاشور في سلسة من المقالات على أفكاره بشيء من الحدة والجرأة، ويرى بأن دخوله سلك القضاء كان له تأثيره[2]، والحقيقة أن الخلاف بينهما يعود أساسا إلى الاختلاف في الأوضاع السياسية والاجتماعية التي طبعت تفكير كل منهما وما نتج عنها من رؤية في الإصلاح.

ومن دعاة التأكيد على أهمية التعليم نجد الشريف التيجاني الجزائري الذي حث الأهالي بتونس على إنشاء المدارس مقارنة بالأمة المصرية من خلال مقالاته في جريدة المنصف (1907-1908م) [3].

وكان مبارك الميلي[4] من أبرز العلماء الذين تخرجوا من جامع الزيتونة، شارك مشاركة واحدة في الشعر حيث كتب أبيتا شارك بها في تشطير مقطع شعري وطني وقد كان "التشطير" أسلوبا شعريا رائجا في فترة العشرينيات ووسيلة من وسائل المنافسة الأدبية، أما بالنسبة لنشاطه الفكري فله كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" وكتاب "موجز التاريخ العام للجزائر"، ويعتبر من الأعمال الجليلة في مقاومة الاستعمار، كما بدرت الأوساط العلمية التونسية إلى تبني ما جاء في رسالته عن "الشرك ومظاهره" وفرضت تدريسها[5].

---

[1]- جريدة البصائر، الأعداد (17، 18، 19)، من 20 أفريل إلى 15 ماي 1936م.

[2]- جريدة البصائر، عدد 16، 24 أفريل 1936.

[3]- التليلي العجيلي، أضواء على حياة الشريف التيجاني، (م،ت،م)، عدد 55-56، 1939م.

[4]- **مبارك الميلي**: ولد بميلة سنة 1898م، التحق بالزيتونة وأخذ من علمائها رجع إلى الجزائر سنة 1924م، وأنشأ مع عبد الحميد بن باديس جريدة المنتقد والمطبعة الجزائرية وبعد وفاة ابن باديس بتحرير البصائر ومن أبرز أعماله تاريخ الجزائر القديم، رسالة عن الشرك ومظاهره.

[5]- محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، المصدر السابق، ص ص 47-52.

أما "محمد سعيد الزاهري" الذي يعد من شعراء الجزائر المميزين وهذا بشهادة أمير البيان "شكيب أرسلان" الذي قال عنه أنه يرى أن أركان الأدب في الجزائر في ذلك الوقت أربعة: محمد السعيد الزاهري، وعبد الحميد بن باديس، والطيب العقبي، ومبارك الميلي، إلا أن السعيد الزاهري كتب إلى شكيب أرسلان ردا بين فيه أن الجزائر مجموعة أخرى من نوابغ الأدب والشعر وقد ذكرهم له بأسمائهم، عرف شعره بأنه موظفا لغاية أساسية وهي غاية إصلاحية، عرف بحبه للوطن ومحاربة البدع والخرافات التي انتشرت في البلاد، له قصائد عديدة منها "أنين الجزائر" التي نشرها سنة 1923م، وقصيدة "ليتني ما قرأت حرفا"، إضافة إلى كتابته للشعر كان يكتب القصة والمقال الإصلاحي وبعض المواضيع القومية، ترك عدد من الكتب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" و"حاضرة تلمسان" و"بين التخيل والرمال" و"حديث خرافة" و"شؤون وشحون"[1].

ومن الكتاب الجزائريين الذين برزوا في تونس وساهموا بشكل كبير في ثقافتهم وعلوها وهو أبو اليقضان الذي أسهم بكتاب "إرشاد الحائرين" الذي تضمن موضوعات اجتماعية وأدبية وعرف بشعره، فنجد ديوانه المطبوع بجزأين سنة 1931م، ويعد أول ديوان تصدره الحركة الإصلاحية في الجزائر، أزر حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس الإصلاحية في سنة 1925م بمقالته وقصائده[2]، قال الشيخ عبد الحميد بن باديس عن شعره يوم أهداه ديوانه سنة 1931م: "لقد كان ديوانا يشهد لصاحبه الجليل بالمقدرة الفائقة والاضطلاع بفنون الشعر وقوة العارضة ... ذلك لأنه لا يتضمن الشعر ولا يقوله رضوخا للظروف أو حبا في القول كي لا تمضى حادثة لا يكون له فيها كما هو دَيْن كثير من الشعراء بل أنت تدرك من تصفح الديوان بأن الشاعر يقول الشعر عن تأثر حقيقي وعن شعور لا تشوبه شائبة الرياء ..."[3].

وقد سار على هذا المسار أحمد توفيق المدني ذلك الجزائري الأصيل وليد تونس، تجلى بكتاباته الوطنية المزعجة لسلطات الاحتلال في تونس بالخصوص وهو ما كلفه النفي إلى وطنه الجزائر هذا

[1]- صالح خرفي، شعراء من الجزائر، ج1، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969م، ص ص 30-31.
[2]- محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984م، ص ص 51-52.
[3]- المرجع نفسه، ص ص 98-99.

النفي الذي رحب به كثيرا أحمد توفيق المدني خاصة وأنه سيعود أخيرا إلى أرض الأجداد الذين نفيوا منها.

ومن مؤلفاته "تقويم المنصور" وهو كتاب يشتمل على أبواب شتى في العلوم والفنون والآداب والسياسة طبع بتونس سنة 1922م ثم ابتعه بتقاويم أخرى سنة 1923م-1924م-1925م، والجزء الرابع صدر بالجزائر سنة 1926م، كما ألف "تونس وجمعية الأمم" وهي رسالة طبعت بمطبعة العرب بتونس سنة 1924م، نادى فيها بوجوب انسحاب فرنسا من تونس، زيادة على ذلك ألف "الحركي ثمرة الجهاد" طبع بتونس 1924م، و"قرطاجنة في أربعة عصور"، طبع سنة 1927م وكتاب "حياة كفاح" في جزئين[1].

ومن أدباء هذه الفترة محمد الهادي السنوسي الزاهري[2] 1902-1963م الذي ساهم بكتابة "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" ونجد أيضا "الصادق البشير بن الرزقي" الذي ترك مؤلفات كثيرة منها "الأمثال التونسية" و"تهذيب روايات القباني" و"الساحرة التونسية" و"عنترة" وغيرها[3]، كما كانت بداية "محمد العيد آل الخليفة"[4]، في ميدان الشعر بقصيدة "أحزم الناس" أرسلها إلى جريدة العصر الجديد سنة 1921م، وقصيدة "إحياء الأدب"، تميز شعره بحنينه للحرية والعدالة الاجتماعية[5].

وفي الشعر برز مفدي زكريا الذي تعلق شوقه بوحدة المغرب العربي ومصيره فانطلق في نشاطه الشعري من تونس وعمره لا يتجاوز الإثني عشر سنة، فشعره كان بمثابة سجل حافل بالأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية بتونس، وكانت الصحافة التونسية مجالا مشجعا لنشر قصائده، والبيئة

[1]- محمد محفوظ، ج2، المرجع السابق، ص 286.

[2]- **محمد الهادي السنوسي الزاهري**: ولد نبقرية ليانة سنة 1902 شاعر وأديب تحصل على شهادة التحصيل بتونس عمل بالإذاعة الجزائرية له عديد المؤلفات منها شعراء الجزائر في جزئين، وأناشيد مدرسية وروايات تمثيلية، توفي سنة 1969م.

[3]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة (1900-1956م)، ج2، المرجع السابق، ص 1354.

[4]- **محمد العيد آل الخليفة**: ولد في عين البيضاء سنة 1904م درس في جامع الزيتونة سنة 1922م، أصدر مع العمودي جريدة صدى الصحراء ومع العقبي جريدة الإصلاح، أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، له ديوان شعر وملحمة شعرية توفي سنة 1979م.

[5]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة،ج2، المرجع السابق، ص 1357.

الثقافية والاجتماعية بتونس طريقا قويا إلى الإبداع، ومنبر الحزب الحر الدستوري كان ينشد قصائده العديدة[1]، وعلى منواله أنور اليقضان الزاهري والأخضر السائحي، ومحمد آل الخليفة.

ومن أبرز النشطاء في الحركة الأدبية الشعرية بتونس كان الهادي المدني شقيق توفيق المدني الذي وصف شعره زين العابدين السنوسي بأن "قصائده للحركة السياسية بتونس بمثابة معاول هدامة على المستعمر وأذنابه"، فكان من شعراء الانقلاب بدعوته إلى نشر ثقافة النهضة التونسية وتحذيره من ثقافة التقاعس والاتكال[2].

كما يمكننا إضافة شخصيات جزائرية أخرى ساهمت بشكل واضح في الحياة الفكرية والأدبية التونسية من خلال مؤلفاتهم أمثال: محمد العيد الجباري، محمد العريبي، عمر راسم، عمر بن قدور، حمزة بوكوشة، الرزكاشي، محمود دويدة، رمضان حمود، عبد المجيد الشافعي، عبد الله الركيبي، محمد الأمين العمودي ... الخ.

إن هذا السجال وهذا الزخم من الكتابات الجزائرية في العديد من مراحل تونس تثبت وتبين أن الأدب الجزائري ساهم بشكل واضح في الأدب والثقافة التونسية.

ومن المسائل التي ساهم فيها الأدباء والشعراء الجزائريون في تونس وبشكل جلي تلك المسابقات والدوريات الأدبية والشعرية الوطنية التي ثار فيها أدباء الجزائر في الصحافة التونسية وهذا للتعريف بالقضية الجزائرية من جهة ومن جهة أخرى لتنشيط الأدب والصحافة في تونس، فقد اتخذ التعريف بالكيان الجزائري وبالحالة التي كان عليها الوضع المزري يشكل المسابقات والمناظرات والمساجلات في بعض الأحيان لإشراك أكبر عدد ممكن من الشعراء والأدباء في تونس، وضمن هذا المضمار اقترحت جريدة النهضة التونسية في شهر ديسمبر 1923م بيتين من شعر محمد السعيد الزاهري والإعلان بواسطة لجنة من أحسن التشاطير، فكان الإقبال على هذه المسابقات من طرف الجزائريين في تونس أو الجزائر إقبالا كبيرا حيث أجاب عن هذا الاقتراح أهم الشعراء آنذاك من داخل الجزائر ومن المقيمين في تونس أمثال: مبارك بن محمد الميلي الزيتوني، ومحمد صالح التبسي، والشرفي

[1]– محمد ناصر، المغرب العربي الكبير في شعر مفدي زكريا، الحياة الثقافية، ع:32 (ع.خ)، تونس، 1984م، ص 26.

[2]– خير الدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، ج2، المرجع السابق، ص 1361.

بن عبد الحفيظ البسكري، عبد الله بن مبروك الطولقي، وزموشي السعيد بن محمد السطايفي ... وغريهم، وقد تنافس هؤلاء الأدباء والشعراء على بيتين للزهراوي وهما[1]:

إلام بـني قطـر الجزائـر لا نلـوي عـذرا إلى مـا يكسـب العـز والفضـلا

مـتى نتحـامى الجهـل نبغـي معارفـا فشيـن علـى ذي اللّـب أن يألـف

إذ شجعت الصحف التونسية هذا اللون من الأدب وساهمت الأقلام الجزائرية بشكل كبير في هذا النوع من الكتابة[2].

ومن باب تنشيط الحركة الثقافية والأدبية التونسية قامت النخب الجزائرية بعدة رحلات علمية وأدبية إلى تونس نذكر منها: رحلتان الأولى في أواسط العشرينات من القرن العشرين والثانية في أواسط الثلاثينات منه.

وفي سنة 1925م قام محي الدين باش تارزي وفرقته المسرحية إلى تونس وقدموا عرضا تمثيلي واحدا على خشبة المسرح البلدي بتونس، مبيد أن هذه الفرقة المبتدئة لم تصادف إلا الفشل ذلك أن تونس نفسها لم يكن لها مسرح متطور، كما أن فرقة محي الدين باش تارزي لم تكن من النضج والكفاءة الفنية ما جعلها تنال الشهرة قبل الحلول بتونس[3].

وفي سنة 1938م قام الشيخ الطيب المهاجي برحلة إلى تونس والتي بدأ الناس من أول وهلة أن أثارها قليلة، هذه الرحلة استغرقت أسبوعا وقد أتيح للمهاجي أن يتصل في بجل علمائها الزيتونيين والخلدونيين وبعضا من الصادقين، وحضر المهاجي صدفة عقد امتحانات المتطوعين بجامع الزيتونة لينظموا إلى سلك المدرسين ودارت بينه وبين لجنة الإشراف عدة مناقشات نال منها اعترافهم به وقد شهد وأقر بذلك عدة شيوخ من الزيتونة مثل: الشيخ بيرم، والشيخ الصادق النيفر، كما ألقى المهاجي محاضرة توجيهية عامة بالمدرسة الخلدونية، فهذه الرحلة وإن كانت في حد ذاتها قصيرة إلا أنها تمثل وتجسد مظهرا فكريا تميز به الجزائريون ونعني به الزيارات والرحلات العلمية والفكرية التي كانوا يقومون

[1]- جريدة النهضة، 10 جانفي 1924.

[2]- جريدة النهضة، 12 جانفي 1924.

[3] -Mhieddine Bachtarzi, Mémoires, Alger, SNED, 1968, P 60.

بها إلى تونس لتلقي آخر المستجدات من الأفكار والعلوم والتنظيمات لربط العلاقة الفكرية والعلمية بعلمائها وشيوخها[1]، ذلك أن المهاجي نفسه لم يخف نيته من هذه الرحلة وهو أنه أراد أن يبدي إعجابه بالنظام الدقيق الذي كانت عليه معاهد ومدارس تونس في تلك الفترة فحاول أن ينسج على منوالها نظاما تعليميا مشابها لها في وهران من خلال مدرسة حرة.

وهكذا نرى أن الأدب الجزائري والشعر الجزائري في تونس كانا رافدين مهميّن في الحياة الأدبية والفكرية بتونس حيث نشطت هذه الحياة بشكل جلي في فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي وبرزت فيه العديد من الشخصيات الفاعلة التي كان نشاطها العلمي والأدبي في تونس يهدف إلى تأصيل الوجود الجزائري وارتباطه بقضايا الأمة العربية والإسهام في معالجة الوحدة متجاوبا مع الأحداث القريبة والبعيدة.

[1]– عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 32–33.

IV– إسهامات المثقفين التونسيين في الجزائر:

في الوقت الذي لاحظنا فيه ومما سبقت الإشارة إليه بأن العديد من الطلبة والعلماء الجزائريين توافدوا على تونس ورحلوا إليها لطلب العلم بها، بالمقابل فإن القليل من علماء تونس قد زاروا الجزائر خلال الفترة الاستعمارية خاصة خلال الفترة التي هي محل البحث والدراسة أي ما بين 1875–1939م ومرد ذلك يعود إلى:

– أن تونس تزخر بمراكز علمية وفي مقدمتها جامع الزيتونة مما جعلهم في غنى عن غيرها، باعتباره –جامع الزيتونة– أحد أقدم المعاهد التعليمية يناضره إلا الأزهر وجامع القروين، إذ تمكن من حمل لواء الثقافة القومية ما لا يقل عن 12 قرنا من الزمن مشكلا بذلك جسرا للتواصل الثقافي بين الجزائر وتونس[1].

– لكون تونس عرفت في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين جوا علميا وسياسيا وأدبيا لا يوجد مثيل له في بلاد المغرب العربي[2]، ونظرا لما كانت تزخر به في أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد رفع الحصار عن الصحافة سنة 1920م من نشاط فكري وديني وسياسي[3].

– لأن الجزائريين وجدوا في جامع الزيتونة موردا عذبا في الوقت الذي افتقدوا فيه إلى معلم حضاري مثله ببلادهم[4].

– نظرا لطبيعة السياسة الاستعمارية في الجزائر والتي لم تترك مجالا لأحد من الجزائريين أن يفتح معهدا للعربية أو الدين إلا وأغلقها[5].

---

[1]– الطاهر بن عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، المرجع السابق، ص 104.

[2]– محمد دبوز، المرجع السابق، ص 16.

[3]– محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ص 15.

[4]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص 491.

[5]– محمد دبوز، المرجع السابق، ص 16.

وبالتالي فإن الوضع الثقافي المتردي في الجزائر جراء الاستعمار الفرنسي عكس تونس التي شكلت نتيجة المعطيات السالفة الذكر بيئة جاذبة والملاذ أو الموطن الثاني الذي قصدته جموع طالبي العلم[1].

لكن ذلك لم يمنع من أن هناك علماء ومثقفين تونسيين طرقوا أبواب الجزائر ويمكن الإشارة إلى ذلك من خلال:

- **الرحلات والزيارات:**

– زيارة الشيخ بيرم الخامس (1840–1889م):

كان من علماء جامع الزيتونة، ورحالة ومؤرخ وكاتب صحفي وإصلاحي تونسي، يعد مساهما في الحركة الإصلاحية في القرن التاسع عشر زار الجزائر سنة 1878م، وقد سبق له زيارتها أكثر من مرة ولكنه لم يتعمق في أجوائها، أرخ لهذه الزيارة في مصنفه "صفوة الاعتبار بمشروع الأمصار والأقطار"، تعرف خلال زيارته على: "أحمد بوقدورة، وعلي بن الحاج موسى، وعلي بن الحفاف، وقدور الشريف"، عرف بنقده للحكم الفرنسي وطبيعة سياسته لاسيما في مجالي القضاء والتعليم وله نظرات دقيقة في المجتمع[2].

– رحلة العلامة الشيخ محمد الخضر حسين (1876–1958م):

من المصلحين والمجددين جزائري الأصل تونسي المولد والنشأة مصري الجنسية كانت رحلته إلى الجزائر سنة 1904م للإطلاع على الحالة العلمية بها: التقى بشيوخ وعلماء أمثال "محمد بوقدورة، وعبد الحليم بن سماية، محمد بن أبي شنب، عبد القادر المجاوي"، وصف حلقات العلم والتدريس التي يقوم هؤلاء الشيوخ بإلقائها، كما وصف المناظر الطبيعية لمدينة الجزائر وقد نشر ذلك في العددين الأول والثاني من مجلة "السعادة العظمى"[3].

[1]– يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات، المرجع السابق، ص 323.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص 573.

[3]– محمد صلاح الجابري، رحلات جزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص 21.

– رحلات الطيب بن عيسى (1885–1958م):

تونسي من أصل جزائري، صحفي معروف له جريدة بعنوان "الوزير" صدرت سنة 1920م، ساهم في تحرير وإصدار عدد من الصحف في كل من تونس والجزائر منها جريدة: "المشير" قام بعدة رحلات إلى الجزائر سنوات 1920م–1923م– 1926م– 1927م، زار العديد من المدن الجزائرية شرقا وغربا، تناول في رحلاته الأوضاع الاقتصادية والفكرية والحالة الفردية التي يحياها الجزائريون في ظل الاحتلال وبالتالي كان غرضه من هذه الرحلات الإطلاع على واقع الجزائر في ظل الاحتلال[1].

– رحلات أحمد حسين المهيري (؟–1968م):

من مواليد صفاقس، قام برحلة إلى الجزائر سنة 1922م هدفها الإطلاع على الأحوال العامة في الجزائر وتسجيل ملاحظات عنها نشرت بجريدته "العصر الجديد" والتي كان لها قراؤها بتونس والشرق والجنوب الجزائري كان له اتصالات بعدد من العلماء والشعراء أمثال "أحمد بن حمانة، الشيخ محمود قشوط، الأمين العمودي"، التقى بمدينة عين البيضاء بالأمير خالد وقد وصفه: "رجل شهم، ذو همة سياسية وأخلاق راقية"[2].

– رحلة محمد الفاضل بن عاشور (1909–1970م):

زار الجزائر سنة 1939م للمشاركة في مؤتمر الزوايا وألقى خطبة طويلة حاول فيها تنبيه رجال الطرق الصوفية إلى بعض ما هم فيه من ضلال بعيد[3].

- **المساهمة الأدبية:**

نجد أن "عثمان الكعاك"، من أبرز الأدباء والمثقفين التونسيين الذين كتبوا عن الجزائر، وذلك من خلال مؤلفه الموسوم بـ "بلاغة العرب في الجزائر" والذي ألفه سنة 1925م ونشره زين العابدين السنوسي في مكتبة العرب بتونس ومما قاله عن الكتاب "في اعتقادنا أن تعميم الإحساس بالتماس

[1]– محمد صلاح الجابري، رحلات جزائرية، المصدر السابق، ص ص 17– 19.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 22– 23.

[3]– عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، المرجع السابق، ص 31.

التاريخي، والوحدة اللغوية هو أضمن طريق يساويه التكافل المنشود، ريثما يتيح الزمان لهذا الشرف نفض الكابوس عنه وإعلان رغبته الصريحة في الوحدة والسلام"[1]، بحيث يشكل دوره صفحة مشرقة من صفحات التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس.

كما ذكر الأديب زين العابدين السنوسي في حفل التكريم الذي أقامته جمعية قدماء الصادقية سنة 1927م بمناسبة صدور الجزء الأول من كتاب محمد مبارك الميلي "شعراء الجزائر" قائلا: "الكتاب الذي نجتمع اليوم له، ونوادع صاحبه يحمل في كل صفحة منه على ما نقول فأكثر من ترجمهم ممن اغتدى لبان تونس..."، بل إن اجتماعنا هذا نفسه دليل على تلك الوحدة الطبيعية والرابطة الفكرية والعاطفة بين الأختين[2].

- **صدى الصحافة التونسية في الجزائر:**

شهدت الصحف التونسية بالجزائر رواجا وانتشارا مع مطلع القرن العشرين والتي كان للجزائريين إسهامات فيها مثل مجلة "السعادة العظمى" لمحمد الخضر حسين، و"الحاضرة" التي أسسها الجزائري علي بوشوشة، و"سبيل الرشاد" التي أسسها عبد العزيز الثعالبي، حيث كان لهذه الصحف التونسية وغيرها من المنشورات الوافدة على الجزائر من تونس الأثر البالغ على الحياة الثقافية والأدبية بها[3].

ولا ريب أن وفرة الصحف التونسية خلال هذه الفترة أتاح للجزائريين مواكبة حركة الإصلاح في العالم الإسلامي عامة ومن المساهمة في التعريف بالجزائر خاصة[4]، فقد كان التونسيون حريصين على مؤازرة الصحف الجزائرية ودعم أصحابها لتمكينهم من أداء دورهم الوطني والوقوف إلى جانب رجالها معاداة لسلطة الاحتلال، ومن هؤلاء الكتاب التونسيين "صالح السويسي القيرواني"، الذي كتب في معظم الجرائد الوطنية الصادرة في القرن الماضي مثل جريدة "الإصلاح"، "وادي ميزاب"،

[1]– الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر رواد الصحافة الجزائرية، ج 5، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص 44- 46.

[2]– صالح خرفي، في رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت، ص 51.

[3]– حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية في تونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص 33.

[4]– محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين، المصدر السابق، ص 80.

"صدى الصحراء"، كما نشر "جلال الدين النقاش"، قصائده في جريدة "صدى الصحراء"، خلال سنتي 1925م- 1926م[1].

ومن الكتاب التونسيين الذين ساهموا بإنتاجهم الفكري في "البصائر" "علي النيفر" الذي نشرت له خطبة القاها بمناسبة افتتاح دار الطلبة بقسنطينة سنة 1953م[2].

ومن الأقلام التونسية التي قدمت النصح والإرشادات لأصحاب الصحف الجزائرية "محي الدين القليبي"، الذي توجه إلى صاحب جريدة "وادي ميزاب" أبو اليقظان قائلا له: "... أصبحت تدير صحيفة وتحررها وتنفق عليها ... فألزم نفسك بالصبر... وإن حبي لك وإخلاصي إلى فكرتك يوحيان على أن أتقدم إليك ببعض الملحوظات هي نتائج تجاربي..."[3].

ومن خلال ما أوردناه نستنتج بأن اسهامات المثقفين الجزائريين في تونس تعددت وتنوعت، حيث أن الكثير منهم حمل لواء النهضة والتجديد على أرضها خاصة من قبل جيل نهل من جامع الزيتونة واستفاد من الإشعاع الثقافي والفكري والسياسي الذي طبع الواقع التونسي مع مطلع القرن العشرين، وبالمقابل تبقى مساهمة المثقفين التونسيين في الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر محدودة حاولت تجاوز وكسر قيود الاستعمار المفروضة آنذاك على الواقع الثقافي في الجزائر، إذ حاول التونسيون من خلال رحلاتهم إلى الجزائر الإطلاع على أصول الجزائريين وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية والفكرية والاتصال بعلمائها وتبادل وجهات النظر معهم وتجديد الصلة بهم.

[1]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري، المصدر السابق، ص ص 204- 205.

[2]- عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 60.

[3]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري، المصدر السابق، ص 205.

خلاصة الفصل:

مما سبق يتضح لنا تعدد وسائل وآليات التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ومنها الزوايا والطرق الصوفية، التي تمكنت من تأدية رسالة تربوية اجتماعية وثقافية –وهذا قبل تدجينها من قبل سلطة الاحتلال– باحتضانها لأبناء الشعبين الجزائري والتونسي، حيث كانت صاحبة السبق في الاهتمام بالتعليم ونشره بالمناطق النائية دون ان ننسى رمزيتها التاريخية بالنسبة للبلدين، لتصبح الرحلات والبعثات العلمية للطلبة الجزائريين باتجاه تونس بدءا من مطلع القرن العشرين أبرز وأهم مظاهر التواصل الثقافي بين البلدين، مما أدى إلى ظهور العديد من الأدباء والشعراء والمصلحين الجزائريين الذين استفادوا من المناخ الثقافي والفكري في تونس التي فتحت المجال أمام الجزائريين للانخراط في الأندية والأحزاب والمساهمة بأقلامهم ومقالاتهم الجريئة والمتميزة في الصحف التونسية، ليصبح التعاون الصحفي فصلا من فصول الترابط الثقافي الدائم بين الجزائر وتونس، إذ كان لمساهمة المثقفين الجزائريين المؤمنين بقضايا الوطن والأمة العربية دور في دفع المشهد الإعلامي في تونس التي ساهمت بدورها في بروز العديد من الأقلام الجزائرية التي تركت بصمة واضحة في المجال الصحفي التونسي.

كما شكلت الجمعيات والنشاط الفني منابر للتواصل ليس على مستوى القطرين فحسب، بل حتى على الصعيد المغاربي، وأسهمت في تمتين الترابط الثقافي بين الشعبين والتي عمل الاستدمار الفرنسي منذ احتلاله للبلدين على كسرها والتفريق بين المجتمعين.

خـاتمة

في الوقت الذي وقعت فيه الجزائر ضحية الاستدمار الفرنسي، استطاعت تونس الاستفادة من مشروع خير الدين الإصلاحي الذي شمل مجالات عديدة، منها المجال الثقافي والفكري، والذي سعى من خلاله إلى إبعاد تونس عن دائرة الأطماع الأجنبية، إلا أن ذلك لم يقف عائقا أمام المخطط الاستعماري الفرنسي الرامي إلى بسط نفوذه على كامل المغرب العربي وعزل شعوبه عن بعضها البعض، لكن العامل الحضاري تجاوز الحواجز التي سعت إلى إحداث قطيعة بين الشعب الجزائري ومحيطه العربي والإسلامي عامة والمغاربي خاصة، وخير دليل على ذلك استمرار التواصل الثقافي بين الشعبين الجزائري والتونسي والذي تطرقنا إلى مظاهره في بحثنا، خلال الفترة محل الدراسة وكذا إسهامات مثقفي البلدين في تفعيله، ومن النتائج التي تمكنا من استخلاصها:

- أن شكل الاستعمار اختلف في القطرين "الجزائر وتونس" بين احتلال استيطاني استهدف الأرض والإنسان، ونظام الحماية، إلا أن ذلك لم يمنعه من مصادرة الحقوق الوطنية لأبناء الشعبين الجزائري والتونسي، وتجريدهم من ممتلكاتهم وحرمانهم من حق التعلم، رغم ادعائه بأن رسالته حضارية هدفها تنوير الجزائريين والتونسيين.
- كان للزوايا والطرق الصوفية قبل أن يتم تدجين بعضها من طرف سلطات الاحتلال ويتم تحويلها إلى أمكنة للدروشة، دور في نشر التعليم العربي وتوطيد العلاقات بين الشعبين الجزائري والتونسي.
- تمكن الرعيل الأول من المثقفين الجزائريين التعبير عن رفضه للممارسات الاستعمارية ساعيا لخلق ديناميكية ثقافية وفكرية عكست التأثر بالوضع الداخلي وما كان يحدث في المشرق العربي وأوروبا إضافة إلى احتكاكه بالوافد الكولونيالي.
- مثل التعليم أبرز القضايا التي ركز عليها المصلحون والعلماء مع اتخاذ النشاط الصحفي وإنشاء الجمعيات والنوادي، وكذا النشاط المسرحي آليات للنهوض بالأمة وتفعيل التواصل الثقافي بين أبناء الشعبين للتصدي لمخطط الاستلاب الثقافي الذي استهدف الأمن الهويّاتي لكليهما.

- قدرة حاملي الشهادات من كلا البلدين من تشكيل خطر على المصالح الاستعمارية حيث حاربوا الاستدمار بأفكاره وفلسفاته الداعية لاحترام حقوق الإنسان والقانون، فاستغلوا التناقضات الموجودة بين المبادئ والممارسات على أرض الواقع والتي كان كثيرا ما يتباهى بها المستعمر الفرنسي، إذ أن تلاحم المجتمعين وتواصلهما أسهما في إفشال المخطط الاستعماري الذي كانت ممارساته أقل همجية في تونس قياسا ومقارنة بمعاناة المجتمع الجزائري الذي كان الأكثر عرضة لمختلف أساليب الاضطهاد المادي والمعنوي.
- معاناة الجزائريين من الكبت الثقافي وغلق الاستعمار أمامهم منافذ المعرفة والعلم، جعلهم يجدون في تونس ملاذا لهم فالتحقوا بالجامع العتيق "الزيتونة" للتزود بالمعارف والعلم، ليصبحوا مثقفين فاعلين في النهضة التونسية، كما كان للأقلام الجزائرية دور في فضح سياسات الاستدمار من خلال مقالات جريئة نشرتها جريدة "الحاضرة التونسية" و"العصر الجديد"، وبالتالي فإن المثقفين الجزائريين صنعوا الفارق ضمن الحراك الثقافي التونسي.
- أن التواصل الثقافي بين الشعبين الجزائري والتونسي ليس وليد ظروف سياسية آنية، بل هو موغل في أعماق التاريخ وعلى مدى العصور كرسته الوحدة الجغرافية واللغوية والصلات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، وهذا ما جعل تونس مقصدا للجزائريين الذين تعلقوا بالإشعاع الفكري المنبعث من منارات العلم في تونس، ومما عمق الشعور بالارتباط بين الشعبين رغبة الكثير من علماء تونس إيقاظ همم الجزائريين ومؤازرتهم لهم غير المشروطة لمواجهة ممارسات الاستدمار التجهيلية.
- وأخيرا فإن مسألة التواصل الثقافي بين الشعبين الجزائري والتونسي تشكل مجالا خصبا لدراسات مستقبلية لذلك يبقى التساؤل مطروحا:

كيف يمكن للأجيال الحالية استثمار هذا الإرث الثقافي المشترك لمواجهة مخاطر العولمة، واتخاذه أرضية حقيقية لبناء وحدة مغاربية فعالة؟.

الملاحق

الملحق رقم (01): مدرسة دار الحديث[1]

[1]- www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=336191351. بتاريخ 2020/06/07 على الساعة 13:51.

الملحق رقم (02): صورة عبد الحميد بن باديس[1]

[1]- http://ar.wikipedia.org/wiki بتاريخ 2020/06/07 على الساعة 13:30.

الملحق رقم (03): صورة جريدة ذو الفقار[1]

[1] – محمد ناصر، المرجع السابق، ص 95.

الملحق رقم (04): جدول أهم الصحف التي أصدرها الجزائريون (1888-1921)[1]

اسم الجريدة	مديرها	تاريخ صدورها
الحاضرة	علي بوشوشة	1305هـ-1888م
سبيل الرشاد	عبد العزيز الثعالبي	1313هـ-1895م
إظهار الحق	أحمد القبايلي	1322هـ-1904م
السعادة العظمى	الخضر بن الحسين	1322هـ-1904م
تحقيق الأمل	البشير زروق	1323هـ-1905م مجلة
القسطاس	البشير القروي	1325هـ-1907م
المنصف	محمد الشريف المنوبي التيجاني	1325هـ-1907م
التسامح	محمد الشريف المنوبي التيجاني	1325هـ-1907م
منبر العربي الفرنساوي	بطراس لاموني وعزوز بن عيسى	1325هـ-1907م
بوقشة	محمد الهاشمي المكي	1326هـ-1908م
الإسلام	محمد الهاشمي المكي	1326هـ-1908م
الثريا	بن عيسى بن الشيخ أحمد	1327هـ-1909م
جحا	بن عيسى بن الشيخ أحمد	1327هـ-1909م
التونسي	عبد العزيز الثعالبي والبشير عز الدين	1327هـ-1909م
الإتحاد الإسلامي	عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حامبة	1327هـ-1909م
جحجوح	بن عيسى بن الشيخ أحمد	1329هـ-1910م
الضحك	بن عيسى بن الشيخ أحمد	1329هـ-1910م
المشير	الطيب بن عيسى	1930هـ-1911م
صدى الساحل	عبد السلام القلي	1338هـ-1920م
الوزير	الطيب بن عيسى	1338هـ-1920م
لسان الشعب	البشير الخنقي	1339هـ-1921م
البرهان	حسن قلاتي	1340هـ-1921م

[1]- عمر بن قفسية، المرجع السابق، ص 243.

الملحق رقم (05): صورة الجامع بين الحاضر والماضي مع خريطة تصميم الجامع[1]

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، ج 1، المرجع السابق، ص 105.

الملحق رقم (06): جدول يوضح أشهر المدارس في تونس منذ 1900[1]

1.مدارس العاصمة التونسية

اسم المدرسة	عدد الغرف	النهج الذي تقع عليه
1.المدرسة الحسينية الكبرى	42	نهج سيدي الصوردي
2.مدرسة النخلة	15	نهج الكنيسة
3.المدرسة المرادية	25	نهج سوق القماش
4.مدرسة بئر لحجار	25	نهج الباشا (أخذتها وزارة المعارف وجعلتها تأديبية ثم أسكنت بها تلامذة المدرسة الصناعية)
5.المدرسة التوفيقية	42	نهج جامع الهواء
6.مدرسة المنتصرية	25	نهج الوصفان
7.المدرسة المرجانية	11	نهج المرجانية،زنقة بكار
8.المدرسة المتيشية	12	نهج بوصندل
9.المدرسة الحسينية الصغرى	10	نهج سيدي الصوردي (اخدتها وزارة المعارف وجعلتها مدرسة دينية)
10.المدرسة الشماعية	29	نهج النحال زنقة الشماعية
11.المدرسة المغربية	12	نهج تربة الباي
12.المدرسة الأندلسية	9	نهج الركال
13.المدرسة العنقية	13	نهج عنق الجمل
14.المدرسة الجاسوسية	7	نهج باش حانبة
15.مدرسة القائد مراد	8	نهج عاشور
16.المدرسة الباشية	13	نهج القشاشين
17.المدرسة السليمانية	24	نهج السليمانية

[1]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، ج 1، المرجع السابق، ص 113.

الملحق رقم (07): صورة لفريق من الصحفيين التونسيين[1]

[1]- محمد الصالح المهيدي، تاريخ الصحافة العربية وتطورها بالبلاد التونسية، دار الكتب التونسية، 1965م، ص 15.

الملحق رقم (08): صورة جريدة الحاضرة[1]

جريدة الحاضرة 1888 – 1911

[1]- محمد الصالح المهيدي، المصدر السابق، ص 09.

الملحق رقم (09): جدول يوضح مشاهير وأعلام من الجزائريون الزيتونيون[1]

مشاهير الزيتونيين الجزائريين خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين

الإسم واللقب	تاريخ والولادة بالهجري	تاريخ الولادة بالميلادي
أطفيش إبراهيم	1385-1305	1965-1888
بن باديس عبد الحميد	1359-1308	1940-1889
بولحبال حسن	؟ -1315	؟ -1897
السبتي العربي	1276 -1312	1957 – 1895
التهامي شطة	1333 - ؟	1915 - ؟
الحنفي عاشور	1347 -1264	1929 – 1847
الزاهري محمد السعيد	1376 -1318	1956-1899
عزوز بن محمد	1334-1270	1915-1854
السوفي إبراهيم	1353-1307	1934-1888
سماية بن عبد الحليم	1351-1283	1933-1866
مامي اسماعيل	1376-1308	1956-1889
مهنة بن صالح	1323-1271	1910 -1854
الميلي مبارك	1364-1316	1945-1898
اليقضان أبو إبراهيم	1393-1306	1973-1888
الزاهري الهادي	1383-1320	1969 -1902
رمضان حمود	1347-1324	1929 -1906
صالح بن يحي	1367 - ؟	1948 - ؟
مفدي زكرياء	1396-1331	1976 – 1912
هواري بومدين	1399-1351	1978-1932

[1] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، 1983، ص 356.

الملحق رقم (10): جدول يبين نماذج من إسهامات الجزائريين في الصحافة التونسية[1]

المراسل	العنوان	الجريدة وتاريخها
عمر بن قدور	في دمعة على الملة	–المبشر 1911/801/01
	الإسلام والمسلمون	المشير 1911/805/28
	الضمير الإصداع	المشير 1911/09/06
إبراهيم بن الحاج عيسى	في دمعة على الملة	المنير 071920/22
	الصحافة مرآة الحياة	المنير 1920/09/23
محمد العيد آل خليفة	إحياء الأدب	العصر الجديد 1920/809/28م
	واحزم الناس اليوم	العصر الجديد 1921/07/16م
	إن قدرة الله حق	الأسبوع 1933/10/19م
محمد السعيد الزاهري	الجرائد مرآة الشعوب	النهضة 1932/10/04م
	رثاء فقيد الأمة الشيخ النخلي	النهضة 1924/02/23م
	الوطن والأستاذ	النهضة 1925/05/03م
خرلشي الحسين	أريحة الجزائريين	العصر الجديد 1922/11/11م
محمد الصديق بن عربوة	أريحة الأديب	النهضة 1924/01/19م
ع زوكشي	العقاب والثبات	الوزير 1927/01/18م
حمودة بكوشة	خواطر	الوزير 1928/12/15م
	إلى بني وطني العزاء	" 1928/12/15م
	زفرات	" 1930/12/20م

[1] – محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر في تونس، المصدر السابق، ص 296.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع:

أولا– الوثائق الأرشيفية:

1– الوثائق باللغة العربية:

1. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة د، الصندوق 509، ملف 252، الوثيقة 04-05.

2– الوثائق باللغة الأجنبية:

2. A.N.T, Omar Racim, S.D.S :E.C : 550, DOS :15/30, DOC :179.
3. ANT.EPC/D/0172/0003/Référence 0030N°03-05-5.
4. ANTS (E) D (330/23) doc N° : Le gerant de L'algerie et du consulat de France au caire au ministére des affaires strangéres a paris 10/10/1913.

ثانيا– المصادر:

5. الإبراهيمي محمد البشير، أثار الإمام البشير الإبراهيمي (1929-1940)، جمع وتحقيق: أحمد طالب الإبرهيمي، ج1، ط 1، الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

6. بن الخوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

7. بن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920- 1936م)، ج1، ط 2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008م.

8. بن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، ط 1، دار السلام للطباعة والنشر، تونس، (1427هـ- 2006).

9. بن عاشور محمد الفاضل، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين (13-14هـ/19-20م)، راجعه محمد المختار العبيدي، ط1، بيت الحكمة، تونس، 2009م.

10. ثامر الحبيب، هذه تونس، مكتب المغرب العربي، مطبعة الرسالة، تونس، (د.س.ن).

11. الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، تر: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، لبنان، 1975.

12. الجابري محمد صالح، الأدب الجزائري في تونس 1900- 1962، ج 1، تونس، بيت الحكمة، 1991.

13. الجابري محمد صالح، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الحكمة، الجزائر، 2007م.

14. الجابري محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962م، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م.

15. الجابري محمد صلاح، رحلات جزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007م.

16. الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، تج: خير الدين شترة، ج 1، ط2، دار كردادة، الجزائر، 2013.

17. عباس فرحات، ليل الاستعمار، حرب الجزائر وثورتها، تر: أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011.

18. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 2010.

19. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001م.

20. الميلي مبارك، المؤتمر الإسلامي، (د ط)، دار هومة، الجزائر، 2007.

21. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، 1983.

ثالثا– المراجع:

1– المراجع باللغة العربية:

22. أجرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871- 1919م)، ج2، تر: الحاج مسعود بالعربي، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2007.

23. إحدادن زهير، الصحافة المكتوبة في الجزائر، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.

24. أديب مروة، الصحافة العربية ونشأتها وتطورها، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1960م.

25. أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، بيروت: دار الكتاب العربي، (ب ت).

26. بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830- 1989م، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

27. بلعباس محمد، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

28. بن باديس الإمام عبد الحميد، أثاره، وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، الجزائر 1984م، ج3.

29. بن خليف عبد الوهاب، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط 1، دار طليطلة، الجزائر، 2009م.

30. بن عبد الله الطاهر، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830- 1900م)، ط 2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1975م.

31. بن قفصية عمر، أضواء على الصحافة التونسية 1862-1970م، ط1، دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس، 1972م.

32. بوحوش عمار، التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1926، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.

33. بوصفصاف عبد الكريم، الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس أنموذجا، ج1، د ط، دار الهدى، الجزائر، د ت.

34. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، (1931- 1945)، ط 1، دار البحث، الجزائر، 1981م.

35. بوصفصاف عبد الكريم، رواد النهضة والتجديد في الجزائر 1989- 1965م، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.

36. بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية (1900-1930م)، دار الهدى، الجزائر، 2012م

37. بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الوسطى، ج 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

38. بوعزيز يحي، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال النصوص 1912- 1948م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

39. بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

40. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

41. بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، (ط.خ)، دار البصائر، الجزائر، 2009.

42. تركي رابح، ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية (1900- 1940م)، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970م، .

43. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931- 1956)، ط 2، دراسة تربوية للشخصية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

44. تركي رابح، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، منشورات A.N.E.P، الجزائر، 2001.

45. التليلي العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي (1876-1918)، دار الجنوب المنشر، تونس، 2005.

46. جغلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، ذاكرة الناس، 2013.

47. جوليان شارل أندري، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تر: البشير ابن سلامة، محمد مزالي، ط 2، الشركة التوزيعية للتوزيع، تونس، 1985م.

48. الجوهري يسرى، جغرافية المغرب العربي، الإسكندرية، دار المعارف، 1981م.

49. حقي إحسان، تونس العربية، بيروت، دار الثقافة، (ب.ت).

50. حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

51. الحواس الوناس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية (1927-1954)، ط خ، مؤسسة كنوز الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

52. خثير عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، م.و.د.ب،ح،و،ث،ن، (د.م)، 2007.

53. خرفي صالح، شعراء من الجزائر، ج1، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969م.

54. خرفي صالح، في رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ت.

55. خرفي صالح، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

56. الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1958م.

57. دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965م.

58. الذوادي رشيد، أعلام بنزرت، دار الغرب العربي، تونس، 1971.

59. الذوادي زهير، خصوبة الفشل في التجربة السياسية لخير الدين بإنشاء المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس: بيت الحكمة، 2011.

60. ريسلير كميل، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها ووجودها (1830- 1962م)، تر: نذير طيار، ط 1، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، (1437هـ- 2016م).

61. الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر رواد الصحافة الجزائرية، ج 5، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

62. الزبيري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984..

63. الزميزلي الصادق، أعلام تونسيون، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م.

64. زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، دار هومة، الجزائر، 2012.

65. الزيدي علي، الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904-1945م، ط1، دار فهي، صفاقس، 2007.

66. الساحلي حمادي، الصحافة الهزلية في تونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

67. الساحلي حمادي، العزلية في تونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996.

68. الساحلي حمادي، تراجم وقضايا معاصرة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005.

69. الساحلي حمادي، فصول في التاريخ والحضارة، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992.

70. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1981م.

71. سعد الله أبو القاسم، أفكار جامحة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

72. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900- 1930م)، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

73. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945م)، ج 3، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

74. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830- 1951)، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

75. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830- 1951)، ج 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

76. سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1980م.

77. السنوسي محمد العربي، مذكرات خير الدين، تونس، بيت الحكمة، 2008.

78. شترة خير الدين، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900- 1930)، دار البصائر، أدرار، 2009م.

79. شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900- 1956م)، ج 2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

80. شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900- 1956م)، ج 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

81. شرف عبد العزيز، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط 1، دار الجبل، بيروت، 1991م.

82. صاري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر، د ط، المطبعة العربية، الجزائر، 2004.

83. الصلابي علي محمد، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد ابن باديس، ط 1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1437هـ- 2016م.

84. طهاري محمد، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2010.

85. الطويلي أحمد، المراكز الثقافية والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي، مؤسسة سعيدان، تونس، 2000.

86. العلاوي محمد فلاح، التعليم في الزيتونة والقرويين بين التقليد والتجديد أواخر القرن 19م وبداية القرن 20، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، عدد 11، ماي 2002م، تونس.

87. العلاوي محمد فلاح، الطباعة ومسايرة التعليم، الزيتونة- الدين والمجتمع، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2007م.

88. العموري الطاهر، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1989م.

89. العياشي مختار، البيئة الزيتونية (1910-1945)، ترجمة حمادي الساحلي، تونس، دار التركي للنشر، 1990م.

90. غلاب عبد الكريم، قراءة جريدة في تاريخ المغرب العربي (عصر الإمبراطورية، العهد التركي في تونس والجزائر)، ج 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005.

91. فضلاء محمد الطاهر، الطيب العقبي رائدا لحركة الإصلاح الديني في الجزائر، (د.د.ن)، الجزائر، 2007.

92. قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية (1939- 1951)، ج 2، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011م.

93. القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر (1881- 1956م)، ط1، تعريب حمادي الساحلي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م.

94. قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار (1830- 1944م)، دار هومة، الجزائر، 2012.

95. قنان جمال، التعليم الأهلي في عهد الاستعمار 1930- 1944م، دراسات في التاريخ المعاصر، منشورات وزارة المجاهدين، 2009.

96. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994م.

97. قنانش محمد، قداش محفوظ، نجم الشمال الإفريقي (1926-1937م)، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

98. كرو أبو القاسم محمد، خير الدين التونسي حياته، ط2، تونس: دار المغرب العربي، 1973.

99. كرو محمد أبو القاسم، محمد الخضر حسين، دار المغرب العربي، تونس، 1973م.

100. المحجوبي علي، الحركة الوطنية التونسية بين الحربيين، منشورات الجامعة التونسية، 1986م.

101. المحجوبي علي، جذور الحركة الوطنة التونسية (1904- 1934)، تر: عبد الحميد الشابي، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1999.

102. محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986.

103. مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1900م، تر: محمد يحياتن، (د ط)، دار الحكمة، (د م)، 2007م.

104. مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة في الجزائر 1830- 1962م، ج 2، د ط، دار هومة، الجزائر، 2006م.

105. مرتاض عبد المالك، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، ط1، الجزائر، دار الحداثة، 1982م.

106. مريوش أحمد، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، دار هومة، الجزائر، 2007.

107. مسعود مجاهد، أضواء على الاستعمار الفرنسي للجزائر، دار المعارف، مصر، 1989م.

108. المطار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، (ط خ)، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2009م.

109. مناصرية يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي (1919- 1934م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1989م.

110. المهيدي محمد الصالح، تاريخ الصحافة العربية وتطورها بالبلاد التونسية، دار الكتب التونسية، 1965م.

111. ناصر محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984م.52.

112. ناصر محمد، الصحف العربية 1843- 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

113. ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007.

114. هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

115. هلال عمار، نشاط الطلبة الجزائريين بين إبان ثورة نوفمبر 1954م، الجزائر، دار هومة، 2004.

2- المراجع باللغة الأجنبية:

116. Benjamin Stora, Algérie histoire contemporaine 1830-1989, El Casba, Algérie, 2004.

117. Charles André julien, L'Afrique du nord en marche nationalisme et souveraineté française, ed, Julliard, Franc.

118. Colonna Funny , Instituteurs Algériens 1883- 1939, s,t,o,p,u, alger, 1975.
119. Mangi Sayadi, AL-Jamigga- AL Khaldounia, Tunis M.T.E, 1974.
120. Mhieddine Bachtarzi, Mémoires, Alger, SNED, 1968.
121. Robert Bouyoc l'union maghrébin, société de secours mutuels, Tunisie Française du 27/11/1912.

رابعا– الدراسات والأبحاث:

122. بن داود أحمد، دور المسرح في المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي 1926 – 1954، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، جامعة جامعة وهران، 2008- 2009.

123. بن عدة عبد المجيد، الخطاب النهضوي بالجزائر (1925- 1954)، مذكرة لنسل شهادة الدكتوراه في الحديث المعاصر، جامعة الجزائر.

124. خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائري (1930- 1900)، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1994.

125. مديني بشير، مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2015م.

126. مريوش أحمد، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، مذكرة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006.

خامسا– المجلات والدوريات:

127. ابن القاضي محمد الشاذلي، الجامعة الزيتونية، المجلة الزيتونية، المجلد 9، الجزء 6، 1374 هـ- 1955م.

128. ابن باديس عبد الحميد، اللغة والوطنية، جريدة البصائر، السنة الرابعة، عدد 171، الصادرة بتاريخ 22 جوان 1939م.

129. ابن باديس عبد الحميد، بر الوالدين، الشهاب العدد 207، الصادر في 1930/05م.

130. ابن عاشور محمد الفاضل، الشيخ صالح الشريف، المجلة الزيتونية، المجلد 8، الجزء 2، أفريل 1952م.

131. ابن محمود محمد مختار، المدارس القرآنية بتونس، كيف تأسست مهمتها ونتائجها، المجلة الزيتونية، ج6، مج 2، تونس، مارس 1938م.

132. ابن محمود محمد مختار، جامع الزيتونة، المجلة الزيتونية، المجلد 2، ج 2، 1356 هـ-1937م.

133. بزوزو محمود، الجزائر وتونس بين الوحدة والتحديات، جريدة المنار، العدد 14، الصادرة بتاريخ 19 جانفي، 1152هـ.

134. بن حمدة وسيلة، الزاوية ودورها التربوي والاجتماعي، مجلة الهداية، ع 4، تونس، جانفي، 1995.

135. بوصفصاف عبد الكريم، التحولات الأساسية في الحركة الوطنية الجزائرية (1945- 1954)، مجلة سرتا، ع 5، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984.

136. جريدة البصائر، الأعداد (17، 18، 19)، من 20 أفريل إلى 15 ماي 1936م.

137. جريدة البصائر، عدد 16، 24 أفريل 1936.

138. جريدة الشهاب، ع 153، 01 مارس 1931، ص 1.

139. جريدة النهضة، 10 جانفي 1924.

140. جريدة النهضة، 12 جانفي 1924.

141. الحبيب أحمد، تاريخ الصحافة التونسية، المجلة الزيتونية، المجلد السادس، ج1، العدد 1، تونس، 1951م.

142. الحبيب محمد، تاريخ الصحافة التونسية، المجلة الزيتونية، المجلد السادس، ج 1، ع 1، تونس، 1951.

143. دويدة نفيسة، الشريف بن حبيليس آراؤه واهتماماته الفكرية، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 72-73، أفريل - سبتمبر 2016.

144. رحوي آسيا بلحسين، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال، دراسة نفسية وتربوية مخبر الممارسات النفسية والتربوية، ع 7، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ديسمبر 2011م..

145. رمضان علي، أضواء على المسرح الجزائري، الثقافة، ع 79، جانفي/فيفري 1984.

146. الساحلي حمادي، جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية، المجلة الصادقية، ع 2.

147. الساحلي حمادي، جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية، المجلة الصادقية، ع 2.

148. سعيدوني ناصر الدين، أحداث 08 ماي 1945م، ذكرى تضحيات جسيمة وعبرة كفاح مرير: مجلة الذاكرة، ع 2، الجزائر، 1995م.

149. العجيلي التليلي، أضواء على حياة الشريف التيجاني، (م،ت،م)، عدد 55-56، 1939م.

150. العجيلي التليلي، أضواء على حياة محمد الشريف التيجاني في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين، المجلة التاريخية المغربية، العدد 55-56، تونس: ديسمبر 1989.

151. العقبي الطيب، الإصلاح، ع2، الخميس 02 ربيع الثاني 1348هـ/5 ديسمبر 1926م.

152. العقبي الطيب، شهر شعبان في تونس غيره في الجزائر، الشهاب، ع85، فيفري 1927م.

153. عويمر مولود، الشيخ محمد الخضر حسين في مسار التواصل بين المشرق والغرب، المجلة الخلدونية، العدد 8، ديسمبر 2010.

154. عويمر مولود، الشيخ محمد السعيد الزاهري في عالم الصحافة، البصائر، العدد 574، الاثنين 12-18، ذو الحجة 1432هـ/20 نوفمبر.

155. عويمر مولود، جمعية الشباب المسلمين وكفاح المغرب، البصائر، ع 44، الجزائر، 1936/11/20.

156. فراد محمد أرزقي، الجهود السياسية للمثقف سي محمد ابن رحال، جريدة الشروق اليومي، ع 2192، 8 جانفي 2008.

157. مريوش أحمد، موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي خلال فترة الاحتلال، مجلة حولية المؤرخ إصدار إتحاد المؤرخين الجزائريين، السيداسي الثاني، 2010.

158. مريوش أحمد، موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي خلال فترة الاحتلال، مجلة حولية المؤرخ، مجلة دورية، إصدار اتحاد المؤرخين الجزائريين السداسي الثاني، 2010.

159. المنصوري البشير، الجمعية الخلدونية بين شموع الماضي والتواصل مع الحاضر، مجلة الهداية، عدد 160، أفريل 2004، تونس.

160. ناجي عبد النور، البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية، مجلة التراث العربي، العدد 107، (د س)، الجزائر.

161. ناصر محمد صالح، القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي ميزاب، معهد الحياة نموذجا، ع 1، (د.م)، جانفي 1998.

162. ناصر محمد صالح، المغرب العربي الكبير في شعر مفدي زكريا، الحياة الثقافية، ع:32 (ع.خ)، تونس، 1984م.

163. النيفر محمد البشير، تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة، المجلة الزيتونية، المجلد 1، ج 10، 1357 هـ- 1937م.

سادسا– الندوات والمؤتمرات:

164. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د س).

165. وزارة الثقافة، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تق: عبد الرحمان شيبان، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

166. المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1954)، (د، د، ن)، الجزائر، 2007.

سابعا– المواقع الإلكترونية:

167. http://ar.wikipedia.org/wiki .
168. war.m.wikipedia.org.wiki .
169. www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=336191351.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

بسملة

كلمة شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في الزائر وتونس في الفترة ما بين 1900–1939م

I- أوضاع الجزائر العامة. 08

II- أوضاع تونس العامة. 19

III- تأثير السياسة الاستعمارية على الجانب الثقافي في كل من الجزائر وتاونس. 24

الفصل الأول: الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر وتونس

I. الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 37

II. الحياة الثقافية والفكرية في تونس 68

III. انعكاساتها في الجزائر وتونس 90

الفصل الثاني: مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس

I. عوامل التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس 102

II. وسائل التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس 105

III. إسهامات المثقفين الجزائريين في تونس..... 130

IV. إسهامات المثقفين التونسيين في الجزائر..... 153

خاتمة 160

الملاحق 163

قائمة المصادر والمراجع 174

فهرس الموضوعات..... 187

الملخص:

تعالج رسالة الماستر موضوع التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في الفترة المعاصرة ما بين (1875-1939م)، فقسمنا الدراسة إلى ثلاثة فصول حيث عالجنا في الفصل التمهيدي الأوضاع العامة في الجزائر وتونس في الفترة (1900-1939م) في الميدان السياسي والاقتصادي والاجتماعي ومدى تأثير السياسة الاستعمارية على الجانب الثقافي فيهما.

باشرنا الفصل الأول حول الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر وتونس التي تعتبر انطلاقة قوية في التاريخ الثقافي الجزائري والتونسي بأنشطة ثقافية مختلفة من نوادي وجمعيات وصحافة، وانتشار مدارس التعليم المختلفة، وتطور الحركة الأدبية والنشاط المسرحي، كما أشرنا إلى إصلاحات خير الدين التونسي وجامع الزيتونة كمنارة علم وتقوى.

كان موضوع الفصل الثاني لدراسة مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، من خلال وسائل عدة كالزوايا والطرق الصوفية، الجمعيات، البعثات العلمية والفكرية، الصحافة، الفن المسرحي والموسيقي، ثم تعرضنا إلى إسهامات المثقفين الجزائريين والتونسيين في الحياة الثقافية للبلدين في المجال الصحفي والعلمي، وما تميز به من تأثير وتأثر في المجال الثقافي والفكري في إطارهما المغربي والعربي.

الكلمات المفتاحية: التواصل الثقافي، الحياة الثقافية، نوادي وجمعيات، الصحافة، الزوايا، الطرق الصوفية، البعثات العلمية.

Abstract :

The master's thesis deals with the subject of cultural communication between Algeria and Tunisia in the contemporary period between (1875-1939) , so we divided the study into three chapters, where in the introductory chapter we dealt with the general conditions in Algeria and Tunisia in the period (1900-1939 AD) in the political, economic and social fields and the extent of the influence of politics Colonialism on the cultural side in them.

We started the first chapter on the cultural and intellectual life in Algeria and Tunisia, which is considered a strong start in the Algerian and Tunisian cultural history, with various cultural activities such as clubs, societies, and the press, the spread of various schools of education, the development of the literary movement and theatrical activity, and we also referred to the reforms of Khair al-Din al-Tunisi and the Zaytuna Mosque as a beacon of knowledge and piety. .

The subject of the second chapter was to study the manifestations of cultural communication between Algeria and Tunisia, through several means such as angles and Sufi orders, associations, scientific and intellectual missions, journalism, theatrical and musical art, then we examined the contributions of Algerian and Tunisian intellectuals in the cultural life of the two countries in the field of journalism and science, and what distinguished it. Its influence and influence in the cultural and intellectual field in their Moroccan and Arab framework.

Key words: cultural communication, cultural life, clubs and societies, journalism, zawiyas, Sufi orders, scientific missions.